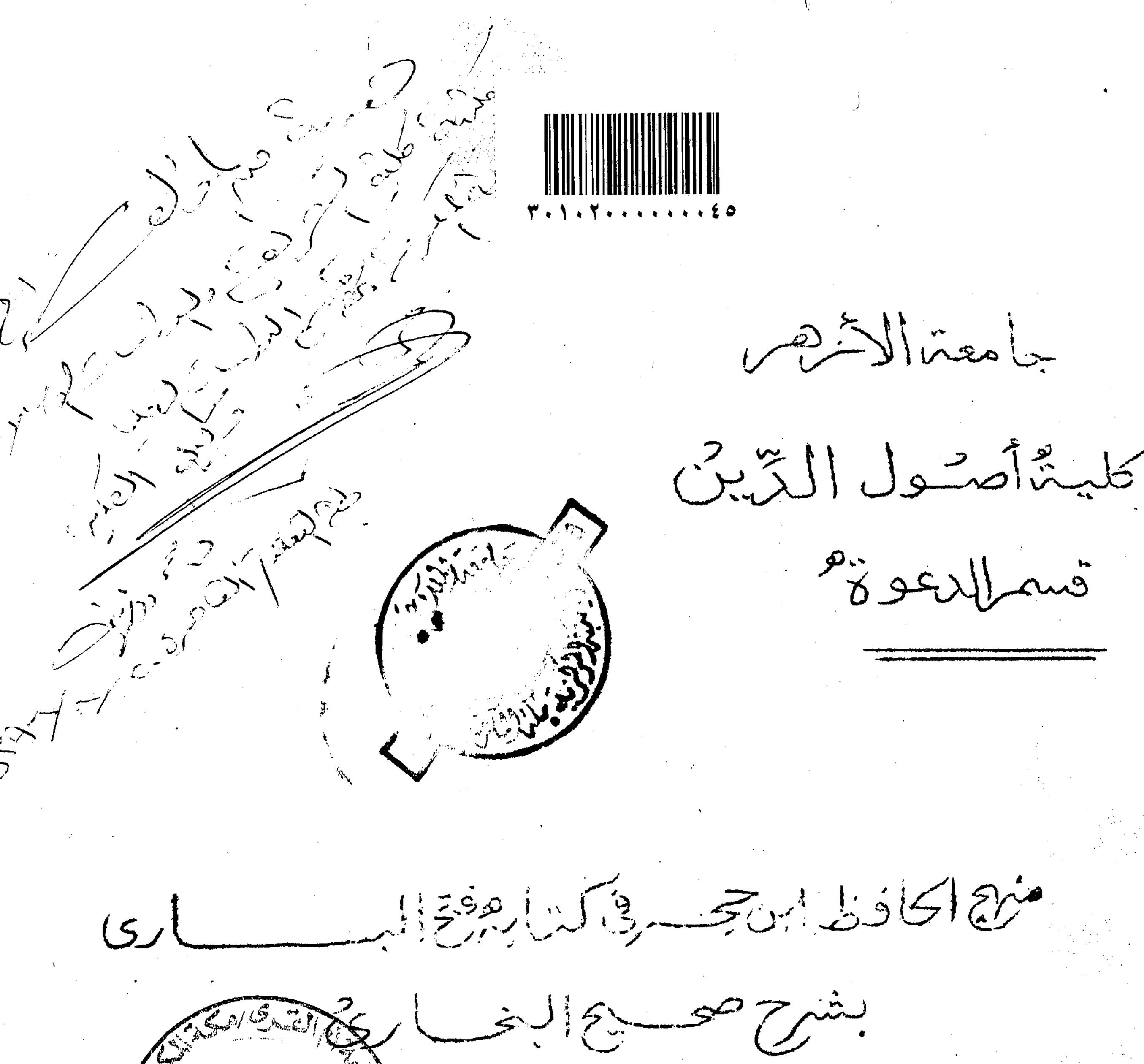


جامعة الأزهر

كلية أصول الدين

قسم الدعوة

منهج الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري

رسالة الدكتوراة

المقدمة من الطالب
جميل أحمد منصور الشوارفي

تحت إشراف

فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المسير

" الدافع الى اختيار الموضوع "

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بارئ النسم والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وعلى جميع المحدثين البارعين والحفاظ المتقنين الذين جابوا البلدان والأمصار وركبوا متون البحار ووصلوا الليل بالنهار حفاظا على السنه وعملا على صيانتها ورغبة فى نشرها واذاعتها امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم "نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع" .

" وبعد " فمنذ نيف وعشرين عاما كنت طالبا بالسنة الأولى من القسم الثانوى بالأزهر الشريف وكان من بين مواد الدراسة "مادة الحديث" وكان المنهج المقرر هو دراسة عدة أحاديث من كتاب الجامع الصحيح الصحيح لأبى عبد الله البخارى وقد لفت نظرى واسترعى انتباهى واستوقفنى وقتا ما أننى أثناء قراءتى للكتاب المقرر ودراستى اياه كنت أجد المؤلف أثناء شرحه للمفردات وتوضيحه للمعانى واستنباطه الأحكام الفقهية والفوائد الحديثيه وغير ذلك مما تشمله الأحاديث النبويه الكريمه ــ أجده يقول :

ذكر الحافظ وقال الحافظ فى الفتح كذا وكذا وقال الحافظ فى التلخيص كذا وكذا وكنت فى سن مبكرة لا تتيح لى فرصة لى فرصة البحث عمن هو الحافظ وما هو الفتح وما هو التلخيص ولكن ألقى فى روعى ووقر فى ذهنى أنه لا مناص من معرفة هذا الحافظ والوقوف على الفتح والتلخيص ان امتد بى العمر وهيئت لى الأسباب .

ولما هيأ الله الظروف والتحقت بالدراسات العليا كان شغلى الشاغل وهدفى الأول أن أجعل موضوع بحثى لنيل درجة الدكتوراه هو البحث عن شخصية هذا الحافظ والكشف عن هذا الفتح أحياء لرغبة قديمه استكنت فى النفس وتلبية لأمل استقر فى القلب وأخذت أجد فى القراءة والاطلاع والبحث فتبين لى أن الحافظ هو ابن حجر العسقلانى وأن الفتح هو كتابه " فتح البارى بشرح صحيح البخارى "

وكنت قد عزمت على أن يكون موضوع بحثى "ابن حجر وأثره فى ثقافة عصره" ولكنى بعد دراسة غير قصيره وجدت أن الرجل متعدد الجوانب من حيث الثروة فقد أسهم فى الحديث والفقه والأدب والتاريخ ووجدتنى غير مستطيع مهما طال بى الزمن أن ألم بمؤلفاته وأن أدرسها وألقى عليها أضواء تكشف عن موضوعاتها ومضموناتها

وطرق تناولها وميزاتها عما سواها فآثرت أن أختصر الموضوع وأجعله "الحافظ ابن حجر وجهوده في السنة" غير أني وجدت أيضا أن مؤلفاته جمة في مختلف فروع السنة منها ما يتعلق بالمصطلح ومنها ما هو وثيق الصلة بشرح السنة ومنها ما يرتبط بالمتن ومنها ما يتناول تاريخ الرجال وتراجمهم ومنها ما يشمل تخريج الأحاديث الموجوده في الكتب العلمية غير معزوه ومنسوبه الى من أخرجها وبالجملة فان الرجل لم يترك اتجاها من اتجاهات التأليف في السنه السائدة في ذلك العصر الا وكتب فيه .

وازاء هذا آنست من نفسي عجزا عن الوفاء بما اتجهت اليه وعن استيعاب جميع ما كتبه في السنة وحولها . ومن هنا آثرت وانتهيت الى أن يكون عنوان البحث " مع الحافظ ابن حجر وكتابة فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وقد عدل مجلس الكلية هذا العنوان الى "منهج الحافظ ابن حجر في كتابة فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وعلى هذا عقدت نيتي وأنخت مطيتي واستعنت بالله فهو نعم المولى ونعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد طوى بساط الخلافة وانفض سامرها من بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦هـ وحملت مصر بعدها لواء الزعامتين الدينية والسياسية وهذا بالطبع قد أكسبها مركزا أدبيا بين سائر الدول الاسلامية الأمر الذى ترتب عليه أن أصبحت القاهره مركز الاشعاع ومحط الأنظار وملتقى العلماء والأدباء والطلاب يحدوهم اليها تشجيع السلاطين لهم واقامة المدارس ورصد الأحباس والأوقاف عليها ، ونتيجة لذلك ظهرت فى مصر نهضة علمية واسعة شملت مختلف فروع الثقافة فى ذلك العصر ..

وقد احتلت السنة المركز الأول وتبوأت مكان الصدارة من هذه الثقافة اذ قد اتجه جل علماء العصر الى حديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فحفظوه حفظهم لكتاب الله تعالى وكان رائدهم الى ذلك عقيدتهم أنه لابقاء لعلمهم فى صدورهم ما لم يحفظوا حديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فان فى ذلك شحذا للهمة وتنبيها للحافظة وايقاظا للذاكرة ، كما أن سلاطين المماليك كانوا محبين للعلوم وبخاصة "علم الحديث" فقل أن تجد سلطانا أو أميرا يشيد مدرسة الا ويرتب فيها درسا للحديث على أنه كان يوجد مدارس خاصة به مثل " دار الحديث الكاملية " وقد أغدقوا على العلماء تشجيعا لهم على الاستمرار فى هذا المضمار وجلسوا فى حلقات الدروس مع المتعلمين وتتلمذوا لأئمة الحديث وتحملوا السنة بأسانيدها الصحيحة حتى صار بعضهم يتلقى عنه الحديث ويسمع منه الصحيح فهذا هو الظاهر برقوق يتفقه على الامام اكمل الدين البابرتى ويشارك المحدثين فى رواية الصحيحين ، كذلك المؤيد شيخ يروى الصحيح عن السراج البلقينى ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانوا يطلبون العلماء ويستقدمونهم من بلدان أخرى فهذا هو الظاهر برقوق يستقدم أمثال ابن أبى المجد من الأقطار النائية رغبة منه فى اعلاء الاسناد لدى المتعلمين بمصر لسماعهم الحديث من أصحاب الأسانيد العالية كما استقدم المؤيد شيخ الى مصر العلامة شمس الدين الديرى ، وكما كان السلاطين يتتلمذون لجهابذة العلماء كان منهم من جلس مجلس الاستاذ ، وهذا هو ابن حجر على علو منزلته ومكانته العلمية يسمع

من المؤيد شيخ ويترجم له في عداد شيوخه في المعجم المفهرس .

وبهذه العناية التامة من السلاطين والأمراء حملت مصر لواء النهضة العلمية بمختلف فروعها طيلة عصر سلاطين المماليك وكانت أسعد بلاد الاسلام حظا بالحديث وعلومه . وحسبنا دليلا على ذلك ما حوته كتب التاريخ من تراجم الحفاظ والمحدثين أمثال الذهبي والمزى وابن رجب الحنبلي ومغلطاى والعراقى وابن حجر والسخاوى والسيوطى الأمر الذى دفع بعض المؤلفين الى أن يفرد لهم كتبا خاصة بهم مثل ذيلى تذكرة الحفاظ لابن فهد والسيوطى ، ومؤلفات هؤلاء العلماء تشهد لمصر بالمجد التالد والشرف الرفيع فى هذا الميدان وظل الأمر كذلك حتى أذنت شمس دولة المماليك بمغيب فأخذ النشاط العلمى يتضاءل ويرحل عن مصر شيئا فشيئا الى بلدان أخرى وكان من حسن الطالع — بعد أن غربت شمس الحديث فى مصر — أن أشرقت ثانية فى بلاد الهند فأفسحت صدرها للحديث وعلومه وسهرت على خدمته حتى يومنا الحاضر .(١)

---

(١) محمد أبو زهو "الحديث والمحدثون" ص ٤٣٩ و ٤٤٠

• محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" جـ٢ ق ١ م٣ ص ١٤٢

• عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى" ص ٦٤ و ٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

عصر ابن حجر ودوره فيه

الفصل الأول : البيئة السياسية

تمهيد :

عندما يحاول الباحث دراسة عصر من العصور التاريخية لدولة من الدول يجمل به ألا يقف عند بداية التاريخ الزمني لهذا العصر بل يتجاوز ذلك الى ذكر الأسباب التي سبقته والظروف التي مهدت له حتى أصبح في حيز الوجود وصار حقيقة واقعة ، وبناء على ذلك فإنني قبل أن أتحدث عن قيام دولة المماليك في مصر سوف ألقي نظرة عجلى على تاريخ الدولة الأيوبيه اذ هي الدولة التي قامت على أنقاضها دولة المماليك فأقول : -

قدم الأيوبيون الى مصر تدعوهم مقتضيات الدفاع عن الاسلام ضد الصليبيين [١] وحينما تولى السلطنة صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ اتخذ جنوده من الأكراد والمرتزقة المجلوبين [٢] وتبعه خلفاؤه من بني أيوب ونهجوا نفس السبيل وأكثروا من شراء المماليك الترك [٣] والسبب في ذلك أنهم كانوا غرباء عن البلاد فاحتاجوا الى الاستعانة والاعتزاز بأمثال هؤلاء [٤] .

ثم لما تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٦ هـ أكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره [٥] حتى يستطيع أن يرسي قواعد ملكه ويثبتها بهؤلاء الجنود الجدد ولكنهم صاروا يشوشون على الناس وينهبون البضائع من الدكاكين فضج منهم الناس وبلغ الصالح ذلك فبنى لهم قلعة بالروضة وأسكنهم بها وسماهم " المماليك البحرية " حتى لا يصل أذاهم وشرهم الى الشعب - هذا من جهة - ومن جهة أخرى ليكونوا على أتم استعداد للدفاع عن البلاد اذا ما دهمها العدو ومن ثم جعل حول تلك القلعة شواني بحرية مشحونة بالسلاح معدة لقتال الفرنج اذا طرقوا البلاد وعدتهم نحو ألف مملوك [٦] وعلى هذا فإن الملك الصالح هو الذي أنشأ طائفة المماليك البحرية بديار مصر [٧] أما كيف تولى هؤلاء عرش مصر فنتحدث عنه في الصفحات التالية .

---

(١) نظير حسان سعداوي "صور ومظالم ص٣ (٢) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك جـ١ ق١ م١ ص١٦
(٣) على ابراهيم حسن "مصر في العصور الوسطى ص١٧٠
(٤) سير وليم موير "تاريخ دولة المماليك ص٣٣ (٥) المقريزي " السلوك " جـ١ ق٢ ص٣٣٩
(٦) ابن اياس "بدائع الزهور جـ١ ص٨٣ (٧) المقريزي "السلوك" جـ١ ق٢ ص٣٣٩

كانت حالة البلاد الاسلامية من أكبر العوامل التى ساعدتهم ومكنتهم من اقامة دولة لهم بمصر ظلت زهاء ثلاثة قرون (١) فالخلافة فى بغداد أضحت ضعيفة لاحول لها ولا قوة بسبب النزاع القائم بين القواد الذين طالبوا بزيادة الأرزاق كما تفاقمت العداوة بين الشيعيين والسنيين وهذا أضعف الخلافة وأفقدها هيبتها فى الداخل أما فى الخارج فقد اقتصرت سلطتها على المظهر الدينى (٢) ، وأما سائر الولايات الاسلامية فقد انشغل حكامها بالتوسع كل على حساب الآخر ولم يدركوا خطر الغزو المغولى الذى استولت جيوشه على فارس ومعظم جنوب روسيا وأطراف أوربا الشرقية وأصبحوا يهددون البلاد الاسلامية كلها (٣) .

والحملات الصليبية التى كانت بدايتها سنة ١٠٩٦ م ٤٨٩ هـ تتوالى على الشام بقصد الاستيلاء على بيت المقدس من أيدى المسلمين وفى الحملة الثالثة انتقل مسرح القتال الى مصر بسبب ضعف الخلفاء الفاطميين عقب وفاة الوزير طلائع بن رزيك سنة ٥٥٧ هـ ١١٦١ م ، وظهر فى هذه الحرب نبوغ كثير من زعماء المسلمين مثل نور الدين وصلاح الدين الذى آلت اليه السلطة بعد ذلك (٤) .

والذى يعنينا من هذه الحملات هى الحملة الصليبية السابعة التى نزلت بأرض مصر فى سنة ٦٤٧ هـ ١٢٤٩ م بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا للاستيلاء على بيت المقدس عن طريق السيطرة على مصر وحلت الهزيمة ساحقة بالصليبيين فى المنصورة ثم قرب فارسكور سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م ووقع معظمهم فى الأسر ومن بينهم لويس التاسع نفسه ، ان الفضل الاكبر فى هذا الانتصار يرجع الى طوائف المماليك فهم الذين أحرزوا النصر وحسموا المعركة (٥) وقد أكسبهم هذا النصر الذى أحرزوه قوة هائلة واخذ نجمهم فى الصعود من ذلك الحين (٦) وابان هذه الحرب توفى الملك الصالح نجم الدين ايوب فى سنة ٦٤٧ هـ فأخفت شجرة الدر عتيقته وزوجه نبأ وفاته لئلا يفت ذلك فى عضد المسلمين وقوة الجند المحاربين وظلت تدبر الأمور وتخرج المراسيم بعلامة السلطان فلا يشك من يراها أنها بخطه (٧) .
واستقدمت على الفور توران شاه ابن الملك الصالح من حصن كيفا وسلمته مقاليد الأمور

---

(١) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" جـ١ ق١ م١ ص١٧
(٢) حسن ابراهيم حسن "تاريخ الاسلام السياسى والدينى ص١٣٤
(٣) سعيد عاشور " مصر فى عصر دولة المماليك البحرية" ص ٢٩
(٤) حسن ابراهيم "تاريخ الاسلام السياسى ص٢٢٣ (٥) سعيد عاشور "مصر فى عصر دولة المماليك[illegible]
(٦) محمود رزق "عصر سلاطين المماليك ج ١ ق١ م١ ص٢٢ (٧) ابن اياس "بدائع الزهور" جـ١ ص٨٥
والمقريزى السلوك جـ١ ق٢ ص٣٤٢ ، [illegible]

ولكنه لم يلبث أن تنكر لمماليك أبيه واضطهدهم وقرب من جاء معه من حصن كيفا وأساء معاملة شجرة الدر وبعث يطالبها بمال أبيه ويتهددها ، الأمر الذى دفعها الى أن تدبر قتله مع سائر المماليك ونفذوا ذلك فى المحرم سنة ٦٤٨ هـ واتفقوا على سلطنة شجرة الدر وأن يكون عز الدين أيبك مدبر المملكة معها (١) .

وعلى هذا يمكن أن نقول ان عصر المماليك بدأ فى مصر منذ أن تولت شجرة الدر العرش واستولت على السلطنة وسارت تدبر الأمور فى البلاد ويخطب باسمها على المنابر كما ضربت السكة ايضا باسمها .

غير أن ذلك لما كان شيئا غريبا فى بابه ولم يعهد مثله فى ولاية من الولايات فقد عز على الخليفة وعظم عنده كيف تلى امرأة عرش مصر ومن هنا بعث برسالة الى أهل مصر تنم عن عدم رضاه وارتياحه لمثل هذا وعنفهم فيها وبكتهم وقال لهم " ان كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلا " (٢)

وعلى الفور ولى المماليك المعز ايبك السلطنة وزوجوه شجرة الدر وتنازلت له عن العرش بعد أن قضت فيه ثمانين يوما برهنت فيها على كياسة وذكاء وافر وتم ذلك فى سنة ٦٤٨ هـ (٣) .

وأضحت مصر من هذا الوقت فى حوزة المماليك وزالت دولة بنى أيوب وساروا على نهج من قبلهم فى الاستكثار من جلب المماليك والاعتماد عليهم لأنهم القوة التى تساعدهم على حكم البلاد والسيطرة عليها .

تولى المماليك اذن عرش مصر فما هى سياستهم وما موقف المصريين منها وهل قبلوا حكمهم ؟ والجواب عن ذلك فيما يلى : —

اعتلى المماليك عرش مصر ولكن صادفتهم عقبات من بينها وجود بنى أيوب الذين لا يزالون بالشام ومدن أخرى فهولاء عز عليهم أن يستولى من ملكت أيمانهم على العرش ويقصوهم عنه وهم أهله ، هذا لن يكون أبدا وشجعهم على ذلك أن بعض المماليك الصالحية خرجوا

---

(١) المقريزى "السلوك" جـ١ ق٢ ص ٣٦١

(٢) نفس المصدر ص ٣٦٢ و ٣٦٨

(٣) سعيد عاشور "مصر فى عصر دولة المماليك البحرية" ص ٢٢

وتألبوا على المعز أيبك وقالوا لابد من واحد من بنى أيوب يلى السلطنة (١) حتى يجتمع الكل على طاعته ويطيعه أهل بيته واتفقوا على اقامة الأشرف ابن الملك المسعود ابن الكامل محمد ويكون المعز أيبك شريكا له فى كل شيء من خطبة وسك نقود الى غير ذلك (٢).
الا أن الأشرف فى الواقع لم يكن سوى مجرد شريك اسما وجميع الامور بيد أيبك (٣) ولم يلبث أيبك حتى قتل فارس الدين أقطاى فتفرقت مماليكه وكان من أكبر الأمراء الذين فرضوا عليه الملك الأشرف ، ثم بعد ذلك قبض على الأشرف وسجنه بالقلعة وانفرد بالسلطنة فى سنة ٦٥٣ هـ (٤) واستتب له الأمر بعد أن تخلص من عدوه الداخلى ممثلا فى سطوة الأمراء ونفوذهم وعدوه الخارجى الممثل فى بنى أيوب .

وتحمل المماليك بعد الأيوبيين عبء الدفاع عن البلاد ضد الصليبيين فلم يدخروا جهدا فى ذلك وحموا البلاد من هذا الخطر الخارجى واستردوا ما كان قد استولى عليه الصليبيون من بلاد الشام وحققوا انتصارات ساحقة عليهم وبسطوا نفوذهم بدرجات متفاوته على كثير من الأقاليم المجاورة كأطراف آسيا وشبه الجزيرة العربية وبلاد النوبة (٥).

ولما هجم زعيم التتار على بلاد المشرق وخرب مدنها رعب منه الناس وفروا من وجهه وزحف هولاكو بجيشه الجرار واستولى على بغداد وأعمل فى أهلها السيف وخرب الديار وطمس معالم المدنية والحضارة بها وعزم على الاستيلاء على مصر ، حين ذاك استشار السلطان المظفر قطز أهل الحل والعقد واستقر الأمر على الخروج للقائه وتم ذلك فى شعبان سنة ٦٥٨ هـ وأوقع بالمغول فى "عين جالوت" وهزمهم شر هزيمة ، كما التقى معهم أيضا فى "بيسان" فدحرهم وشتت شملهم وكان لهزيمة المغول أثر بالغ فى نفوس المسلمين اذ فهموا على الأقل أن التتار قوة يمكن التغلب عليها وبهذا الانتصار حفظ الله مصر من من شر التتار (٦).

ولما كان المماليك فيما يبدو قد اغتصبوا العرش من الأيوبيين فضلا عن أنهم غرباء عن البلاد أرادوا بل وحرصوا على أن يضفوا على حكمهم صبغة شرعية ، لذا فكروا فى احياء الخلافة العباسية واجتذابها الى القاهرة بعد ما قضى عليها المغول فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ

---

(١) ابن اياس "بدائع الزهور" جـ١ ص ٩٠ (٢) ابن كثير "البداية والنهاية" جـ١٣ ص ١٧٩
(٣) المقريزى "السلوك" جـ١ ق٢ ص٣٦٩ (٤) ابن اياس "بدائع الزهور" جـ١ ص ٩١
(٥) عبد اللطيف حمزه "الحركة الفكرية" ص ٤١ (٦) ابن اياس "بدائع الزهور" جـ١ ص ١٠٧

وقد كان سلاطينهم يستظلون برايتها قبل ذلك يشهد لهذا أن رسم شجرة الدر " المعتصمية الصالحية" .

وأول من قام بذلك ووضعه موضع التنفيذ هو الظاهر بيبارس الذى تولى السلطنة فى سنة ٦٥٨ هـ ففى السنة التالية من حكمه فكر فى ارجاع الخلافة العباسية الى مكانتها ونجح فى تحقيق ذلك واجتذابها الى القاهرة (١) . ويصف أحد الباحثين ذلك فيقول " لما سمع بيبرس أن أحد العباسيين أخطأته مذبحة المغول جد فى استحضاره من سوريا الى مصر فى موكب حافل ولما اقترب العباسى من البلاد خرج اليه بيبرس واستقبله وبويع للعباسى بالخلافة وجعل مستقره فى أحد أبراج القلعة متحفظا عليه مراقبا سجينا " (٢) ، وظل الخلفاء بعده طيلة أيام الدولة المملوكية وليس لهم من الخلافة الا الاسم على أنه ذرا للرماد فى العيون كان يؤتى به فى المواقف الرسمية الهامة ليتم الحاشية وكذلك كان يؤتى به عند تولية سلطان جديد بصفته الرئيس (٣) وأضحت مصر مقر الخلافة ومركز الرئاسة العامة على المسلمين (٤) وقد استفاد بيبرس من هذا الوضع كما استفاد منه سائر السلاطين الذين حكموا مصر من بعده وصاروا يفرضون لأنفسهم مقاما ساميا على ملوك العالم الاسلامى بصفتهم حماة الخلافة والمتمتعين ببيعتها الى أن جاء الفتح العثمانى (٥) .

هذا من ناحية السياسة الخارجية أما الداخلية فقد قاموا بزيادة الضرائب والمصادرات فى بعض الأحيان حتى يتيسر لهم جمع المال اللازم للانفاق على الجند المتحفز دائما للقتال وما تتطلبه الأعمال الجليلة التى قاموا بها من صد غارات الصليبيين والمغول وغير ذلك .

كذلك قاموا بمحاربة المذهب الشيعى اذ أنهم بحكم تربيتهم الدينية كانوا على مذهب أهل السنة ، ولم تكن هذه المهمة سهلة ولا هينة فقد كان التشيع منتشرا وفاشيا فى بلدان كثيرة يقول صاحب الطالع السعيد فى حديثه عن مدينة ادفو "كان التشيع بها فاشيا وأهلها طائفتان الاسماعيلية والامامية ثم ضعف حتى لايكاد يتميز به الا أشخاص قلائل" ، وأنشئوا من أجل ذلك المدارس ومشوا العلماء فى أنحاء البلاد المصرية بهدف الدعوة الى مذهب أهل السنة .

---

(١) سير وليام موير "تاريخ دولة المماليك فى مصر" ص ٤٢
(٢) ابن اياس "بدائع الزهور" جـ١ ص ١٠٠ و ١٠١
(٣) سير وليام موير "تاريخ دولة المماليك فى مصر" ص ٤٢
(٤) على ابراهيم حسن "مصر فى العصور الوسطى" ص ٢٤٣
(٥) أحمد صادق الجمال "الأدب العامى فى مصر" ص ١٢

ويكفينا دليلا على ذلك ما ذكره صاحب الطالع السعيد عن ابن دقيق العيد حيث قال "أتى الى الصعيد فى طالع لأهله سعيد فتحت عليهم بركاته وعمتهم علومه ودعواته وكان مذهب الشيعة فاشيا فى ذلك الاقليم فأجرى مذهب السنة على اسلوب حكيم وزال الرفض وانجاب وثبت الحق حتى لم يبق فيه شك ولا ارتياب " (١).

وبعد فهذه صورة موجزة لحالة مصر السياسية فى عصر المماليك فما هو نظام الحكم عندهم؟وهل قبله المصريون ؟ والجواب عن ذلك فيما يلى : —

لقد درج المؤرخون على تقسيم عصر سلاطين المماليك الى دولتين :

(أ) دولة المماليك البحرية ، ومنشئ هذه الطائفة الملك الصالح نجم الدين أيوب ومحل سكنها قلعة الروضة ، وتبدأ من عام ٦٤٨ هـ على يد شجرة الدر أو المعز أيبك وتنتهى بخلع على بن شعبان ابن الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٨٤ هـ ١٣٨٢ م .

(ب) دولة المماليك البرجية ،ومنشئ هذه الطائفة المنصور قلاون ومحل سكنها أبراج القلعة وتبدأ من عام ٧٨٤ هـ وتنتهى بقتل طومان باى بعد هزيمته فى موقعة الريدانية عام ٩٢٣ هـ.

وقد تشابهت الدولتان معا فى اتباع نظام واحد فى الحكم حيث لم يكن هناك قانون ثابت ولا دستور قائم يحدد السلطة ويوضح نظام الحكم ويعد هذا النظام فذا وعجيبا فى التاريخ فلا هو ملكية وراثية مطلقة أو مقيدة ولا هو جمهورية شورية يرأسها فرد أو جماعة من المستبدين أو غير المستبدين(٢) ، وانما كان له شكل آخر يتفق ومزاج المماليك كما يتفق وظروفهم فقد كان العرش المصرى يظفر به عادة أقوى أمراء المماليك وأشجعهم وأقدرهم على صيانته والتمكين له(٣) ، وعلى الرغم من محاولة بعض سلاطين المماليك الفحول مثل بيبرس وقلاون إقرار مبدأ الوراثة فى العرش فانهم أخفقوا تماما فى أن يكون ابن أحدهم سلطانا عليهم — أى المماليك — بل كانت تئول السلطة الى أكثرهم نفرا وأعزهم جاها واسخاهم وعدا وعطاء (٤) ، ولعل عدم وضع نظام ثابت للحكم هو ما يفسر لنا ظاهرة قتل السلاطين أو عزلهم كما أنه كان من أهم

---

(١) الادفوى "الطالع السعيد " ص ٢٣٠
(٢) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك " جـ١ ق ١ م ١ ص ٩٢
(٣) عبد اللطيف حمزه " الحركة الفكرية " ص ٤٩
(٤) نظير حسان سعداوى "صور ومظالم من عصر المماليك" ص ٥ و ٦

أسباب الاضطراب والفتن في دولتي المماليك وطبع هذا العصر بطابع الغدر والفتك والتربص والتآمر (١).

أما عن موقف المصريين من حكمهم فنستطيع أن نقول :

لقد حكم المماليك مصر بعد الأيوبيين وحملوا عبء الحروب الصليبية كما قاموا بصد غارات المغول الجارفة التي قضت على الخلافة في بغداد وعلى حضارتها وظلت تزحف حتى اجتاحت مدن الشام ، وهذا بالطبع جعل لهم هيبة في نفوس المصريين بل في نفوس العالم الاسلامي أجمع ، فضلا عن ظهور المماليك أمام الشعب بمظهر التدين والصلاح والاستمساك بقواعد الدين وتشييد العمائر الدينية يضاف الى ذلك طبيعة أهل البلاد الذين يستجيبون لداعي الدين كل هذه الأمور ساعدت المماليك على حكم مصر وقد رحب بهم المصريون حكاما للبلاد ولم يجدوا غضاضة في أنفسهم من ذلك (٢) ، يشهد لذلك قول القاضي شهاب الدين محمود يمدح السلطان الأشرف خليل عندما فتح عكا واستردها من أيدي الصليبيين :

الحمد لله ذلت دولة الصلب	وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت	رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها	في البحر للشرك عند البر من أرب (٣)

ومن مميزات هذا العصر على الرغم مما اجترحه سلاطين المماليك من تجاهل الشعب المصري وعدم الاكتراث به والاثقال عليه بضروب من الظلم والعنت والارهاق وعلى ما ألفوه من تنازع على السلطة تنازعا يمليه الطمع والهوى — أنه كان أزهى عصور مصر الاسلامية ، فقد أصبحت مصر اذ ذاك عاصمة لدولة عظيمة تمتد حدودها من برقة غربا الى البحر المتوسط شرقا ومن آسيا الصغرى شمالا الى بلاد النوبة جنوبا وخضعت لهذه الدولة بلاد اليمن والحجاز (٤) كما كانت مصر في عهدهم منشورة السلطان في سائر البقاع الاسلامية تدين لها هذه البقاع بالتبعية السياسية والأدبية حيث كانت مركز الاسلام ومنزل الخلافة ومبعث الحركة العلمية بعد أفول شمسها من بغداد (٥).

على أنه كانت هناك عدة عوامل ساعدت على سقوط تلك الدولة العظيمة من أهمها ، الفتن

---

(١) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" جـ١ ق١ م١ ص ٩١
(٢) أحمد صادق الجمال "الأدب العامي" ص ١٤
(٣) ابن شاكر الكتبي "فوات الوفيات" جـ١ ص ١٩٦ و١٩٧
(٤) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ٤١
(٥) عبد الوهاب حمودة "صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي" ص ٩

والثورات والاضطرابات الداخلية اللهم الا في بعض الأحايين حيث يكون السلطان قويا ولعل مرد ذلك أن كل طائفة كانت تنتمي الى سلطان أو أمير (١) يضاف الى ذلك أنه لم يكن هناك نظام ثابت للحكم مما أدى الى وقوع التنافس الشديد بينهم للوصول الى المراكز الكبرى في الدولة (٢) ، وقد ظهرت هذه الاضطرابات والفتن بشكل واضح في عصر "دولة المماليك البرجية" وكان لهذا أسوأ الأثر على مصر وعجل بنهايتها كما كانت هناك اضطرابات خارجية ، فقد اعتاد أمراء سوريا أن يقوموا بحركات ثورية شغلت جانبا من مجهود السلاطين وهناك كذلك غارات البدو المتكررة على مصر وغزوات المغول في عهد زعيمهم تيمور لنك كما ظهرت الأحزاب بشكل واضح بين المماليك فكل حزب ينتمي الى سلطان (٣) وهذه الاحزاب من شأنها ألا تنظر الا الى مصلحتها الشخصية فتركوا الدفاع عن البلاد وانشغلوا بالتنازع فيما بينهم من أجل الوصول الى العرش ، فضلا عن أن هذا العرش كان يعلوه في الآونة الأخيرة من عصر المماليك سلاطين ضعاف ليس لديهم من القوة والحزم بحيث يقبضون على زمام الأمور في الداخل ويدفعون عنها العدو في الخارج فلا عجب ازاء هذه الظروف أن سقطت دولتهم على يد العثمانيين بعد هزيمة آخر سلاطينهم طومان باى في موقعة الريدانية بظاهر القاهرة في المحرم سنة ٩٢٣ هـ / يناير سنة ١٥١٧ م وصارت مصر ولاية عثمانية وتنازل الخليفة العباسي بمصر عن الخلافة لسلاطين آل عثمان وطويت صفحتهم من الوجود .

---

(١) سير وليم موير "تاريخ دولة المماليك في مصر" ص ٣٤

(٢) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ٤٢

(٣) عبد الوهاب حموده " صفحات من تاريخ مصر" ص ١٠ و ١١

الفصـــل الثـــانـــي

xxxxxxxx

البيئة العقـــليـــة

تمهيـــــــد :

لقد كانت بغداد مركز الخلافة العباسية ودارة العلم وهالة الأدب ما في ذلك أدنى ريب أيام العباسيين بفضل تشجيع خلفائهم للحركة العلمية ترجمة وتأليفا لذا فقد اتخـــذها العلماء قبلة لهم وتوافدوا عليها من جميع البلدان شرقية كانت أم غربية وما زال شأن بغـــداد كذلك حتى ضعف الخلفاء وخرج عن طاعتهم بعض البلدان التابعة لهم واستقلوا سياسيا وفـــي مقدمة هذه البلدان مصر حيث ظهر فيها الفاطميون وأسسوا مدينة القاهرة وبدأت تكـــون محورا جديدا لحركات علمية وأدبية أخرى غير أن هذا لم يحط من شأن بغداد ولم يقلل مـــن مركزها في هذا الميدان بل ظلت (أستاذا لأهل هذه الأقطار ومعينا فياضا ينهـــلـــون منه ويردون حياضه)(١) حتى ذهبت بغداد بالطامة الكبرى على يد التتار سنة ٦٥٦ هـ وما كان فيها من قتل العلماء واحراق دور الكتب واغراق الكتب في نهر دجلة وقد كانت نكبـــة لـــم يبل الاسلام ولا المسلمون بمثلها (٢) .

نظر المسلمون حولهم بعد سقوط بغداد وتوالي النكبات عليهم وزوال الرمز الروحي الذي كانت القلوب تجتمع حوله — وهو الخلافة — فلم يجدوا مأوى يأوون اليه ولا ملجأ يلجئون فيه غير مصر والشام حيث كانت دولة المماليك(٣) وقد تمكن هؤلاء من صد غارات المـــغـــول الجارفة وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة في "عين جالوت" فالتفت قلوب المسلمين حينذاك حولهم اذ هم المدافعون عن الاسلام والمسلمين وعلى أثر ذلك عقدت لهم الزعامة السياسية علـــى جميع البلاد المصرية والشامية .

وقد حرص هؤلاء السلاطين على تدعيم ملكهم ورأوا أن خير وسيلة لذلك انما هي فـــي احيـــاء العلوم والمعارف وبذلك أفسحوا المجال للعلماء الفارين من وجه التتار وأنشـــأوا الصيـــغ في ظلهم وقربوهم وأكرموا وفادتهم وقد جد هؤلاء العلماء في احياء التراث الاسلامي آنذاك وأتوا بما يعد فريدا في بابه .

---

(١) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك" جـ٢ ق١ م٣ ص٥ و ٦ (٢) المصدر السابق ص .

(٣) المصدر السابق جـ٢ ق١ م٣ ص١٠ و ١١ ، عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص

على أن سلاطين المماليك قد شعروا في قرارة نفوسهم أنهم مسئولون عن انهاض العلم واقالة عثاره بعد هذه النكبة العلمية الرهيبة التي حدثت في بغداد فجدوا واجتهدوا لاعادة بناء هذا الصرح المنهار من جديد (١) وجدير بالذكر أن سلاطين المماليك وان كانوا من غير ذوي اللسان العربي الا أنهم اعتنوا باللغة العربية عناية دفعتهم اليها الظروف فاستعملوها في ضبط الملك والسياسة والقضاء والعلوم وذلك لعجز لغتهم التركية وغيرها من اللغات الأخرى عن أداء ما يتطلبه هذا الملك الواسع من ضبط وأمن ونشر تعليم ومراسلات الى غير ذلك (٢) وهذا من شأنه أن يساعد أهل العلم على انهاضه واقالة عثاره وتدارك ما فات .

وقد أفسح المماليك في مصر مكانا للخلافة جديدا بعد أن طوى بساطها وانفض سامرها من بغداد وترتب على ذلك أن أصبحت القاهرة مركزا يتطلع اليه جميع المسلمين فلا عجب حينئذ أن قصدها من كل حدب وصوب وهب علماؤهم يحيون من الاسلام مجده الدارس ويجددون له وللعربية ذخائرها العلمية النفيسة (٣) وانتقل النشاط العلمي من بغداد الى القاهرة وبسطت القاهرة زعامتها العلمية والأدبية على البلاد الاسلامية زهاء ثلاثة قرون (٤) ويتحدث السيوطي عن أثر انتقال الخلافة الى القاهرة فيقول "واعلم أن مصر من حين صارت دار خلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط الرحال الفضلاء" (٥) ثم يؤكد السيوطي بأن النهضة العلمية التي بمصر والمركز الأدبي والديني الذي تبوأته في هذه الآونة انما هو راجع الى وجود الخلافة بها وليس الى قوة سلاطين المماليك وما بذلوه من جهد في هذا السبيل فيقول "ولا يظن أن ذلك بسبب الملوك فقد كانت ملوك بني أيوب أجل قدرا وأعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير ولم تكن مصر في زمنهم كبغداد وفي أقطار الأرض الآن من هو أشد بأسا وأكثر جندا من ملوك مصر كالعجم والعراق وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر ولا شعائر الاسلام في أقطارهم ظاهرة كظهورها في مصر ولا نشرت السنة والحديث والعلم فيها كما في مصر" (٦)

---

(١) محمود رزق سليم جـ٢ ق ١ م٣ ص١٧ و ١٨ ، عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر ص٣٧
(٢) نفس المصدر الأخير ص ٣٧ و ٣٨ (٣) محمود رزق سليم "عصر سلاطين المماليك جـ٢ ق ١ م٣ ص ١٢
(٤) المصدر السابق ص ١٣
(٥) السيوطي "حسن المحاضره" جـ ٢ ص ٦٥
(٦) المصدر السابق ص ٦٦

ويفهم من كلام السيوطى أنه ضرب صفحا عن تشجيع المماليك للعلم والعلماء وما بذلوا فى سبيل ذلك من جهد ويرجع رواج الحركة العلمية الى انتقال الخلافة الى مصر فحسب ، صحيح أن انتقال الخلافة كان عاملا قويا فى نشاط الحركة العلمية ولم يكن سببا وحيدا اذ أن فضـــل المماليك فى احياء العلم وتشجيع العلماء وتقريبهم والاغداق عليهم لا ينكره أحد .

وبعد ماقدمناه نستطيع أن نقول ان مركز مصر العلمى والأدبى فى عصر سلاطين المماليك يرتبط بمركز بغداد قبل سقوطها فى يد التتار سنة ٦٥٦ هـ (١) ذلك أن القاهرة حملت بعد سقوط بغداد ما كانت تحمله من أعباء العلم والأدب وأن سيرة القاهرة فى ميدانهما امتداد لسيرة بغداد فى نفس الميدان وان اختلفت الأشكال والألوان (٢) .

وتتمثل مراكز العلم والثقافة فى مصر خلال هذا العصر فيما أنشئ من مدارس ومساجد وما شيد من أربطة وخوانق للصوفية ، فلقد كثر انشاء المدارس فى مصر فى هذا العصر وتنافس السلاطين والأمراء والعلماء فى ذلك وانتشرت هذه المدارس فى جميع أنحاء البلاد فى القاهرة ومصــــر والاسكندرية والفيوم وقوص وقنا واسنا وغير ذلك وقد تحدث الرحالة ابن بطوطة عن مدارس مصر فى القرن الثامن الهجرى فقال "انه لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها" وكان يلحق بهذه المدارس مكاتب صغيرة لتعليم الصبية القراءة والكتابة والعلوم الأولية وتحفظهم القرآن تمهيـــدا للالتحاق بالمدارس العالية ولم يكن فى هذه المدارس عقبات أو مصاعب مادية تحول بين الطالب وبين انتظامه فيها والتحاقه بها (٣) بل على العكس من ذلك كانت الدولة فضلا عن أهل الخير من الأغنياء تمين الطالب والاستاذ معا على التفرغ للعلم وتوفر لهم السكن ونفقات المعيشـــة — عن طريق الأوقاف — كذلك لم يكن يشترط فى الالتحاق بها مجموع وما شاكل ذلك بل كانــــت أبوابها مفتحة ومشايخها حضور يفئ اليهم العالم والجاهل والصغير والكبير على الســـواء (٤) حقيقة أن الفرض الذى بنيت من أجله هذه المدارس وغيرها من المؤسسات العلمية هو رغبـــة السلاطين فى الظهور بمظهر التقوى من جهة ومحاربة المذهب الشيعى من جهة أخرى غـــير أن العبرة بما أثارته هذه المدارس من نشاط علمى كبير (٥) وقد تسابق السلاطين والامـــراء

---

(١) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٣٦
(٢) محمود رزق سليم جـ٢ ق١ م٣ ص ٥
(٣) محمود رزق سليم جـ ٢ ق ١ م٣ ص ٢٨
(٤) محمد عبد العزيز مرزوق "الناصر محمد بن قلاون" ص ٤٠ ، محمود رزق ص ٢٨
عبد الوهاب حموده ص ٣٩
(٥) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٤٠

والأغنياء الى حبس الأعيان الكثيرة ورصد الأموال على هذه المدارس ، وسواء كان دافعهم الايمان الصحيح وحب الخير أو غير ذلك فقد أخذ ذلك بيد طلبة العلم ووفر لهم حياة كريمة الأمر الذى ترتب عليه كثرة وفود الطلاب على هذه المدارس والتحاقهم بها من جميع البلدان (١) ، وقد تحدث ابن خلدون عن كثرة انشاء المدارس والمساجد فى هذا العصر وما ترتب على ذلك من كثرة الطلبة والمدرسين والأوقاف مع ذكر السبب فى ذلك فقال " وذلك أن أمراء الترك فى دولتهم يخشون عادية سلطانهم على ما يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شريكا لولدهم ينظر عليها أو نصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير والتماس الأجور فى المقاصد والأفعال فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم فيها وارتحل اليها الناس فى طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم " (٢) ، على أنه قل أن تجد دارا من دور العلم فى هذا العصر ــ مسجدا كان أو مدرسة ــ الا وقد زود بخزانة كتب فيها من المراجع القيمة والكتب النفيسة العدد الكثير فيستفيد من ذلك الطالب والمدرس على السواء وذلك مثل خزانة الكتب ــ بجامع الحاكم ، جامع المؤيد ، المدرسة المحمودية المدرسة الفاضلية ، المدرسة الظاهرية (٣) ، ولم يكن يلى الاشراف على هذه المدارس أو التدريس بها الا أساتذة مبرزون وعلماء أجلاء اشتهروا بالعلم والفضل وحمد صيتهم وطارت سمعتهم كل مطار وقد أسهم هؤلاء فى احياء العلوم والمحافظة على التراث الاسلامى فى هذه الحقبة القاسية من تاريخ مصر (٤) .

أما عن مواد الدراسة فلم تخرج عن أن تكون اسلامية خالصة مرتبطة بأصول الدين كالفقه والحديث والتفسير واذا كان ثمة مواد أخرى من لغة وغيرها فانما لاتصالها بالعلوم الأولى فضلا عن الدراسات العقلية والكونية ولكن مع احتفاظ العلوم الدينية بالمرتبة الأولى (٥) كذلك أتقنت فى هذا العصر العلوم السياسية والادارية والحربية ووضعت فيها الكتب وضبطت

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق الناصر محمد ص ٤١
(٢) ابن خلدون "التعريف بابن خلدون" ص ٢٧٩
(٣) عبد الوهاب حمودة "صفحات من تاريخ مصر" ص ١٠٢ و ١٠٣ ، محمود رزق سليم جـ ٢ ق ١ م ٣ ص ٦٧
(٤) المصدر السابق ص ٧٠ و ٧١
(٥) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ١٧١

قوانينها ونظامها تحت سلطة المماليك (١) ولم تكن هناك مناهج تحدد للطلبة سبيل الدراسة وتلزمهم باستيعاب مواد معينة كما هو الآن بل ثمة كتب في الفقه والحديث وغيرها يدرسها الشيخ ويختار كل شيخ فيها ما يروقه ويزاول تدريسه للناس فيسمعه منه من يشاء من الطلاب وغيرهم كما كان للطالب أيضا حرية اختيار المواد الدراسية وكثيرا ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العلمية حتى قيل أن ابن حجر كان يجتمع حوله بضعة آلاف من المستمعين والمستملين (٢) .

هذا وسوف نورد نبذة تاريخية عن بعض مدارس هذا العصر فيما يلى : —

المدرسة المحمودية

هذه المدرسة أنشأها الأمير جمال الدين محمود على استادار الظاهر برقوق في سنة ٧٩٧ هـ ورتب بها درسا للحديث وعمل فيها خزانة كتب لم يعرف آنذاك بديار مصر والشام مثلها لا يخرج لأحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة وهي من أحسن مدارس مصر وتقع بخط الموازين خارج باب زويلة (٣)

المدرسة الجمالية

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة وقد ابتدىء في أساسها يوم السبت ١٥ جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ وانتهت عمارتها في شهر رجب سنة ٨١١ هـ وجمع جمال الدين الاستادار منشئ المدرسة القضاة والأعيان وجعل لهم مهما وقرر الشيخ همام الدين محمد بن احمد الخوارزمي الشافعي شيخا للصوفية بها كما قرره مدرسا لفقه الشافعية كذلك قرر لكل مذهب مدرسا وجعل فيها درسا للتفسير وللحديث وكان هؤلاء المدرسون يجلس كل واحد منهم بعد الآخر وكان آخرهم جلوسا مدرس التفسير وقرر عند كل مدرس طائفة من الطلبة وأجرى عليهم الأرزاق وكذلك جعل لكل مدرس ثلاثمائة درهم في الشهر (٤).

---

(١) جورجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية جـ٣ ص١١٤
(٢) سعيد عاشور "المجتمع المصري" ص١٤٥ ، عبد الوهاب حمودة "صفحات من تاريخ مصر" ص ٤٣ و ٤٦
(٣) المقريزي "خطط" جـ٣ ص٣٦٨
(٤) المصدر السابق جـ٣ ص٣٧٩ و ٣٨٠

مدرسة السلطان حسن

تقع فيما بين القلعة وبركة الفيل مقابل القلعة وابتدأ السلطان فى عمارتها سنة ٧٥٧ هـ وقد استمرت العمارة فى هذه المدرسة ثلاث سنين لم تنقطع يوما ما وانفق فى بنائها الكثير وجاءت على أحسن ما يكون. (١)

المدرسة الشريفية الفخرية

تقع هذه المدرسة بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية ، شيدها ووقفها الأمير فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الذى ينتهى نسبه الى جعفر بن أبى طالب وانتهى من عمارتها سنة ٦١٢ وهى من المدارس الخاصة بفقهاء الشافعية (٢).

المدرسة المؤيدية

تقع بجوار باب زويلة من داخله أنشأها السلطان المؤيد أبو النصر المحمودى وانتهت عمارتها سنة ٨١٩ وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار (٣).

المدرسة الخروبية البدرية

هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس أنشأها بدر الدين محمد بن محمد الخروبى بعد سنة ٧٥٠ هـ وقد جعل بها مدرسا للفقه وكذلك معيدا واشترط ألا يلى بها أحد من العجم وظيفة (٤).

المدرسة الصالحية

تقع بخط بين القصرين من القاهرة وهى أربع مدارس للمذاهب الأربعة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب وشرع فى بنائها فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٠ هـ وفرغ منها سنة ٦٤١ هـ وكانت من أجل مدارس القاهرة الا أنه قد تقادم عهدها فرثت ، وأنشد الأديب أبو الحسن الجزار عند افتتاحها قصيدة مطلعها :

---

(١) المقريزى "خطط" جـ ٣ ص ٢٣١
(٢) المصدر السابق ص ٢٣٢
(٣) السيوطى "حسن المحاضرة" جـ ٢ ص ١٤٦
(٤) المقريزى "خطط" جـ ٣ ص ٣٢٤ و ٣٢٥

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى ومن يتغالى فى الثواب وفى البنا

وقال السراج الوراق :

مليك له فى العلم حب وأهله فلله حب ليس فيه ملام

فشيدها للعلم مدرسة غدا عراق أهلها اذ ينسبون وشام

ولا تذكرن يوما نظامية لهـا فليس يضاهى ذا النظام نظام (١)

المدرسة الصلاحية

تقع بجوار الامام الشافعى ويقال لها تاج المدارس بل هى أعظم مدارس الدنيا على الاطلاق لوقوعها بجوار الامام الشافعى ولأن منشئها أعظم الملوك وهو الناصر صلاح الدين وقد شيدها سنة ٥٧٢ هـ وجعل بها مدرسا للفقه الشافعى وجعل فيها معيدين وطلبة ، وولى تدريسها جماعة من الأكابر والأعيان ثم خلت من المدرسين ثلاثين سنة فلما كانت سنة ٦٧٨ هـ أعيد اليها التدريس مرة ثانية على يد تقى الدين بن رزين (٢).

كذلك نلمح فى هذا العصر كثرة بناء المساجد والأوقاف عليها وكانت تعقد بهـا حلقات العلم فى مختلف فروع الثقافة المعروفة آن ذاك ويقصدها من يشاء للاستفادة والاستزادة ويحدثنا شمس الدين محمد بن الصايغ الحنفى من أنه أدرك بجامع عمرو قبل الوباء الذى حدث سنة ٧٤٩ هـ بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه (٣) وكانت مناصب التدريس يومئذ بهذه الجوامع من المناصب العلمية والدينية الرفيعة فلا يتولاها الا من لـه قدم راسخة فى العلم واليكم نبذة مختصرة عن أشهر المساجد آنذاك :-

جـامـع عمـرو

هو أول مسجد أسس بديار مصر بعد الفتح الاسلامى بمدينة الفسطاط وذلك فى سنة ٢١ هـ (٤)

الجـامـع الأزهـر

أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الصقلى حينما اختط القاهرة ابتدأ فى عمارته فى

---

(١) محمود بن خلف السخاوى "تحفة الأحباب وبغية الطلاب" ص ٧٩ ، السيوطى "حسن المحاضرة" جـ٢ ص ١٤٢
(٢) المقريزى "خطط" جـ٣ ص ٣٧٨ ، السيوطى "حسن المحاضرة" جـ٢ ص ١٤٠
(٣) المصدر الأخير جـ٢ ص ١٥٢ (٤) المقريزى "خطط" جـ٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨

أواخر جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ وكمل بناؤه في رمضان سنة ٣٦١ هـ(١) كذلك كان السلاطين والأمراء والأغنياء يشيدون بيوتا للعبادة(٢) كي يقيم فيها الصوفية ليلا ونهارا ويأوى اليها غرباؤهم وفقراؤهم وقد يكون بعض منهم على علم وبصيرة وفقه بالدين وما يتصل به فيكون هذا سببا في بث العلم ونشر أحكام الشريعة وكثيرا ما كان يسند نظر الخانقاه الى أحد العلماء فيكون وجوده باعثا من بواعث التعليم ونواة لدروس العلم على أنه في بعض الخوانق قد رتبت دروس الفقه على المذاهب الأربعة والحديث ومهما يكن من شيء فالخوانق وما شابهها تعتبر الى حد ما دورا من دور التعليم وبيئة من بيئات العلم ومهدا من مهاد العلماء وان لم تصل الى مرتبة المساجد والمدارس(٣) ومن أشهر الخوانق في هذا العصر :—

خانقاه شيخو

هي خانقاه أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون فيما بين الصليبة والرميلة تحت القلعة وذلك في المحرم سنة ٧٥٦ هـ وانتهت عمارتها سنة ٧٥٧ هـ ولما فرغ من عمارتها أقام بها الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي شيخا للصوفية وهذه الخانقاه لم يعمر مثلها في الدولة التركية ولا عمل مثل أوقافها وحسن ترتيب المعاليم بها ورتب فيها أربع دروس على المذاهب الأربعة ودرس حديث ودرس قراءات ومشيخة أسماع الصحيحين والشفاء(٤) .

الخانقاه البيبرسية

هذه الخانقاه من جملة دار الوزارة الكبرى وهي أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة ، بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلي السلطنة وبدأ في بنائها سنة ٧٠٦ هـ ولما كملت في سنة ٧٠٩ هـ قرر بها أربعمائة صوفي وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ورتب بها مدرسا للحديث النبوي ووقف عليها عدة ضياع بدمشق والقاهرة والجيزة وبلاد الصعيد(٥) .

---

(١) السيوطي "حسن المحاضرة" جـ٢ ص ١٣٨
(٢) خانقاه كلمة فارسية معناها بيت وقد جعلت ليختلي فيها الصوفية للعبادة
(٣) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٧٢
(٤) المقريزي "خطط" جـ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ ، السيوطي "حسن المحاضرة" جـ٢ ص ١٤٢
(٥) المصدر السابق الأول جـ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥

حركة التأليف فى هذا العصر

لعلنا نستطيع بعد ماقدمنا أن نقول ان هذا العصر قد حفل بكثير من دور العلم ومؤسساته وزخر بالكثير من العلماء الأفذاذ فى كل علم وفن وقد نشط كثير من هؤلاء العلماء الى الفتوى والتدريس والتأليف وشغلوا مناصب كثيرة وشغفوا بالمحاورات والمناظرات فكان من وراء ذلك حركة علمية واسعة وكنتيجة حتمية لهذه الحركة العلمية الواسعة النطاق ظهرت حركة التأليف اذ هى الثمرة الخالدة والأثر الباقى لها .

لقد نشطت حركة التأليف فى هذا العصر وكثرت المؤلفات العلميه حتى بلغت عدة آلاف وحسبنا دليلا على ذلك أن بعض العلماء قد ألف مئات من الكتب فابن حجر مثلا قد أربت مؤلفاته على مائة وخمسين كتابا والسيوطى بلغت مؤلفاته ستمائة وغير ذلك كثير . غير أننا نجد أن هؤلاء العلماء لم يأتوا بجديد ولم يضيفوا الى الثقافة الانسانية شيئا جديدا ولا غرابة فى ذلك فان العلوم الاسلامية كانت قد استقرت ووضعت قوانينها وبنيت مسائلها وفروعها فلم يجد علماء هذا العصر أمامهم سوى أن يتجهوا وجهة بها ييسّر العلم وتضبط مسائله ويحكم التعبير عن معانيه فكانت وسيلتهم الى ذلك وضع المتون التى تجمع مسائله فى صعيد واحد (١) وبالغ بعض مؤلفى هذه المتون فى ضغط العبارات التى تشير الى المعانى حتى بلغت حد الرموز فصعب بسبب ذلك فهمها على الطلاب واحتاج الأمر الى شرحها فوضعت لها كتب شارحة بل وضعت كتب أخرى شارحة لهذه الكتب الشارحة وهكذا صنع علماء هذا العصر فى كتب متقدميهم فهى فى أيديهم بين شرح واختصار حتى عج العصر بالمتون والشروح وشروح الشروح واختصار الشروح أو التحشية عليها وتهميشها والتنبيه على مافات واضعيها على أننا لانريد أن نغمط هؤلاء العلماء حقهم أونتقص من أقدارهم فان بعضهم قد كملت له أدوات الاجتهاد فعلا كالسبكى وابن دقيق العيد وكان السيوطى يقول عن نفسه "قد بلغت مقامات الكمال فى جميع آلات الاجتهاد المطلق وصرت بذلك متحدثا بالنعمة لافخرا بالدنيا وأى قدر للدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر وقد أزف الرحيل وبدا الشيب وذهب العمر" (٢)

---

(١) عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٦٠
، احمد صادق الجمال "الأدب العامى" ص ٣٥
(٢) الشعرانى "ذيل لواقح الأنوار" ص ٣ ب مخطوط

وقد حفل هذا العصر أيضا بطائفة من العلماء المجددين الذين أخذوا يحيون ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما وقد عد منهم السيوطي ابن دقيق العيد وغيره فقال :

والسابع الراقي الى المراقي ابن دقيق العيد باتفاق

والثامن الجوهر البلقيني أو حافظ الأنام زين الدين (١)

ومهما يكن من شيء فاننا نحمد لرجال هذا العصر ما قاموا به من جهود في نشر العلم والمحافظة على الدين ووضع المؤلفات الممتعة في مختلف فروع الثقافة الاسلامية وعلومها .
على أنه من ميزات هذا العصر وضع كتب جامعة واسعة النطاق تحدثت في موضوعات شتى علمية وأدبية وكثرت فيها الاستطرادات حسب المناسبات فيوجد فيها التاريخ والتقويم والأدب الى غير ذلك فهي موسوعات علمية أو دوائر معارف جليلة النفع عظيمة الأثر وقد أجهد العلماء أنفسهم وقرائحهم في جمع شتات هذه الكتب استدراكا لما فات وتعويضا للاسلام عما فقده من ذخائر في بغداد بالتتار والشام بالصليبيين وفي الأندلس بالفرنجة فألفوا المعاجم اللغوية فوضع ابن منظور الأفريقي المتوفى سنة ٧١١ هـ لسان العرب والفيروز بادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ القاموس المحيط ، كما ظهرت المعاجم التاريخية فابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٨٨ هـ له عيون الأنباء في طبقات الأطباء والادفوي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ له الطالع السعيد ، كما ظهرت الموسوعات الأدبية "ونهاية الأرب" للنويري و "صبح الأعشى" للقلقشندي . (٢)

على أن الذي حدا العلماء الى هذا المسلك هو ما شاهدوه من تخريب البلاد الاسلامية أو شاهدوه من ضياع الكتب في جميع البلدان الاسلامية كالشام والعراق والأندلس فعمدوا الى الاحتفاظ بتلك الآثار واكتنازها بالتلخيص والجمع بحيث تجمع الحقائق الكثيرة في الحجم الصغير ويكون الكتاب الواحد زبدة عشرات من الكتب بحيث اذا سلم كتاب واحد "سلمت جملة علوم بسلامته وهذا الدافع قد تعلموه من الحوادث السابقة أيام سقوط بغداد" (٣)

---

(١) السيوطي "تحفة المجتهدين في أسماء المجددين" ص ٢
(٢) عبد اللطيف حمزه "الحركة الفكرية" ص ٣٧١
، جورجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية" جـ٣ ص ١٢
(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢
، عبد الوهاب حموده "صفحات من تاريخ مصر" ص ٩٢

وأكثر مؤلفى هذه الموسوعات من علماء مصر لأنها كانت القطر الذى عظم رواج العلم فيه فى هذه الأيام حتى قصده العلماء من كل من حدب وصوب .

والذى لا ريب فيه أن مصر كانت تميش أزهى عصورها العلميه والأدبيه فى ذلك الوقت اذ كانت القاهرة مركز الاشعاع ومقر الخلافة ومحط الأنظار وملتقى العلماء والأدباء قدموا اليها من جميع أنحاء العالم الاسلامى ليسهموا فى بعث التراث الذى أوشك أن تنمحى آثاره بسقوط بغداد، وقد وفقت مصر فى هذا الميدان توفيقا عظيما ، وجدير بالذكر أن نشير الى أن حركة الإحياء هذه قد اقترنت بالعصر المملوكى كله وكانت نتيجة للزعامتين الدينية والسياسية اللتين انتهتا الى مصر فى وقت كانت بغداد فيه عاجزة كل العجز عن القيام بهذه المهمة (١) .

وحسبنا دليلا على ماقلناه شهادة ابن خلدون اذ يقول " ونحن لهذا العصر نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها متبحرة وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم " (٢) ، ويقول فى مقام آخر "واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر فهى أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع " (٣)

على أن الذى يعنينا من هذه النهضة العلمية الشاملة هو أن نشير الى أن السنة وعلومها قد احتلت المركز الأول وتبوأت مكان الصدارة من الثقافة الاسلامية آنذاك وقد أشرنا الى هذا كله مفصلا فى المقدمة ، ولقد كانت طريقة علماء هذا العصر فى رواية الحديث تتمثل غالبا فى الاجازة والمكاتبة أما الرواية الشفاهية فقد انقرضت وصار الاسناد فى الحديث بقصد للتبرك اللهم الا فى أفراد قلائل تجود بهم الأقدار الالهية من وقت لآخر فيجددون ماخلق ويحيون ما اندثر (٤) ومرد ذلك هو أن كتب السنة قد ألفت وجمعت وانتشرت الكتابة فى جميع البلدان كما كان للأحداث التاريخية أثر فى بلبلة الأفكار وتوهين همم العلماء عن الرحلة الى الأقطار فى طلب العلم والحديث (٥) ولا يفوتنا أن نذكر أنه قد ظهر فى هذا العصر

---

(١) عبد اللطيف حمزة "الحركة الفكرية" ص ٣٧١ و ٣٧٢
(٢) ابن خلدون " المقدمة" ص ٣٦٤
(٣) المصدر السابق ص ٥٤٥
(٤) محمد أبو زهو "الحديث والمحدثون" ص ٤٣٧
(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

طائفة من علماء الحديث كانوا يجلسون للاملاء [١] ويكتب عنهم أتباعهم الأمالي وأول من أحيا هذه السنة في ذلك العصر هو أبو الفضل العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وتزيد مجالس أماليه على أربعمائة مجلس ، قال تلميذه ابن حجر "شرع في املاء الحديث من سنة ٧٩٦ هـ فأحيا الله به السنة بعد أن كانت داثرة فأملى أكثر من أربعمائة مجلس غالبها من حفظه متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية" [٢] ، ومنهم شهاب الدين ابن حجر أملى أكثر من الف مجلس يمليها من حفظه مهذبة محررة متقنة ويقع فيها من الأبحاث والفوائد المهمة والنكت النفيسة مايفوق الوصف [٣] ومنهم الحافظ السخاوى قال في كتابه فتح المغيث أمليت بمكة وبعدة أماكن من القاهرة وبلغ عدة ماأمليته من المجالس الى الآن نحو الستمائة والأعمال بالنيات ، الا أن طريقة الاملاء كانت غير منتشرة انتشارها في العصور الأولى بل كان معظم علماء الحديث في هذا العصر عاكفين على كتب الأولين بالجمع والاختصار والشرح والتخريج وفي نهاية هذا العصر انعدمت العناية بالحديث وعكف الناس على الفروع الا في بعض البلدان وفي أفراد قلائل .

أما عن المصنفات الحديثية في هذا العصر وطرق العلماء فيها فنستطيع أن نقول ان علماء هذا العصر عكفوا على كتب الأقدمين وتناولوها بالترتيب والتهذيب والانتقاء والتخريج والشرح والاختصار وكانت طرق العلماء في تصنيفها تتنوع الى أنواع شتى منها : —

أولا : كتب الزوائد مثل زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة للحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٤٠ هـ ، المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ ، على الكتب الستة والمسانيد الثمانية هي مسند أبي عمر العدنى ، الحميدى ، مسدد بن مرهد ، الطيالسى ، ابن منيع ، ابن أبي شيبة ، عبد بن حميد ، الحارث ، وله أيضا زوائد مسند البزار

---

(١) الاملاء من وظائف العلماء قديما وهذه سنة قد اندثرت في هذا العصر ، يجلس المحدث ويسمى "المملى" يوما من أيام الأسبوع ويكتب عنه التلاميذ ويتخذ لذلك في العادة رجلا يبلغ عنه يسمى "المستملى" ، والاملاء أشبه في أيامنا هذه بالمحاضرات التي يلقيها الاستاذ على طلابه وهم يسجلون وراءه كل مايمليه وقد أبان النووى في التقريب عن آدابه وكل ما يتعلق به .

(٢) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ١٧٨

(٣) السخاوى "الجواهر والدرر" ص ٧٤٥ : ٧٤٧

وزوائد مسند أحمد على الكتب الستة وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر •

ثانيا : كتب الجوامع العامة ومنها جمع الجوامع للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه هذا جمع الأحاديث النبوية بأسرها وقد اشتمل على كثير من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة •

ثالثا : كتب جامعة لأحاديث الأحكام ومنها بلوغ المرام من أحاديث الأحكام لابن حجر اشتمل على ألف وأربعمائة حديث في الأحكام •

رابعا : تخريجهم لأحاديث جاءت في الكتب العلمية غير مخرجة ومنها الكاف الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر وهو مختصر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي وزاد عليه ما أغفله من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة •

خامسا : تخريجهم لأحاديث اشتهرت على الألسن ومنها المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسن للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ •

سادسا : كتب الأطراف (١) ومنها اتحاف المهرة بأطراف العشرة لابن حجر ، أطراف مسند أحمد لابن حجر أيضا (٢) ، هذه هي أهم أعمال العلماء فيما يتعلق بالحديث وترتيبه وتصنيفه في هذا العصر وما وراء ذلك فشروح ومختصرات•

وبعد فهذه نظرة عجلى ألقيناها على عصر سلاطين المماليك في مصر سياسيا وعلميا ولعلنا نكون قد وفقنا الى الالمام به حتى تكون هناك صورة واضحة المعالم عنه اذ هو العصر الذي نشأ فيه ابن حجر وتأثر به وأثر فيه ، فمن هو ابن حجر هذا ؟ والجواب هو ما سيتضمنه الباب التالي •

---

(١) وطريقة المؤلفين فيها أن يذكروا طرفا من الحديث يدل على بقيته ويجمعون أسانيده اما على وجه الاستيعاب واما مقيدة بكتب مخصوصة •

(٢) محمد أبو زهو "الحديث والمحدثون" ص ٤٤٤ و ٤٤٦ و ٤٤٩ و ٤٥٢

الباب الثاني

نشأة ابن حجر وحياته (١)

الفصل الأول

المبحث الأول : الموطن الأصلي لأسرة ابن حجر

على ساحل بحر الروم بين غزة وبيت جبرين تقع مدينة عسقلان من أعمال فلسطين وقد انضوت هذه المدينة تحت راية الاسلام على يد معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" (٢)

ولم تزل تحت حكم المسلمين الى أن توالت الحملات الصليبية المحمومة على بلاد الشام بقصد استخلاص بيت المقدس من أيدى المسلمين حتى يصبح طريق الحج آمنا فى زعمهم أمام المسيحيين الذين يتوافدون على بيت المقدس كل عام من أجل هذا الغرض ، فاستولوا عليها وانتزعوها من أيدى المسلمين وذلك فى سابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ هـ وظلت فى أيديهم الى أن استنقذها منهم الناصر صلاح الدين الأيوبي — حيث نازلها فى التاسع من جمادى الآخرة سنة ٥٨٣ هـ وتسلمها فى نهايته — ثم قوى أمر الفرنج بعد ذلك واستولوا على عكا وساروا نحو عسقلان فخشى السلطان أن تضعف حاميتها عن الدفاع عنها وأن يتم عليها ما تم على عكا ويجعلوها وسيلة وذريعة الى أخذ بيت المقدس فاستشار كبار رجال دولته وأولى الرأى فيها فأشار عليه علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي بتخريبها فتردد السلطان فى ذلك ولم ينشرح له صدره وقال "والله لموت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ولكن اذا كان فى ذلك مصلحة للمسلمين فلا بأس" (٣) .

وخربت المدينة واشتعلت النار فيها حتى أتت عليها فى نهاية شعبان سنة ٥٨٧ هـ

---

(١) يلاحظ أن هناك عالما آخر يحمل لقب "ابن حجر" وهو احمد بن على ابن حجر الهيثمي ولد بمحلة أبي الهيثم من اقليم الغربية سنة ٩٠٩ هـ ، ونبغ فى كثير من فروع العلم وانتقل الى مكة سنة ٩٤٠ هـ وجاور بها حتى توفى فى رجب سنة ٩٧٣ هـ بعد أن ترك مصنفات علمية غزيرة النفع .

(٢) ياقوت "معجم البلدان" جـ٣ م٣ ص٩٧٣

(٣) بن كثير جـ ١٢ ص٣٤٥

والناس ينظرون الى هذا البلد "ويتباكون على حسنه وطيب مقيله وكثرة زروعه وثماره ونضارة أزهاره .. وكثرة رخامه وحسن بنائه" ثم رحل عنها السلطان في رمضان بعد أن صارت قاعا صفصفا لاترى فيه عوجا ولا أمتا .(١)

في هذه المدينة العامرة ذات الجو الجميل والنسيم العليل والظل الظليل والتي يقول عنها السخاوي المؤرخ أنها "بلد نضر خفيف على القلب محكم الأسوار عظيم البناء مرغوب في سكنه" (٢).

~~ولا عجب في ذلك كله فهي "عروس الشام"~~ (٣) ، كانت تعيش أسرة ابن حجر حتى الثلث الأخير من القرن السادس — ولذلك نسب اليها — ويستأنس لهذا التاريخ برأي — له وجاهته — لبعض الباحثين المحدثين يقول فيه "اننا اذا تأملنا سلسلة نسبه يعني — ابن حجر — ولاسيما كما يرويها هو في كتابه — انباء الغمر — أو كما يرويها السيوطي في — نظم العقيان — لوجدنا أنها تقف عند الجد السابع له مع اختلاف بين المصدرين في اسمي جديه السادس والسابع من حيث التقديم والتأخير فهذان الجدان عند صاحبنا هما — احمد بن حجر — وعند السيوطي — حجر بن أحمد — وقد لا يعنينا كثيرا في هذه الأسطر أيهما السابق للآخر بقدر مايعنينا وقوف كل من الكاتبين عند الجد السابع فقط غير محاول أحدهما تجاوزه ولو الى نسب قبلي فاذا جاز لنا أن نجعل لكل حلقه مدة ربع قرن من الزمان وضممنا الي هؤلاء الجدود السبعة جيل أبيه (نور الدين علي) صارت لدينا ثمانية أجيال تستغرق من التاريخ قرابة قرنين من الزمان ، واذا تذكرنا أن مولد صاحب الانباء كان في سنة ٧٧٣ هـ ، وأنقصنا هذين القرنين من عام مولده تبين لنا أن جده الأكبر وهو الأخير في سلسلة نسب أجداده عاش في عسقلان في ختام الثلث الأخير من القرن السادس للهجرة" (٤) . وذلك عام ٥٧٣ هـ وفي هذه الفترة وما بعدها وعلى وجه التحديد عام ٥٨٧ هـ نزل بالمدينة مانزل وكان من شأنها ماذكرناه قبل ، فاضطر أهلها الى الرحيل عنها وخلفوا أموالهم ووطنهم وراءهم ظهريا واتجه الكثيرون منهم نحو

---

(١) بن كثير جـ١٢ ص٣٤٦ ، ياقوت ج ٣ م٣ ص٩٧٣ ، الجواهر والدرر ص ٧١ و ٧٢

(٢) الجواهر ص ٧٢ (٣) ياقوت "معجم البلدان" جـ٣ م٣ ص٩٧٣

(٣) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص٨

مصر واستوطنوا فيها (١) .

"وليس بمستبعد أن يكون جده السابع قد رحل عن المدينة وهاجر بأسرته مع من هاجر الى البلد الذى حمل لواء الدفاع عن الاسلام والمسلمين وحمى الشرق العربى من خطر الجماعات الصليبية اذ ذاك ثم من الدمار المغولى بعدئذ" (٢)

غير أن المراجع التى بين أيدينا لا توافينا بتاريخ معين ولا تعطينا سنة محددة لرحيل هذه الأسرة بل كل ماذكر فى هذا الشأن مبنى على الحدس والتخمين ، يقول السخاوى متحدثا عن الرحيل العام : "وكان ذلك بعد سنة ثمانين وخمسمائة ظنا" (٣) أخذت الأسرة طريقها الى مصر مع بقية الأهلين كما قلنا "ووجدت ترحيبا من السلطان صلاح الدين فاستقر بها المقام بين القاهرة والاسكندرية واختلطت بالأهالى وتمصرت على مر السنين" (٤) ، وليس بين أيدينا من المراجع والمصادر ما يعطينا معلومات وافية ودقيقة تصور لنا وتوضح حياة هذه الأسرة ابان اقامتها بمصر ، بل كل مايوجد عنها شذرات ونتف مبعثرة ومتفرقة فى ثنايا الكتب يستطيع الباحث بضم بعضها الى بعض أن يكون صورة قد تكون تقريبية عن هذه الأسرة وكيف أن بعض أفرادها ورجالاتها شغلوا مناصب دينية فى مصر والبعض الآخر اتخذ التجارة وسيلة للرزق واكتفوا بها وانصرفوا اليها انصرافا كليا شغلهم عن التدخل فى شئون الحكم والسياسة وبذلك فعاشوا فى طمأنينة وأمان وبحبوحة من العيش ولم يلحقهم من العنت والاضطهاد والمصادرة والتنكيل ما لحق بغيرهم مما تغص به المراجع والحوليات عن هذه الفترة (٥) .

---

(١) ابن شداد "النوادر السلطانية" ص ١٦٥ و ١٦٦ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٣٧

(٢) حسن حبشى "مقدمة الانباء" ص ٩

(٣) الجواهر ص ٧١

(٤) مقدمة الانباء ص ٩

(٥) المصدر السابق ص ١٤

المبحث الثاني : مركز الاسرة الاجتماعي والعلمي

على هذا النمط من حياة السعة والترف والتكريم عاشت الأسرة وانجبت من الأبناء والأحفاد الكثيرين ممن اصبحوا بعد ذلك من ذوى الثراء والنفوذ المالي والأدبي في الدولة كما صاهرت كبار رجال الدولة المملوكية ٠٠ ومرجعنا الذى استقينا منه واعتمدنا عليه في ذلك هو ابن حجر نفسة ٠ فنراه يشير الى خال ابيه احمد بن محمد بن براغيث ويقول عنه " كان احد الاعيان بالقاهرة وهو خال ابى مات في شوال سنة ٧٧٦" (١)

ويحدثنا عن عم أبيه فيقول " عثمان بن محمد بن على الكناني العسقلاني الشهير بابن حجر وبابن البزاز سكن ثغر الاسكندرية فانتهت اليه رياسة الافتاء في مذهب الشافعي هناك ٠٠ وقال العلامة فخر الدين ابو عمرو : مفتى الثغر وفقيه الشافعية في زمانه تفقه على جماعة منهم الدمنهوري وابن الكويك وهو والد ناصر الدين احمد الفقية ومات في سنة ٧١٤هـ وهو عم والدى " (٢)

كما يذكر ايضا ابن عم أبيه " محمد بن عثمان بن على بن حجر العسقلاني الأصل المصرى زين الدين الاسكندراني — فيقول — وكان زين الدين المذكور من فقهاء الشافعية بالثغر " (٣) بل إن اباه نور الدين على تزوج من اخت زكى الدين الخروبي كبير تجار الكارم في مصر والذى يقول عنه ابن حجر انه " تعانى الرياسة وعظم قدره في الدولة وصار كبير التجار ورئيسهم " (٤)

ويقول عنه ايضا لقد " فاق الأقران وخضع له اكابر التجار وصار عين اعيانهم " (٥) كما يقول عنه ابن قاضى شهبه كان " رئيس الكارمية بمصر وتاجر السلطان " (٦) على ان ابن حجر نفسة تزوج من ابنه كريم الدين ابن عبد العزيز ناظر الجيش في مصر ٠ (٧)

وقد يبدو انا اطلنا واسهبنا في ذكر هذه التراجم غير أنه مما يخفف وطأة

---

(١) ابن حجر " الدرر الكامنة " جـ ١ ص ٢٧٤ رقم ٦٦٢
(٢) الدرر — جـ ٣ ص ٦٤ رقم ٢٦٠٧
(٣) الدرر — جـ ٤ ص ١٦١ ، ١٦٢ رقم ٣٩٣٦ ٠
(٤) ابن حجر " ابناء الغمر جـ ١ ص ٣٠٩
(٥) ابن حجر " الدرر جـ ١ ص ٤٨١ ، ٤٨٢
(٦) ابن قاضى شهبه " جـ ٣ ص ١٢ مخطوط
(٧) الجواهر ص ١٦٢٨

اللوم علينا فى ذلك ان الغرض الذى سقناها من اجله هو ان نشير الى أن هذه الأسره عاشت فى مصر واحتلبت مراكز تجارية وعلمية وادبية مرموقه وصاهرت أكابر الناس ولم تعش مغموره بين فئات الشعب ليس لها أى ذكر او شأن فى البلاد وعلى مر السنين غدت تفخر وتعتز بمصريتها ومن يطالع ديوان ابن حجر يرى فيه الكثير من الامثلة التى تدل على ارتباطه الروحى وتعلقه بمصر وحبه اياها كما فى قوله :

متى يتجلى أفق مصر بأقمارى — وأروى عن اللقيا أحاديث بشار
الى مصر وأشواقا لمصر وأهلها — تشوق صب للنوى غير مختار
مرابع لذاتى وملهى شبيبتى — ومبدأ أوطانى وغاية أوطارى (١)

ويتشوق ايضا ويحن الى النيل فيقول :

تركت شراب النيل حلوا وباردا — فكم خدعة لى بعده بسراب
وفارقت من لا طاق لى بفراقه — فما طرق السلوان ساحة بابى (٢)

المبحث الثالث : رأى آخر حول الموطن الأصلى لأسرة ابن حجر

بقى علينا بعد ان تحدثنا عن الموطن الأصلى لأسرة ابن حجر ورحيلها وتاريخه ولو على وجه التقريب ومقامها بمصر ومركزها الاجتماعى والأدبى أن نشير الى ان هناك رأيا آخر حول هذا الموطن وسوف نعرضه فى الصفحات القادمة بما له وما عليه كما هو عند أصحابه ، ذهب أبو المحاسن بن تغرى بردى الى القول بأن أسرة ابن حجر " قدمت أصلا من بلاد الجريد على حدود قابس وقد أشار الى ذلك فى معجم تراجمه المنهل الصافى " حينما قال " وابن حجر نسبة الى آل حجر تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس " ، وقد تابعه فى رأيه تقليدا له دون تحفظ أو احتراس

---

(١) ص رقم ٧٣ب و ٧٤/أ
(٢) ص رقم ٦٩/أ مخطوط

ابن العماد الحنبلي فيذكر في كتابه الشذرات اثناء حديثه عن وفيات سنة ٨٥٢ هـ ترجمة لابن حجر قال فيها بعد ان ذكر سلسلة نسبه " الشهير بابن حجر نسبة الى آل حجر قوم تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد وأرضهم قابس " (١) وجرى معهم في هذا الوادي صاحب فهرس الفهارس حيث قال " وعائلته من آخر بلاد الجريد من أرض قابس حكومة تونس " (٢) على أن المستشرق الفرنسي " كاترمير " هو الآخر قد أرجع ابن حجر الى قبيلة عربية سكنت بلاد الجريد (٣)

ولا أكلف نفسي الرد على كل واحد من هؤلاء المؤرخين والباحثين على حدة بل سأعمد — ان شاء الله الى تفنيد رأى شيخهم ومقدمهم — ابو المحاسن — وعند ذلك تنهار جميع الآراء الاخرى إذ أن أبا المحاسن هو المصدر الذي استقى منه هؤلاء جميعا والمرجع الذي اعتمدوا عليه وهم له فيما ذهب اليه تبع فأقول والله المستعان

إن ماذهب اليه ابو المحاسن لينطوى على خطأ تاريخي عظيم

اذ ليس في سلسلة نسب " ابن حجر " سواء التي ذكرها هو بنفسه او حفيده يوسف ابن شاهين — في تلخيص قضاة مصر — أو غيرهما من ثقات المؤرخين — مايفصح عن الإشارة الى مثل هذا الموطن لأحد من أسلافه وليس في ثبته اسم بربرى وسكت عن هذه الإشارة العيني في " عقد الجمان " والسخاوي في " الضوء اللامع " والسيوطي في " نظم العقيان " (٤)

على أن أبا المحاسن لم يذكر الأسباب التي دفعت هذه القبيلة التي نسب اليها ابن حجر — في زعمه — ولم يشر الى العوامل التي حملتها على المجيء الى بلاد المغرب كذلك نراه لم يبين " العصر الذي نزحت فيه الى تلك المنطقة وهل جاءتها من القبائل العربية التي كانت تعيش في مصر أم هاجرت اليها من بلاد الشام أو العراق أو بلاد العرب ذاتها " (٥) كما أنه لم يذكر لنا المصدر " الذي اعتمد عليه في تقدير هذا النسب " (٦)

---

(١) شذرات الذهب " جـ ٧ ص ٢٧٠

(٢) الكتاني فهرس الفهارس جـ ١ ص ٢٣٧

(٣) حسن حبشي مقدمة انباء الغمر ص ١٠

(٤) المصدر السابق نفس الصحة

(٥) " " " "

(٦) " " " "

وبعد وأن كل ما استند اليه أبو المحاسن واعتمد عليه فى هذا الرأى هو وجود " كلمـــة حَجْر ولعله يكون بعد ذلك كله قد اتضح خطأ أبى المحاسن وبعد رأيه عن الصواب فـــى هذه الرواية التاريخية وحسبنا بعد ذلك أن نذكر " أن أبا المحاسن كان حجه فى أنساب الترك وليس كذلك فى انساب العرب اذ لم يتوفر له حظ كبير فيها وليس بذى القدح المعلى فى هذا الميدان " (١)

ولعل مرد هذا الزلل ومرجع ذلك الخطأ التاريخى هو أن أبا المحاسن اشتبـــه عليه الامر والتبس فخلط بين قبائل ـ حَجَر ، حُجْر ، حَجْر . " اذ كانت القبيلـــة الأخيره وحدها ـ وهى من بنى أسد وليست قبيلة حَجَر هى التى تعيش فى بلاد الجريد حول قابس ومن ثم خلط أبو المحاسن بين حَجَر ، حَجْر فأدى به ذلك الى نسبة ابـــن حجر العسقلانى الى قبيلة حَجْر " (٢)

وأخيرا بعد هذه المناقشة لرأى أبى المحاسن وبيان زيفه وبعده عن الصـــواب يتبين لنا ايضـــا زيف الآراء الاخرى التى قامت واعتمدت على رأيه واتخذته اساسا لهـــا وسلم ماقررناه قبل من أن أسرته عاشت فى عســـقلان بالشـــام .

المبحث الرابع : حول أصل ابن حجر

يكاد ينعقد إجماع الذين كتبوا عن ابن حجر وأرخوا له ممن عاصره أو جاء بـــده على أن أصله ونسبته ـ كنانى عســـقلانى ـ وقبيلة كنانه عربية مافى ذلك ريب حيث أن اسم كنانـــه عربى لايتطرق الى ذلك ادنى احتمال وحسبنا دليلا على عربية هذا الاســـم ان

---

(١) حســـن حبشـــى مقدمة الانباء ص١٠

(٢) السويدى "سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب" صـــ ١٠٠ ، والأسدى " المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث" ص٢٧ و ٢٨

النسابين الذين رفعوا نسب النبى " صلى الله عليه وسلم " الى جدوده الأعلين ذكروا فى سلسلة نسبه أنه ابن " النضر بن كنانه " فتكون قبيلة كنانه عربية وابن حجر أيضا لانتسابه اليها يكون عربيا وجميع الذين أرخوا لابن حجر لم يغفلوا هذه النسبه وهو كونه " كنانى " فشيخ المؤرخين فى عصره تقى الدين المقريزى قد أثبت هذه النسبه حينما تحدث عن والد ابن حجر — فى وفيات سنة ٧٧٧ هـ حيث قال " وتوفى نور الدين على بن محمد بن محمد ابن على بن أحمد بن احمد الكنانى العسقلانى الشهير بابن حجر والد أخينا فى الله الحافظ شهاب الدين ابو الفضل قاض القضاه أحمد بن حجر الشافعى " (١) كذلك ذكر هذه النسبه ابن قاض شهبه أثناء ترجمته لوالد ابن حجر فى وفيات سنة ٧٧٧ حيث يقول " هو على بن محمد بن محمد ابن على بن أحمد بن أحمد الشيخ نور الدين الكنانى العسقلانى الاصل المصرى المشهور بابن حجر " (٢) وابن حجر نفسه لم تفته هذه النسبه خلال ترجمته لوالده اذ يقول عنه " على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن حجر العسقلانى ثم المصرى الكنانى " (٣) ونراه أيضا قد سجلها وقيدها حينما ترجم لعم والده حيث قال " عثمان بن محمد بن على بن احمد بن محمود الكنانى العسقلانى الشهير بابن حجر " (٤)

والسخاوى تلميذه الوفى ومريده أثبت هذه النسبه اثناء ترجمته له فى كل من "التبر المسبوك ص ٢٣٠ والضوء اللامع جـ ٢ ص ٣٦ والذيل على كتاب رفع الاصر المسمى بغية الوعاة ص ٧٩" وقال أيضا " قرأت بخط صاحب الترجمة رأيت بخط والدى أنه كنانى الاصل وكتب شيخنا مره الكنانى القبيلة " (٥) كما أشار الى هذه النسبه " صاحب الترجمة فى جواب استدعاء منظوم بقولـه :

من أحمد بن على بن محمد ابن محمد بن على الكنانى المحتد (٦)

ويزيد نا البرهان البقاعى تلميذ ابن حجر ثقة على ثقة فى صحة هذه النسبه وصدقها اثناء

---

(١) المقريزى السلوك جـ ٣ ق ١ ص ٢٦٢ تحقيق سعيد عاشور
(٢) تاريخ ابن قاض شهبه جـ ٢ ص ٢٣٣ مخطوط
(٣) انباء الغمر ص ٥٣
(٤) ابن حجر الدرر الكامنه جـ ٣ ص ٦٤
(٥) الجواهر والدرر ص ٧٠
(٦) الجواهر ص ٧٤

ترجمته لابن حجر اذ يقول " وقد نظم ـ أي ابن حجر نسبه ومولده وغير ذلك في قصيدة كتبها وأنشدنيها بقراءتي عليه في ذي الحجة سنة ٨٣٦ هـ ظاهر السك من قرى دمشق وهي :

الحمد لله الكريم السيد ذي الفضل من يهده بهدى يهتدي

وصلى في هذه القصيدة على الأصحاب والتابعين ومن نقلوا السنة وحافظوا على الدين الى أن قال (١) :

من احمد بن على بن محمد ابن محمد بن على الكتاني المهتد

فهذا صريح في أن ابن حجر نفسه واثق تماما من هذه النسبة الكتانية ـ العربية ـ ومن أراد المزيد فليراجع (٢) .

وحتى أبو المحاسن الذي رد أصل ابن حجر الى قوم يسكنون بلاد الجريد من أرض قابس ـ والتبس عليه الأمر في ذلك ـ لم يغفل هذه النسبة فقال أثناء ترجمته له في (المنهل الصافي) "هو أمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكناني العسقلاني والمستشرق الفرنسي "كاترمير" هو الآخر أرجع ابن حجر الى قبيلة عربية وان جانبه الصواب في ذكر موطنها (٣)

وقصدنا من ذكر هذه المصادر وتعدادها أن نؤكد للقارئ ونثبت له بالأدلة القاطعة التي لا يرقى اليها أدنى ريب أن ابن حجر عربي الأصل وكل قول ينفي عنه ذلك فهو تجن على الحقيقة مخالف لما أجمع عليه من أرخوا لابن حجر .

---

(١) البقاعي "عنوان الزمان" جـ١ م١ ص٣٥
(٢) السيوطي "نظم العقيان" ص٤٥ ، حسن المحاضرة جـ١ ص١٥٢
، الشوكاني "البدر الطالع" ج ١ م ١ ص ٨٧
، المناوي "اليواقيت والدرر" ص٣
، الشمسي ابن طولون "القلائد الجوهرية" ص ١٤٥
(٣) حسن حبشي "مقدمة انباء الغمر" ص ١٠

المبحث الخامس : رأى جديد حـــــول أصل ابن حجر ونسبته

على الرغم مما سقناه من نسبة المؤرخين المعاصرين لابن حجر وردهم أصله الى قبيلة "كنانة العربية" فهناك رأى آخر لبعض الباحثين والمحققين المحدثين (١) يخالف هـــــذا الاتجاه تماما ويرد أصله ونسبته الى أصل كردى ومع ذلك نراه قد تردد فيه ولم يجزم به حيث يقول "ربما كان هو الآخر - أى النسب الكردى - مسلسلا من نسب وأصل عربى"(٢) ثم ساق الدليل على ماذهب اليه فقال " ان السخاوى يذكر أن شيخه ابن حجر رد أصله فى كتابه - صفة النبى - الى جد سماه (احمديل) " فى قوله "هو أحمد بن على بن محمد ابن محمد بن على بن أحمد بن أحمديل" وقد لاحظنا أن هذا الاسم وهو "أحمديل" يرد فى ترجمة عم ابن حجر واسمه شعبان بن محمد - وورود هذه النسبة عند ابن حجر نفســه وبقلمه ذاته وعند السخاوى دليل على أن أحد جدود هذه الأسرة كان يسمى بـ" أحمديل" وهو اسم كردى صريح لا شبهة فى كرديته وليس ابن حجر - وهو النسابة الثقة - بمن ينتحل لأحد قبيلة ليس له فيها عرق" (٣) .

ثم نراه بعد ذلك يبرهن ويسوق الدليل على أن اسم "أحمديل" كردى فيقول "ولا شـــك أن - أحمديل - اسم يتردد فى أسماء الأكراد وحسبنا أن نشير الى رجل يحمل هـــــذا الاسم فى عصر نور الدين محمود بن زنكى وهو - أحمديل بن ابراهيم - حاكم أذربيجـــان الذى (سماه أمـــدروز) ناشرذيل تاريخ دمشق بالأمير الكردى" (٤) . ثم يقول وهو لا يـــزال فى معرض التدليل على رأيه "فاذا تقرر ذلك - أى أن اسم أحمديل كردى - فى الأذهان وصحت معه اشارة ابن حجر بخطه الى هذا الاسم فى نسبه - فى صفة النبى - برزت فـــى بؤرة الترجيح فكرة العرق الكردى فى أسلاف ابن حجر" (٥) . ثم ذكر بعد ذلك أنه فـــى زمن نور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبى من بعده كثرت هجرات الأكراد الى بلاد الشـــام وفلسطـــين ومصر " ولا يستبعد والحال هذه أن تكون ثمة أسرة تدعى بأسرة - أحمديل -

---

(١) حسن حبشى

(٢) حسن حبشى "مقدمة انباء الغمر" ص ١٣

(٣) المصدر السابق ص ١٣

(٤) " " "

(٥) " " ص ١٣ و ١٤

ترجع الى أصل عربى قديم قد وفدت الى فلسطين مع من وفد الى عسقلان بالذات ثم تناست اسمها الكردى كما لا يستبعد أن يكون ابن حجر قد آثر الصمت عن هذه النسبة فى عصر المماليك الجراكسة الذى يكاد يخلو من جنس الكرد " (١) .

هذا هو رأى الباحث وأدلته كما أورده دون تجنّ عليه بتزيد أو نقصان وفى هذه الأسطر القليلة القادمة ينبغى لنا بل نراه لزاما علينا أن نضع أمام عينى القارئ النص الذى اعتمد عليه الباحث فيما ذهب اليه ليكون — أى القارئ — حكما عدلا بيننا وبينه فى هذه القضية . وليستبين له بوضوح وجلاء كيف أن الباحث — سامحه الله — فهم من النص ما يساعده على ما ذهب اليه وفسره بما يؤيد فكرته ورأيه وان كان فى ذلك بعد عن الحقيقة ومجانبة للصواب . وصريح النص كما أورده السخاوى حينما تحدث عن نسب ابن حجر هو " أما نسبه فهو أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد هذا هو المعتمد فى نسبه لا أذكر زيادة على ذلك " .

ثم ذكر السخاوى أنه رأى زيادة على هذا النسب " بخط صاحب الترجمة نفسه فى آخر نسخة من صفة النبى " صلى الله عليه وسلم " لأبى على محمد بن هارون بخط قريبه الزين شعبان لكن باسقاط محمود ونص كتابته — أى ابن حجر — نسخة شعبان بن محمد بن محمد بن على ابن أحمد بن أحمد بن أحمد يل العسقلانى " (٢) . ثم ساق السخاوى آراء أخرى فى سلسلة نسبه ولكنه ارتضى الرأى الأول واعتمده فقال "وانما جزمت بالأول لكثرة ما وجدته كذلك بخطه" (٣) .

وأخيرا وبعد أن ذكرنا رأى الباحث والنص الذى اعتمد عليه فى ذلك يجمل بنا أن نشير الى أن صاحب هذا الرأى أستاذ فاضل ومحقق له مكانته العلمية التى لا يجحدها أحد فى حقل إحياء التراث الانسانى وتحقيقه وفوق هذا فهو أستاذنا ومعلمنا ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقول كلمة الحق وأن نتناول بالنقد والتفنيد رأيه الذى ذهب اليه ودعمه بالأدلة فقديما قال أرسطو المعلم الأول عن أستاذه "أفلاطون صديقى والحق صديقى ولكن الحق أحب الى" نعم الحق أحب الى . ومن هنا سوف أشرع فى مناقشة هذا الرأى ومناقشته مستعينا بالله

---

(١) حسن حبشى ص ١٤

(٢) الجواهر ص ٦٧ و ٦٨

(٣) المصدر السابق ص ٦٩

فنقـــول :ـ

أولا : ان الباحث نسب الى السخاوى ماهو منه براء وتقول عليه مالم يقله حيث يقول ان السخاوى ساق سلسلة نسب شيخه على هذا النمط " هو أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على ابن احمد بن أحمديل " (١) ونص السخاوى صريح وواضح ليس فيه هذه الزيادة اذ يقول "أما نسبه فهو أحمد بن على بن محمد بن على بن محمود بن أحمد " هذا هو المعتمد في نسبه لاأذكر زيادة على ذلك " (٢) .

فكيف يسوغ للباحث بعد هذا أن ينسب هذه الزيادة ـ أحمديل ـ الى السخاوى ويقول انه ذكرها في سلسلة النسب ؟ صحيح ان السخاوى ذكر هذه الزيادة على انه رآها بخط شيخه في سلسلة نسبه لا أنه قال بها واعتمدها بدليل انه ساق آراء أخرى في سلسلة هذا النسب ولكنه لم يرتض شيئا منها بل اعتمد الرأى الأول المجرد من هذه الزيادة فقال "وانما جـــزمت بالأول لكثرة ما وجدته كذلك بخطه" (٣) هذا هو رأى السخاوى لا لبس فيه ولا غموض فـــي قضية هذا النسب فكيف يقول السخاوى بزيادة ـ أحمديل ـ كما يدعى الباحث .

ثانيا : يدعى الباحث أن السخاوى "يذكر أن شيخه ابن حجر رد أصله في كتابه ـ صفـة النبي ـ "صلى الله عليه وسلم" الى جد أسماه ـ أحمديل ـ (٤) ، والواقع أنني حينما قرأت رأى الباحث ألقى في روعي بادىء ذي بدء أن ابن حجر له مؤلف يصدق عليه هذا الاسم ـ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ـ وأخذت في البحث والتنقيب عنه ورجعت الى جـــميع المصادر التي كتبت عن ابن حجر ومؤلفاته فلم أجد في صفحاتها ـ الخاصة بمؤلفاته ـ ولا بين ثناياها ما يشير الى أن ابن حجر له مؤلف بهذا الاسم وبعد بحث وتنقيب اتضح أن كتـــاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، الذى نسبه الباحث الى ابن حجر عن عمد أو خطأ ليتخــذ منه دليلا وبرهانا على ما ذهب اليه من أن ابن حجر كردى الأصل ، انما هو من مؤلفات ـ أبي على محمد بن هارون ـ (٥) والنسخة ملك لشعبان بن محمد ـ عم ابن حجر ـ وبخطه

---

(١) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ١٣

(٢) السخاوى "الجواهر" ص ٦٧

(٣) المصدر السابق ص ٦٩ . (٤) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ١٣

(٥) يقول ابن حجر في المجمع المؤسس في ترجمة فاطمة بنت محمد بن عبد الهادى قرأت عليها كتاب ـ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ـ لأبي على محمد بن هارون بن شعيب " ص ٢٤٨

غاية ماهنالك أن ابن حجر كتب عليها بخطه مايفيد ملكية عمه لها ، والبكم النص الذى فهم منه الباحث أن كتاب — صفة النبى "صلى الله عليه وسلم" — من مؤلفات ابن حجر ، يقول السخاوى — متحدثا عن زيادة "احمديل" فى نسب شيخه — أنه رآها "بخط صاحب الترجمة نفسه فى آخر نسخة من — صفة النبى (صلى الله عليه وسلم) — لأبى على محمد ابن هارون بخط قريبه الزين شعبان لكن باسقاط محمود ونص كتابته — أى ابن حجر — نسخة شعبان بن محمد بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن أحمديل " (١)

فهل بعد هذا يصح للباحث أن ينسب لابن حجر من المؤلفات ماليس له علما بأن نسبة هذا المؤلف الى محمد بن هارون من البديهيات والمسلمات التى لا يختلف فيها اثنان ، على أن ورود هذه الزيادة — أحمديل — بخط ابن حجر لا تنهض دليلا قويا على أن أصله كردى اذ لم يذكرها الا مرة واحدة فى آخر هذه النسخة ولو كانت فى نسبه حقيقة لذكرها مرات ومرات. فضلا عن أنه — يمكن أن يقال ان — يل — فى "أحمديل" مصحفة عن ابن بزيادة قليلة فى رأس النون الى أعلى ونقل نقطتها الى الباء قبلها حتى صارت — يل — ويساعدنا فيما ذهبنا اليه من أن "يل" فى "أحمديل" مصحفة عن ابن أن سلسلة النسب التى ساقها ابن حجر عن نفسه فى "انباء الغمر" فيها بعد الجد السادس وهو أحمد جد آخر اسمه حجر فصحفت "بن" الواقعة بين الجد السادس وهو أحمد والجد السابع وهو حجر الى "يل" بعد أن سقط من النسب جده الأخير وهو حجر .

ومع هذا يسترسل الباحث فى الاستدلال على رأيه وما ذهب اليه فيقول " وورود هذه النسبة عند ابن حجر نفسه وبقلمه ذاته وعند السخاوى دليل على أن أحد جدود هذه الأسرة كان يسمى "أحمديل" وهو اسم كردى صريح لا شبهة فى كرديته" (٢)

وقد أوضحنا — بقدر الوسع — فيما سبق بعد رأيه عن الصواب ومجافاته للحقيقة فى هذه القضية على أن سلسلة النسب التى ساقها — ابن حجر — مشتملة على — أحمديل — لم يذكر فيها الا ستة جدود فقط والباحث نفسه الذى يميل الى القول بوجود — أحمديل — فى نسب ابن حجر — حتى يثبت انه كردى — مع نقص جدوده فى هذه السلسلة نراه فى مكان آخر يميل الى القول بأن جدوده سبعة حيث يقول " اننا اذا تأملنا سلسلة نسبه — أى ابن حجر — ولا سيما كما

---

(١) الجواهر ص ٦٧ و ٦٨

(٢) حسن حبشى "مقدمة الانباء" ص ١٣

يرويها هو في كتابه — انباء الغمر بأنباء العمر — أو كما يوردها السيوطي في — نظم العقيان — لوجدنا انها تقف عند الجد السابع له على اختلاف بين المصدرين في اسمي جديه السادس والسابع من حيث التقديم والتأخير فهذان الجدان عند صاحبنا هما — أحمد ابن حجر — وعند السيوطي — حجر بن أحمد •(١)

وهذا تناقض غريب واضطراب في الرأي عجيب كان ينبغي أن يتنزه عن الوقوع فيه — مثل هذا الباحث — ولكنه جنح الى هذا تأييدا لرأيه وفكرته في كلا الموضوعين وليت الأمر وقف بالباحث عند هذا الحد بل اننا نلمح في مكان آخر أنه رمى ابن حجر بالضعف والخور واتهمه بأنه ليس لديه من الشجاعة الأدبية مايمكنه من أن يظهر نسبه وجدوده الأكراد — في زعمه — وأنه آثر الصمت والسكوت عن هذه النسبة لأنه يعيش " في عصر المماليك الجراكسة الذي يكاد يخلو عن جنس الكرد • (٢)

ونحن لانعقب على هذا بأكثر من أننا نسائل — الباحث — ماهي مكانة ابن حجر الاجتماعية في عصر هذه الدولة التي عاش في ظلالها — حتى يسكت ويؤثر الصمت عن نسبه — والباحث نفسه لايملك الا أن يعترف بأنه في عصر هذه الدولة كانت الأنظار تتطلع اليه حيث شغل كثيرا من الوظائف والمراكز الهامة مما يدل على أنه ساد في تلك الحياة وبلغ من سمو منزلته الاجتماعية انه جالس السلاطين والأمراء وخالطهم وكلام الباحث نفسه في هذا صريح واضح حيث يقول "ولقد شغل ابن حجر كثيرا من الوظائف الهامة في الادارة المملوكية المصرية وهي وظائف هيأت له السبيل للوقوف على مجريات السياسة المصرية ودخائلها آنذاك ومكنته من الاتصال المباشر بالمصادر الأولى لأحداث هذا العصر سواء كانت هذه المصادر هي السلاطين أنفسهم أم كبار رجالات الدولة" (٣) • كما يذكر في مكان آخر مايؤيد ذلك حيث يقول " واستطاع ابن حجر بفضل مكانته في دوائر الحكم العليا " (٤) •

ورجل بتلك المثابة وهذه المنزلة — باعتراف الباحث — هل من المعقول أن يسكت عن أن يذكر نسبه ويسجله في عدد من مؤلفاته خصوصا وأنه مؤرخ وصاحب حوليات فضلا عن أن هذا لايكلفه كثيرا ولايرهقه من أمره عسرا •

وحتى لو سلمنا بأن ابن حجر سكت عن نسبه الكردي لانه كان يعيش في عصر دولة المماليك

---

(١) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ٨ (٢) نفس المصدر ص ١٤
(٣) نفس المصدر ص ٢٠ (٤) نفس المصدر ص ٢١

الجراكسة .. فما الذى منع أبا المحاسن بن تغرى بردى الأتابكى التركى وهو الذى قد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة عند وفاة ابن حجر (١) — من أن يتحدث فى أحد كتابيه — "المنهل الصافى" أو "النجوم الزاهرة" عن هذا النسب وهو الذى قال رأيه بصراحة قبل ذلك — فى موطن أسرته — ماذاك الا لأن نسبه وأصله عربى وليس كرديا كما يرى الباحث . وفى رأيى أن الأقرب الى التصديق والقبول فى سلسلة نسب ابن حجر على كثرة اختلاف المؤرخين وتعدد آرائهم فى ذلك هى تلك السلسلة التى ساقها ابن حجر نفسه فى مقدمة "انباء الغمر بأنباء العمر" — على هذا النمط — احمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود ابن حجر . لان عدد جدوده فيها قد وافق عليه البقاعى تلميذه وصاحبه فى كتابه (٢) . وكذلك من بعده السيوطى فى نظم العقيان — هذا من جهة — ومن جهة أخرى . لأنها أكمل وأتم وليس فيها اسقاط لأحد من أجداده ولا يضيرنا أن السخاوى تلميذ ابن حجر قد اعتمد غيرها فى كتابه "الجواهر والدرر" — وليس فيها مايشتم منه — فضلا عن أن يدل على أنه كردى .

ولا يفوتنا ونحن مازلنا بصدد مناقشة الرأى السالف الذكر أن نسجل أن الباحث نفسه أثناء مناقشته للرأى القائل بأن ابن حجر عربى الأصل — وهذا بالطبع يخالف اتجاهه تماما — قال "ربما بنى السيوطى هذا الزعم على ورود كلمة "الكنانى" فى سلسلة نسب ابن حجر وان لم تنهض فى ذاتها دليلا على الوصول به الى ذلك الأصل" (٣) ونحن من جانبنا نرد عليه بما رد به على السيوطى فنذكر انه هو الآخر بنى رأيه على ورود كلمة — أحمد يل — فى نسب ابن حجر وورودها لا ينهض دليلا على الوصول به الى ماتجه اليه من أن أصل ابن حجر كردى كما سبق أن ذكرنا ذلك وبيناه . ثم يأخذ الباحث فى مناقشة ومناقضة كل ما من شأنه أن يثبت أن أصل ابن حجر — كنانى عربى — فيقول " وربما قيل أن ابن حجر نفسه أشار الى ذلك الأصل ، غير أن اشارته لم تعد — فى كل ما ألف وأملى — مرتين : .

أولاهما فى اجازة أجازها لأحدهم جاء فيها :

من أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى المعتد

---

(١) وذلك لأنه ولد فى سنة ٨١٢ هـ

(٢) "عنوان الزمان" جـ١ ص ٣٥

(٣) حسن حبشى "مقدمة الانباء" ص ١١

وثانيهما : اشارته العابرة بأنه قرأ بضعة أسطر بخط أبيه يذكر فيها أنه كناني الأصل ولم يعلق ابن حجر على هذه الأسطر بنفي أو اثبات وفي رأينا انه لو كانت هذه النسبة ترتكز على أساس مدعم قوي لأوردها ابن حجر في مؤلفاته وفتاويه واجازاته ولكن موقفه في تحري الحقيقة التاريخية وتجريحه لكل مايشتم فيه رائحة الضعف باعدا بينه وبين الوقوع في مثل هذا الزعم »(١).

ويبدو من كتابة الباحث انه متعصب لرأيه ويريد أن ينفي ويشكك في كل ما من شأنه أن يثبت أن ابن حجر — كناني عربي — ودليلنا على ذلك أنه يقول إن اشارة ابن حجر الى أصله — الكناني — لاتعدو مرتين وهو قول ظاهر الخطأ بين البطلان . فان ابن حجر أشار الى هذه النسبة أثناء ترجمته لوالده(٢) ، وكذلك أشار اليها حينما ترجم لعم والده عثمان بن محمد (٣) . وأيضا أشار اليها حينما ذكر انه رآها بخط والده (٤) ، كما أشار اليها في جواب استدعاء منظوم حيث قال :

من أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني المحتد (٥)

كما أشار اليها ابن حجر في قصيدة ألفها وقرأها عليه تلميذه البرهان البقاعي سنة ست وثلاثين بدمشق (٦) . ثم بعد هذه الاشارات وتلك التصريحات يقول الباحث انه لم يشر اليها في مؤلفاته الا مرتين فهل بعد هذا من تعصب أو بعد عن الصواب وفوق هذا فانه اتخذ ذكر ابن حجر واشارته لها مرتين — كما يزعم — ذريعة ووسيلة للتشكيك فيها — أي نسبته العربية — وعدم الجزم بصحتها .

واذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى أن يتشكك ويرتاب فيما ذهب اليه — هو — من أن أصله — كردي — حيث لم يشر ابن حجر الى هذا الأصل الا مرة واحدة فأي الرأيين بعد هذا أولى بالتصديق والقبول لو كان الباحث من المنصفين المنزهين عن الهوى والتعصب .

---

(١) حسن حبشي "مقدمة الانباء" ص ١١
(٢) انباء الغمر ص ٥٣ "مخطوط"
(٣) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٦٤
(٤) الجواهر والدرر ص ٧٠
(٥) المصدر السابق ص ٧٤
(٦) عنوان الزمان جـ١ م١ ص ٣٥ "مخطوط"

المبحث السادس : تنبؤ صوفي بمولد ابن حجر

لقد كان لنور الدين علي والد [(١)] "ابن حجر" ولد من غير زوجته ، والدة [(٢)] "ابن حجر" ، قرأ الفقه وفضل وعرض المنهاج ثم أدركته المنية فحزن عليه والده حزنا أسلمه الى الجزع ، وكان موته نازلة ارفض لها صبره فاستسلم للوجد ، غير أن مما خفف من جزعه وكفكف من دموعه وجعل السلوى تجد طريقها الى قلبه المجروح وفؤاده المكلوم أنه حضر يوما الى الشيخ يحيى الصنافيري [(٣)] فبشره بأن الله سيخلف عليه غيره ويعمره أو نحو ذلك ، يقول ابن حجر "فولدت أنا له بعد ذلك بيسير وفتح الله بما فتح" [(٤)].

ويقال أن لفظ الصنافيري لوالد ابن حجر " يخرج من ظهرك عالم يملأ الأرض علما " [(٥)].

---

(١) هو نور الدين علي بن قطب الدين العسقلاني المصري ولد في حدود سنة ٧٢٠ هـ وكان أصغر اخوته وتعانى من بينهم طلب العلم وتذهب للشافعي فضلا عن اشتغاله بالتجارة وسمع من أبي الفتح ابن سيد الناس ومهر في الأدب وقال الشعر فأجاد وناب في حكم القاهرة عن ابن عقيل الذي توثقت بينهما عرى الصداقة وكان موصوفا بالعقل والمعرفة والديانه ومحبة الصالحين ، توفي في شهر رجب سنة ٧٧٧ هـ

(٢) هي تجار بنت الفخر أبي بكر بن محمد بن ابراهيم الزفتاوي ، خرجت من أسرة ثرية ثرية موفورة المال والجاه معا ، فأخوها صلاح الدين أحمد أحد تجار الكارم بمصر وقد انشأ من ماله الخاص قاعة - وكالة - في مصر تجاه مقياس الروضة ، وقبل زواجها من والد ابن حجر كانت تحت احمد بن عبد المهيمن البكري الذي كان داعية التماليم ابن عربي ثم طلقت منه لسبب خفي لم يشر أحد من المؤرخين اليه وزفت بعد ذلك الى نور الدين والد ابن حجر ، وذلك في سنة ٧٦٦ هـ . أما وفاتها فلم يشر أحد من المؤرخين الى تاريخها .

(٣) الشيخ يحي الصنافيري نسبة الى قرية صنافير من أعمال القليوبية سكن بزاويته الصنافير ثم تحول عنها الى تربة شيخه أبي العباس ، فسكنها بطرف القرافة وكثرت مكاشفاته حتى صارت في حد التواتر وهرع الناس الى زيارته ، توفي في ٢٦ من شعبان سنة ٧٧٢ هـ (ابن حجر الدرر الكامنة جـ٥ ص ٢٠٧) .

(٤) الدرر الكامنة جـ٥ ص ٢٠٧

(٥) الجواهر ، ص ٧٣

المبحث السابع : مولد ابن حجر

لقد انعقد اجماع المؤرخين على أن ابن حجر ، ولد في شهر شعبان سنة ٧٧٣ هـ أول مارس سنة ١٣٧٢ م ، الا أنه لم تتفق كلمتهم في تحديد اليوم الذى ولد فيه بل اختلفوا فيما بينهم ، فالسخاوى تلميذه ذهب الى أنه ولد في اليوم الثانى والعشرين من هذا الشهر وتبعه فيما ذهب اليه جماعة من المؤرخين (١) .

بينما نرى ابن فهد المكى ومن لف لفه ذهبوا الى أنه ولد في اليوم الثالث والعشرين (٢) .
كذلك نرى ابن حجر لم ينص على تاريخ مولده في ترجمته التى كتبها لنفسه في رفع الاصر عن قضاة مصر ، والذى نرجحه ونطمئن اليه هو أنه ولد في الثالث والعشرين حيث أن ابن حجر أخبر به وكتبه بخطه لأحد من اجتمعوا به والتقوا معه ، يقول الغزى "ومولده كما أخبرني به وكتبه لي بخطه في ثالث عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة" (٣) .
وكانت ولادته بمنزل والده على شاطئ النيل بناحية مصر العتيقة بجوار منطقة دير النحاس والجامع الجديد . (٤) ، ولقد ظل ابن حجر مقيما بهذه الناحية ولم ينتقل منها الى القاهرة الا قبيل نهاية القرن الثامن الهجرى حينما بلغ مبلغ الرجال وتزوج بأم أولاده وذلك في سنة ٧٩٨ هـ (٥) "فسكن بقاعة منكوتمر جد أبى أمها المجاورة لمدرسته داخل باب القنطرة بالقرب من حارة بهاء الدين واستمر بها حتى مات" (٦) .

وقد نظم ابن حجر قصيدة طويلة أشار فيها الى نسبه ومولده نذكر منها ما ينهض شاهدا على ما نحن بصدده ، يقول ابن حجر :

ومصر مولده وأصل جدوده ... من عسقلان المقدسية قد بدى

ثم قال :

شعبان عام ثلاثة من بعد سبع ... سبعين اتفاق المولد (٧)

---

(١) السخاوى "الجواهر" ص ٧٢ ، البقاعي "عنوان الزمان" ص ٣٠ ، السيوطى "نظم العقيان" ص ٤٥
(٢) لحظ الألحاظ ص ٣٢٦ ، لشمس بن طولون ، القلائد الجوهرية ص ١٤٥
(٣) بهجة الناظرين ص ١٦٣
(٤) الجواهر ص ٧٢ ، الضوء اللامع جـ ٢ ص ٣٦ ، القلقشندى صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٩٦-٢٩٦
(٥) الجواهر ص ١٦٢٩
(٦) المصدر السابق ص ٧٢
(٧) البقاعي "عنوان الزمان" ص ٣٥

المبحث الثامن : لقبه — كنيته — شهرته

لقد لقب ابن حجر — بشهاب الدين — وكنى بأبى الفضل كما أراده له والده [١].
يقول ابن حجر أثناء ترجمته لوالده "وأحفظ منه أنه قال كنية ولدى أحمد أبو الفضل" [٢].
ولم تكن هذه التكنية من الوالد عرضا أو عن غير قصد بل انه قد أعجب وفتن بشخصية عالم من علماء مكة وقضاتها تحمل هذه الكنية فأطلقها على ابنه تفاؤلا ورجاء أن يكون مثله ، يقول السخاوى "وكنى بذلك تشبيها بقاضى مكة أبى الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلى النويرى اذ كان — ابن حجر — مع أبيه وهو طفل هناك" [٣] ، ويبدو أن ابن حجر لم يقنع بهذه الكنية لما شب عن الطوق ولازم شيخه فى الحديث — عبد الرحيم العراقى — فطلب منه بل وألح عليه أن يكنيه فكناه "أبا العباس" [٤]

أما شهرته ، فهو — ابن حجر — بفتح الحاء والجيم بعدها راء . [٥]
على أن المؤرخين اختلفوا فيما بينهم هل — ابن حجر — اسم أو لقب فقيل "هو لقب لأحمد الأعلى فى نسبه وقيل بل هو اسم لوالد أحمد المشار اليه" [٦] على أن ابن حجر نفسه قد أشار الى هذا الاختلاف ، فى جواب استدعاء منظوم بقوله : —

من أحمد بن على بن محمد — ابن محمد بن على الكنانى المعتمد

ولجد جد أبيه أحمد لقبوا حجرا — وقيل بل اسم والد احمد [٧]

كذلك نرى الغزى أثناء ترجمته لابن حجر أشار الى هاتين الكنيتين والشهرة حيث يقول هو "أحمد بن على بن محمد بن محمد بن أحمد بن حجر أبو العباس وأبو الفضل العسقلانى المصرى الشهير بابن حجر" [٨] ، ومع هذا كله فان صاحب فهرس الفهارس قد ساق نصا يفهم منه مايخالف ذلك تماما وأن — ابن حجر — هو لقب لأبى الفضل شهاب الدين أحمد نفسه وليس اسما ولا لقبا لأحد أجداده حيث يقول " وفى شرح ابن سلطان على توضيح النخبة للمترجم قال الشيخ أصيل الدين ابن حجر هو لقب الشيخ" . [٩]

---

(١) الجواهر ص ٦٩ — (٢) ابن حجر "انباء الغمر" ص ٥٢
(٣) السخاوى "الجواهر" ص ٦٩ — (٤) نفس المصدر ص ٦٩
(٥) ابن الشلبى "اتحاف الرواة" ص ٢٣٤ — (٦) الجواهر ص ٧٤
(٧) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٥ — (٨) بهجة الناظرين ص ١٦٣
(٩) الكتانى "فهرس الفهارس" جـ١ ص ٢٣٧

ثم أورد بعد ذلك تعليلات متعددة لهذه الشهرة بناء على هذا الرأى فقال "ويحتمل أنه كانت له جواهر كثيرة فسمى به" (١).

وقيل "لقب بذلك لجودة ذهنه وصلابة رأيه بحيث يرد اعتراض كل معترض" (٢) وفى شرح الشيخ وجيه الدين العلوى الهندى على شرح توضيح النخبة أيضا لقب به لكثرة ماله وضياعه حتى قال ـ ابن حجر ـ المراد بالحجر الذهب والفضة. (٣)

ونحن لا نعقب على هذا الرأى بأكثر من أننا نقول انه بعيد كل البعد عما اتفق عليه جميع المؤرخين الذين ترجموا لابن حجر أو لأحد من أجداده مما يدل على ضعفه ووهنه وبعده عن الحقيقة.

ثم ساق الكتانى بعد ذلك تعليلا آخر لهذه الشهرة ـ ابن حجر ـ ولعله يتفق مع ما ذهب اليه بعض المؤرخين حيث يقول "وقيل سمى به لكونه اسم أبيه الخامس وكان يحمل الحجر" (٤)

---

(١) الكتانى "فهرس الفهارس ج١ ص٢٣٧
(٢) " " " " "
(٣) " " " " "
(٤) " " " " "

المبحث التاسع : نشأته وتربيته

لقد أظلت — ابن حجر — سحابة اليتم منذ حداثة السن اذ لم تنشب والدته — تجار — أن بلغ كتابها أجله فتوفيت — ويبدو أن ذلك قد حدث وابن حجر كان لايزال فى طور الطفولة المبكرة — نفهم ذلك من كلامه أثناء حديثه فى "انباء الغمر" عن والده ، اذ لو كانت وفاتها فى سن يعى فيه شيئا لسجل فى كتابته عن ملامحها وصورتها ما انطبع فى مخيلته — كما فعل بوالده — غير أن سكوته عن ذلك يدعونا الى القول بأن وفاتها حدثت وهو لايزال كما قلنا .

وكان القدر به رؤفا رحيما حيث عوضه بعضا عما فقده فوجد "العطف والحنان من أخته ست الركب [١] وبادلها حبا بحب يتجلى فى وصفه اياها حين تقدمت به الأيام ولم تزل ذكراها ترف رقيقة بخاطره" [٢] حيث قال معبرا عن ذلك كله "كانت أمى بعد أمى" [٣] وقال أيضا "كانت بى برة رقيقة محسنة جزاها الله عنى خيرا" [٤] ثم بعد ذلك لم يلبث نور الدين على — والده — أن توفى فى شهر رجب سنة ٧٧٧ هـ [٥] . وابنه مازال فى الرابعة من عمره يقول ابن حجر مشيرا الى ذلك "وتركنى ولم أكمل أربع سنين" [٦] لكن على الرغم من صغر سن — ابن حجر — آنذاك فقد انطبعت فى مخيلته صورة — لوالده — وان كانت باهتة غير واضحة المعالم والملامح نفهم ذلك منه حيث يقول "وأنا الآن أعقله كالذى يتخيل الشىء ولا يتحققه" [٧] .

وكان — نور الدين على — شديد العناية بابنه أحمد حريصا عليه لذا نراه قد عهد برعايته "حين حضرته الوفاة الى اثنين من أبرز رجالات عصره أحدهما زكى الدين الخروبى وثانيهما شمس الدين محمد بن القطان" [٨] ، ولم يكن عهده اليهما بابنه واختياره لهما عفوا بل كانت تربطه بأحدهما وهو الشيخ شمس الدين بن القطان صلة قوية وثيقة وصداقة لاتنفصم عراها ، يقول السخاوى متحدثا عن ذلك "وكذا أسند وصيته للشيخ شمس الدين بن القطان

---

(١) ولدت بطريق الحجاز فى شهر رجب سنة ٧٧٠ فسميت بذلك — الجواهر ص ٨٥
(٢) حسن حبشى ص ١٧ (٣) الجواهر ص ٨٦ (٤) المصدر السابق ص ٨٦
(٥) بن حجر "رفع الاصر عن قضاة مصر" ص ٨٥ ، ابن حجر "انباء الغمر" ص ٥٢ ، ابو المحاسن "النجوم الزاهرة" جـ ١١ ص ١٤٢ (٦) بن حجر انباء الغمر ص ٥٢
(٧) المصدر السابق ص ٥٣
(٨) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨١ ، حسن حبشى ص ١٧ ، انباء الغمر ص ٣٠٦ ، البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٦

لاختصاصـــــة به .(١)

كما كانت تربطه بزكى الدين الخروبى (٢) رابطة المصاهره حيث كان نور الديـــن متزوجا بأخت الخروبى . (٣)

على أن الشخص الذى كان معتنيا بتربيته ـ احمد ـ أشد العناية ومهتما به أيما اهتمام هو زكى الدين فلم يكد نور الدين على يلفظ أنفاسـة الأخيرة ويودع الحياة حتى كفل الخروبى أحمد اليتيم وحدب عليه ورعاه وقام " بأمره أحسن قيام " (٤) ويبدو أن الخروبـى لم يأل جهدا فى رعاية ـ احمد ـ والاهتمام به حيث " جعل له مربية خاصة " (٥) تشرف عليه وترعى شئونه وقد يسـر له وساعده على ذلك وفرة المال وسعة الثروة التى خلفها نـور الدين على والده ـ على أنه لم تكد تمض على وفاة ـ نور الدين على ـ سنة وبضعة أشـهر حتى كان ولده ـ احمد ـ قد اشتد عوده وأتم خمس سنين بعدها أدخله وصيه ـ زكى الدين الخروبى ـ المكتب (الكتـاب) (٦) على جارى العادة فى ذلك العصر ـ اذ لم يكن هناك غير تلك المكاتب وسيلة لتحفيظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم الأولية الشائعة آنذاك ـ مثل الحساب والخط ..الخ وكان ذلك فى الشهور الأخيره من سنة ٧٧٨هـ حيث جلس أحمد ـ بين يدى أول شيخ تولى تحفيظه القرآن واقراءه اياه وهو شمس الدين بن العلاف الذى تولى حسبة مصر بعد ذلك فى سنة ٧٩١ هـ (٧)

---

(١) الجواهر ص ٩٠ ، البقاعى عنوان الزمان ص ٣٦

(٢) هو ابو بكر بن على بن أحمد زكى الدين الخروبى رئيس الكارميه بمصر وتاجر السلطان ولد سنة ٧٢٥ تقريبا ونشأ فقيرا ثم انه ورث من ابن عمه بدر الدين مالا عظيما وتولى الرياسة وعظم قدره فى الدولة ولم يمش على طريقة التجار فى التقتير بل كان جوادا ممدحا وكان يحفظ القرآن ويجوده مات فى تاسع اعوم سنة ٧٨٧ ويقال انه مـات مسموما ودفن بتربته بقرافـة مصر بالقرب من الامام الشافعى كان واسع العطـاء للفقهاء والشعراء كبير الحشمة أوصى بأشياء كثيرة

(٣) حسـن حبشـى ص ١٧

(٤) الجواهـر ص ٩٠

(٥) حسن حبشى مقدمة الانباء ص ١٧

(٦) بن حجر " رفع الاصر ص ٨٥ ج ١ ، بن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩١

(٧) الجواهر ص ٩١ ، حسـن حبشـى ص ١٨

كما جلس أيضا الى شمس الدين بن الأطروش (١) وظل يتردد على المكتب ويختلف اليه خمير أن زلى الدين الخروبى — وصيه — لم يقنع بهذا فى تربيته بل رتب وجعل له مدرسين خصوصيين يسعون اليه ويترددون عليه — شأن أبناء علية القوم فى ذلك العصر — من بينهم صدر الدين محمد السفطى — نسبة الى سفط مصر — (٢)

يقول السخاوى متحدثا عن ذلك " وكان يحضر هذا السفطى — لاقرائه هو والقاضى ناصر الدين محمد بن العلامة شمس الدين بن القطان " (٣) ثم يسترسل السخاوى موضحا ومبينا مكان الاجتماع واللقاء بين التلميذ — أحمد — ومدرسيه وان ذلك كان يتم — بعيدا عن المكتب " بمسجد لله تعالى ملاصق لمنزل وصيه ابن القطان بدرب ابن ريشة بالقرب من موردة منجى قليوب بشاطئ البحر " (٤)

ولم يمض على احمد أربع سنين منذ ادخاله المكتب حتى أتم حفظ القرآن الكريم وقد بلغ تسع سنين (٥) على يد " فقيهه ومؤدبه شارح مختصر التبريزى صدر الدين السفطى المقرئ (٦) " السالف الذكر وكان ذلك فى أول سنة ٧٨٣ هـ واشتغل باعادة وتثبيتا حتى شهر رمضان سنة ٧٨٤ " (٧) على أن أحمد كان خلال الفترة السالفة عجيبة من عجائب الدهر الذى لاتنقضى عجائبه — بفضل ما وهبه الله من صفاء قريحه وحدة ذهن وسرعة حفظ وقدرة فائقة على الاستيعاب والتحصيل يتجلى ذلك فيما يذكره السخاوى من أنه " كان كل يوم يحفظ نصف حزب " (٨) وبلغ من شأنه فى ذلك " أنه حفظ سورة مريم فى يوم واحد " (٩) الأمر الذى ترتب عليه ان استوعب " وحفظ القرآن فى أقرب مده " (١٠) وكان ينهج فى الحفظ والاستيعاب سبيل الخاصه ومن رزقوا الذكاء وحدة الذهن أما ما كان منتشرا وشائعا بين أطفال عصره فكان عنه بمعزل يقول السخاوى موضحا ومبينا هذا المنهج " ولم يكن حفظه للدرس على طريقة الاطفال بل كان حفظه بالتأمل كما سمعت ذلك

---

(١) الجواهر ص ٩١
(٢) الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦
(٣) الجواهر ص ٩١ ، ٩٢
(٤) نفس المصدر السابق ص ٩١
(٥) السخاوى الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦
الشوكانى البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨
(٦) الجواهر ص ٩١
(٧) نفس المصدر السابق ص ٩٢
(٨) نفس المصدر السابق ص ٩٥
(٩) بن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٢٦ ،
البقاعى عنوان الزمان ص ٣٦
(١٠) البقاعى عنوان الزمان ص ٣٦

ذلك من لفظه مرارا على طريقة الاذكياء فى ذلك غالبا " (١)

ويبدو من كتابة بعض المؤرخين انه لم يتخل عن هذا المنهج ولم يخالفه طيلة

حياته بل عايشه والتزمه . يقول البقاعى " وحدثنا ـ أى أحمد بن حجر ـ سنة ست

وثلاثين أنه مادرس شيئا قط وإنما يحفظ بالتفكر والتأمل وأنه اذا مر بشئ فى المطالعة

كان له غرض فى حفظه ألقى اليه باله وصرف اليه همته والا فلا " (٢)

البحث العاشر : رحلته الى البيت الحرام فى صحبة وصيه ومدى انتفاعه فيها :

فى شهر رمضان سنة ٧٨٤ هـ ـ شخص الخروبى الى مكه (٣) واستصحب ـ أحمد ـ

معه " اذ لم يكن له من يكفله " (٤) فحجا وأقاما هناك مجاورين سنة خمس وثمانين (٥)

وكان المأمول وقد حفظ القرآن الكريم قبل ذلك سنة ٧٨٣ هـ أن يصلى بالناس اماما سنة

جرى عليها القوم آنذاك يوم يتم الفرد حفظه بيد أنه جدت أمور حالت بينه وبين ذلك الشرف (٦)

غير أنه لم يلبث أثناء اقامته بمكة أن توفرت له الاسباب وهيأت امامه الظروف فصلى " فى هذه

السنه ـ ٧٨٥ هـ ـ بالمسجد الحرام التراويح بالقرآن العظيم " (٧)

كما كانت مجاورته أيضا فرصه طيبه سنحت له فاغتنمها وسمع خلالها غالب صحيح

البخارى اتفاقا بغير قصد ولا طلب (٨) على العفيف عبد الله بن سليمان النشاورى (٩)

الذى يعد أول شيخ سمع عليه الحديث (١٠) وكان النشاورى ممن يعتد بهم ويعول عليهم

فى رواية الحديث وصفه ابن حجر بأنه " مسند الحجاز " (١١) ولنترك ابن حجر نفسه يصف

لنا محل سماعه لصحيح البخارى وكيفيته وأنه كان يفوته منه القليل كما يذكر اسم القارئ فيقول

" وكان سماعه ـ أى صاحب الترجمة ـ بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السلاوى

الدمشقى تحت سكن الخروبى ـ وصيه ـ فى البيت الذى بباب الصفا على يمنة الخارج الى

(١) الجواهر ص ٩٥ (٢) عنوان الزمان ص ٣٦

(٣) الجواهر ص ٩٢ ، بن فهد ص ٣٢٦ ، (٤) بن حجر رفع الاصر ص ٨٥ ، حسن حبشى ص ١٨ الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨ ، ج ١ ص ١٤٥

(٥) بن فهد ص ٣٢٦ ، بن حجر رفع الاصر ص ٨٥ ، ابن طولون القلائد

(٦) حسن حبشى ص ١٨ (٧) بن طولون ص ١٤٥ ، بن فهد ص ٣٢٧

(٨) بن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩٣

(٩) ستأتى له ترجمة عند ذكر شيوخ بن حجر (١٠) بن فهد ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩٣

(١١) رفع الاصر ص ٨٥

الصفا ويعرف ببيت عيناء وهى الشريفة بنت الشريف عجلان وما البيت المذكور شباك يطــل على المسجد الحرام ويشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود وكان المستمع والقــارئ يجلسان عند الشباك دون مصطبة تحت الشباك المذكور كان يجلس فيها مؤدب صاحــب الترجمة ومن يدرس معه فكان المؤدب يأمرهم عند قراءة القارئ بالانصات الى أن يفرغ حتى ختم الكتاب لكن صاحب الترجمة ربما خرج لقضاء حاجة ولم يكن هناك ضابط للأسماء والاعتداد فى ذلك كان على الشيخ نجم الدين المرجانى فإنه أعلمنى بعد دهر طويل بصورة الحـــال فاعتمدت عليه وثوقا به . (١) ولم يكن العفيف النشاورى هو الشيخ الوحيد الذى جلس اليه احمد وسمع عليه اثناء اقامته بمكة بل قد اختلف ايضا الى " عالم الحجاز الحافظ أبى حامد محمد بن ظهيره " (٢) وبحث عليه فى كتاب عمدة الاحكام للحافظ عبد الغنى المقـدسى " فكان أول شيخ بحث عليه فى علم الحديث " وذلك فى سنة ٧٨٥هـ (٣) ومما لا مجـــال للشك والارتياب فيه أن شخوصه مع وصيه الى مكة كان حافزا له على التعلق بدراسة الحديث والانكباب على استيعابه والتحقق من رجالاته وأسانيده حتى أضحى بعد ذلك ــ المحدث ــ والحافظ ــ وأمير المؤمنين فى الحديث

المبحث الحادى عشــــر : عودته الى القاهرة ودأبه فى طلب العلم

وما كاد ــ أحمد يئوب من مكة الى القاهرة مع وصيه الخروبى ــ بعد أن قضيــا وطرهما هناك وذلك فى أول سنة ٧٨٦ هـ (٤) حتى اختلف الى سليمان بن عبد الناصــر الأبشيطى وحضــر دروسه وقرأ عليه " شيئا من العلم " (٥) لذلك توفر على العلــــوم

---

(١) بن حجر رفع الاصر ص ٨٥ الجواهــر ص ٩٣ ، ٩٤
(٢) بن فهـــد ص ٣٢٧
(٣) الجواهر ص ٩٥ ، بن فهد ص ٣٢٦
(٤) بن حجــر الدرر الكامنه ج ١ ص ٤٨٢
(٥) الجواهــر ص ٩٦

الشائعة فى عصره فحفظ كثيرا من مختصراتها كالعمدة والحاوى الصغير ومختصر ابن الحاجب الأصلى وغيرها وعرضها على العادة على جماعة من أئمة العصر " (١) وليس فى هذا مايدعو الى العجب فقد " كان يحفظ الصحيفة من الحاوى الصغير من مرتين الأولى تصحيحا والثانية قراءة فى نفسة ثم يعرضها حفظا فى الثالثة " (٢) كما أنه فى تلك السنة أيضا سمع بمصر من المسند نجم الدين أبى محمد عبد الرحيم بن رزين غالب صحيح البخارى بقراءة الحافظ جمال الدين بن ظهيره قال وما أظنه فاتنى عليه منه الا اليسير " (٣)

المبحث الثانى عشر : انصرافه عن العلم وفتور همته

ولم يكد يستهل عام ٧٨٧ هـ — حتى توفى زكى الدين الخروبى — (٤) فكانت وفاته نكبة على صاحبنا — أحمد — اذ حرم الرعاية وفقد العناية التى كان يلقاها من وصيه وهو لايزال فى أمس الحاجة اليها حيث كان لم يتجاوز عمره الثالثة عشرة الا بأشهر قليلة ولذا يقول صاحبنا — احمد بن حجر — انه " مات فى تاسع عشر المحرم وأنا مراهق " (٥) ففترت لذلك همته وضعفت عزيمته عن أن يشتغل بالعلم والطلب حيث " لم يكن له من يحثه على ذلك " (٦) كذلك يمكن أن يقال انه اشتغل خلال هذه الفترة — بعد وفاة وصيه — بشئون معيشتة والنظر فى أمواله قدر جهده وهذا من شأنه — مع حداثة عمره — أن يصرفه ويلهيه عن طلب العلم والتوفر عليه . وغبرت فترة ركود طويلة امتدت قرابة ثلاث سنين الا انه خلال الفترة التى كان — أحمد — منصرفا فيها عن العلم والطلب والدرس والتحصيل قد " حبب اليه النظر فى التواريخ وأيام الناس حتى انه ربما كان يستأجرها ممن هى عنده فعلق بذهنه الصافى الرائق شئ كثير من أحوال الرواه يقول السخاوى " وكان ذلك باشارة شخص

---

(١) الجواهر ص ٩٤
(٢) ابن فهد ص ٣٢٦ ، الجواهر ص ٩٥ ، القلائد ص ١٤٥
(٣) الجواهر ص ٩٧ ، الدرر الكامنه جـ ١ ص ٤٨٢ ، بن فهد ص ٣٢٧
(٤) الدرر الكامنة جـ ١ ص ٤٨٢
(٥) بن حجر انباء الغمر جـ ١ ص ٣٠٩
(٦) الجواهر ص ٩٦

من أهل الخير سماه صاحب الترجمة لي وأنسيته" (١)

ولعل الذي أشار عليه بذلك كان يقصد تعزيته وتسليته عن الرزء الذي نزل به من جراء وفاة الخروبي ـ وصيه ـ اذ أن في قراءة التاريخ ما يساعد على ذلك لسهولة مطالعته مع مافيه من قصص وعبر وسير للرجال تميل اليها النفوس وترتاح لها الخواطر خصوصا لمن هم في مثل عمر صاحبنا ـ أحمد ـ من ذوي الرجولة المبكرة الذين تستهويهم قراءة كتب التاريخ ، وليجد فيه أيضا المثل العليا والنماذج الطيبة التي قد يقتدي بها فيما بعد .

كما يحتمل أنه أدرك بطريق الفراسة أولا والمشاهدة ثانيا ذكاء ـ أحمد ـ ورأى ميله وشغفه قبل ذلك بعلم الحديث فأرشده الى مطالعة وقراءة ما ينفعه في معرفة رجاله ورواته وتحقيق أسانيده بعد ذلك . ولا يفوتنا أن نشير الى أن صاحبنا ـ أحمد ـ لم تنقطع صلته خلال تلك السنوات الثلاث بعلم الحديث تماما بل قد سمع في غضونها من صلاح الدين الزفتاوي صحيح البخاري بقراءة ولي الدين محمد التزمنتي ومن أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزي وزين الدين بن الشحنة. (٢)

المبحث الثالث عشر : تربية الخروبي وأثرها في تقويم أخلاقه

يحق لنا بعد ما أسلفناه عن الخروبي أن نسجل ـ بكل فخر واعتزاز ـ في صفحات تاريخه أنه كان وصيا أمينا على صاحبنا ـ أحمد ـ حيث أشرف عليه اشرافا تاما ورعاه أيما رعاية "وقام بأمره أحسن قيام" (٣) حتى نشأ في كنفه رغم يتمه وفقد والديه "في غاية من العفة والصيانة والرياسة" (٤) . على الرغم من "حداثة السن وفراغ العمر وكثرة الأموال" (٥) حتى أنه "لم تعرف عنه صبوة ولم يضبط عنه زلة" (٦)

ولا يفوتنا في هذا المجال أن نشير الى أن استعداد صاحبنا ـ أحمد ـ الفطري وما ورثه عن آبائه وأجداده الأكرمين من صفات فاضلة كان له أثر محمود في ذلك اذ كان "غالب سلفه علماء أخيار" (٧) .

---

(١) الجواهر ص ٩٦ و ٩٧ ، بن حجر "رفع الاصر" ص ٨٥ جـ١ ، القلائد الجوهرية ص ١٤٥
(٢) بن حجر "رفع الاصر" جـ١ ص ٨٥ ، الجواهر ص ٩٧ (٣) المصدر الأخير ص ٩٠
(٤) المصدر السابق ص ٩١ (٥) البقاعي "عنوان الزمان" ص ٣٦
(٦) الجواهر ص ٩١ (٧) البقاعي "عنوان الزمان" ص ٣٥

المبحث الرابع عشر : تربية الخرومي وأثرها في حياته العلمية

وحسبنا أن نشير الى أن — الخرومي — كان كريما تجاه صاحبنا — أحمد — حيث أحضر له مربية خاصة وجعل له مدرسين خصوصيين وأكثر من ملازمته وصحبته حرصا عليه كما قلنا ، وهذا كله من شأنه أن يكون له فضل في حفز همته الى طلب العلم وأثر كبير في اظهار استعداداته وابراز ملكاته وتوجيهها توجيها صحيحا سليما جعل منه بعد ذلك محدثا لا يبارى وحافظا لا يجارى يهتدى برأيه حين تضطرب المسالك وتتشعب ويخشى الزلل ويعول عليه اذا عمّي وجه الحق ولم يستبن للناظرين .

المبحث الخامس عشر : عودته من جديد الى طلب العلم

انقضت سنوات ثلاث — ابتداء من سنة ٧٨٧ هـ الى سنة ٧٩٠ هـ — (وهي فترة الركود) على فتور همة صاحبنا — أحمد — عن طلب العلم بلغ بعدها السابعة عشر وهي سن يمكن أن نقول انه قد نضج فيها فكريا وعقليا — بالنسبة لأبناء هذه العصور — فضلا عن أنه قرأ خلال الفترة السالفة — فترة الركود — تاريخ كثير من العلماء ، اذ كان جل مطالعاته في كتب التاريخ ، فلعله يكون قد طمحت نفسه الى أن ينتظم في سلكهم ويكون واحدا من بينهم ، في المستقبل .

لذا نراه في أوائل سنة ٧٩٠ هـ[١] ، يثوب من جديد الى طلب العلم ويعاود الدرس تحت اشراف وصيه الثاني الشيخ شمس الدين بن القطان ويحضر دروسه في الفقه والعربية والحساب وغيرها . ثم توفرت همته وأكب وانصرف الى طلب وتحصيل "ماغلب على العادة طلبه من أصل وفرع ولغة ونحوها" ولم يكتف بذلك بل تردد واختلف "وطاف على شيوخ الدراية[٢] حتى سنة ٧٩٢ هـ .

هذا ويشير أحد المؤرخين الى أن الشيخ شمس الدين بن القطان كانت وصايته على صاحبنا — أحمد — بالرغم من الصلة الوثيقة التي كانت بينه وبين والده فيها دخل وعطن حيث أنه

---

(١) الجواهر ص ٩٦ ، القلائد الجوهرية ص ١٤٥ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ١
(٢) الجواهر ص ٩٦

"لم ينصح له في تحفيظه الكتب وارشاده الى المشايخ والاشتغال حتى انه كان يرسل بعض أولاده الى كبار الشيخ مثل الشمس العسقلاني وغيره ولا يعلمه بشئ من ذلك" (١)
وعلى الرغم من أن المؤرخين الذين ترجموا لصاحبنا ـ أحمد ـ على كثرتهم لم يشر أحد منهم الى مثل هذه الرواية فنحن نميل الى تصديقها وقبولها وسوف نسوق الدليل على ذلك فنقــــول : ـ

لقد كان صاحبنا "أحمد" منصرفا الى العلم وطلبه بعد عودته من مكة سنة ٧٨٦ هـ وظل كذلك حتى مات وصيه "الخروبي" في أوائل المحرم سنة ٧٨٧ هـ وهو لا يزال مراهقا لم يتجاوز الثالثة عشرة الا قليلا ثم ضعفت همته على أثر ذلك ويصف السخاوي ما حدث لصاحبنا "أحمد" بعد موت الخروبي فيقول "وفتر عزمه عن الاشتغال من أجل أنه لم يكن له من يحثه على ذلك فلم يشتغل الا بعد استكمال سبع عشرة سنة" (٢)
أوليس يفهم من قول السخاوي السابق "ولم يكن له من يحثه على ذلك" أن شمس الدين بن القطان الوصي الثاني كان ظالما وله رغبة أكيدة في انصراف صاحبنا "أحمد" عن العلم بعد موت وصيه الخروبي ثم يسترسل السخاوي قائلا "فلم يشتغل الا بعد استكمال سبع عشرة سنة وإننا لنتساءل أين كان ابن القطان خلال هاتيك السنوات الثلاث التي تبدأ من المحرم سنة ٧٨٧ هـ وتنتهي تقريبا في أول سنة ٧٩٠ هـ حتى بلغ أحمد سبعة عشر عاما ؟
كل هذا يحدونا الى تصديق هذه الرواية السالفة الذكر وقبولها ولا يغيرنا أن ابن القطان كان أستاذا وشيخا لصاحبنا "أحمد" فيما بعد فلقد جاوز صاحبنا "أحمد" السابعة عشرة ونضج فكريا وعقليا وأدرك مصلحته وتردد بنفسه على ابن القطان وعلى غيره من الشيوخ فلم يكن لابن القطان فضل عليه حينذاك كما أن تردده على ابن القطان وحضور دروسه بعد أن أدرك مصلحة نفسه لا ينفي أن ابن القطان قد أهمله قبل ذلك خلال السنوات الثلاث السالفة الذكر .

---

(١) البقاعي "عنوان الزمان" ص ٣٦
(٢) الجواهر ص ٩٦

المبحث السادس عشر : اشتغاله بفن الأدب

لقد عاد صاحبنا "أحمد" الى حياة العلم من جديد فى سنة ٧٩٠ هـ وطرق جميع أبواب فنونه واشتغل بمختلف العلوم الشائعة آنذاك الا أنه فى سنة ٧٩٢ هـ انصرف وتوجه الى فنون الأدب وتوفرت همته عليها "ففاق فيها حتى كان لا يسمع شعرا الا ويستحضر من أين أخذه الناظم" (١) وشغف وتولع بذلك "وما زال يتبعه خاطره حتى فاق أهل عصره" (٢) ونظم "الشعر الكثير المليح الى الغاية" (٣) "حتى انه لا يلحق فى كثير من ذلك رقة غزل ورصانة مدح ودقة معانى وجلالة ألفاظ وبراعة نكت وتمكين قواف واستعمالا للأنواع التى فصلت فى علم المعانى والبديع على أحسن وجه وأبدع أسلوب" (٤)

ولم يقف عند قرض الشعر بل قال أيضا النثر الفائق الذى لا يشق له فيه غبار حتى قال تلميذه البقاعى "نثره مطرب ونظمه مرقص" (٥) "وكتب عنه الأئمة من ذلك" (٦) ، وساد "وطارح الأدباء" (٧) يشهد لذلك مقترحاته ورقيق مطارحاته فيما بعد فمن النوع الأول على سبيل المثال لا الحصر أن القاضى شهاب الدين المحلى اقترح عليه وعلى الشيخ غياث الدين بن خواجا أن ينظما عشرة أبيات فى مدح مكة والتشوق اليها فى أصعب وزن وروى فاتفق رأى الحاضرين أن يكون ذلك فى المديد والروى ظاء منصوبة ، فقال صاحبنا :

ان بيت الله من حل فيه	محرما يلق الأمانى وحظا
حبذا هذا المقام مقاما	قد كفت رؤيته لى وعظا
وهب الله الذى قد أتاه	من شرور الخلق أمنا وحفظا

وأنشد الشيخ غياث الدين بعد ذلك :

ان بالبيت العتيق اعتيادى	من لظى هجرته أتلظى
رق قلبى من غليظ جفاء	أتراه هل يرفق غلظا (٨)

---

(١) رفع الاصر ص ٨٥ ، الجواهر ص ٩٨ (٢) عنوان الزمان ص ٣٦
(٣) ابن العماد "شذرات الذهب" جـ ٧ ص ٢٧٠ (٤) عنوان الزمان ص ٣٦
(٥) المصدر السابق ص ٣٦ (٦) الجواهر ص ٩٨
(٧) بن فهد "لحظ الألحاظ" ص ٣٢٧ (٨) الجواهر ص ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩

ومن النوع الثاني : —

تلك المطارحة الأدبية الشهيرة التي وقعت في شهر شعبان سنة ٨٤٢ هـ يوم ختم شرح صحيح البخاري المسمى "فتح الباري" وذلك أن المقام الناصري محمد بن السلطان الظاهر جقمق قال لصاحبنا — أحمد — "يامولانا شيخ الاسلام هذا يوم طيب لعل أن تنحشونا فيه ببيت من مفرداتكم لعل أن نمشي خلفكم فيه فقال أخشى إن ابتدأت ألا يكون موافقا لما وقع في خاطرك والأحسن أن تبتدئ أنت فقال الناصري : —

هويتها بيضاء رعبوبة قد شغفت قلبي خود رداح

فقال صاحبنا — أحمد — :

سألتها الوصل فضنت به ان قليلا في الملاح السماح

فقال على الدوساني :

قد جرحت قلبي لما رنت عيونها السود المراض الصحاح

فبهم الشرف الطنوني ولم يمكنه أن يقول شيئا ، فقال صاحبنا — أحمد — "ما للطنوني غدا حائرا" فقال الناصري "لعل المتقدم أجزه" ، فقال صاحبنا "وحياة أبيك السلارى والفرس" ، فقال الناصري "هما لك من غير مهلة وتراخ" ، فقال صاحبنا "وخرب البيت وخلى وراح" (١)

وقد عقد السخاوي الفصل الرابع من الباب السادس في كتابه الجواهر لمطارحاته ومقترحاته (فمن أراد المزيد فليراجع الجواهر ص ١٠٠٧ وما بعدها) ، وقد تناول صاحبنا — أحمد — جميع أغراض الشعر ومن يطالع ديوانه المسمى بالكواكب السبع السيارة (٢) ، يجد خير شاهد على صدق ماذكرناه .

وقد بلغ من علو منزلته في الشعر ورسوخ قدمه فيه أن عده المؤرخون ثاني السبعة الشهب الشعراء (٣) ، فلقد كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا في عصر واحد كل منهم يدعى بشهاب وهم الشهاب ابن التائب ، الشهاب ابن حجر ، الشهاب ابن

---

(١) البدر الطالع جـ١ ص ٩٠ و ٩١

(٢) عنوان الزمان ص ٦٧

(٣) السيوطي "نظم العقيان" ص ٤٥ ، المناوي "اليواقيت والدرر" جـ١ م ١ ص ٤

أبى السعود الشهاب ابن مبارك شاه - الشهاب ابن صالح - الشهاب الحجازى والشهاب المنصورى [(١)] ولم يمض سنوات أشبع رغبته خلالها - حتى ترك هذا كله " ولم ينظر من بعد القرن فى كتب الفن ودواوينه الا اتفاقا كما صرح هو بذلك " [(٢)] وحينما تقدمت به السن وشغلته الحياة العملية والعلمية نراه قد هجر قرض الشعر الا فى بعض الأحايين حتى قال تلميذه السخاوى أن "أكثر نظمه قبل سنة ٨١٦ هـ" [(٣)]

هذا ومما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أنه فى ذلك العصر " كثر نظم الألغاز والأسئلة الفقهيه والنحويه " [(٤)] ولم يفته أن يدلى بدلوه ويساير هذا الاتجاه اذ هو كما قال بعض العلماء " شاعر طبعا " [(٥)]

لذا نراه قد نظم الألغاز [(٦)] يشهد لذلك قوله ملغزا فى ناقه

يأيها القارئ ما آيـــة	أحرفهـا أربعـة ظاهـرة
وقيـل حرف واحد كلها	فاعجب لها من آية باهـرة [(٧)]

كما نظم حلها وقد كان من أسرع أهل عصره فى ذلك ونظرة الى ما قاله ابن الحباب الغوناطى فى المسك تكفى دليلا على صدق ماقلناه يقول :

كتبتم رموزا ولم تكتبـــوا	كهذا الذى سبله واضحـــة
فما اسم جرى ذكره فى الكتاب	فان شئتم فاقرءوا الفاتحـــة
وجدناه من قبل بصحيفة	يسهل سبله الواضحـــة
ومن قبل تسع قبيل البروج	يرى ثم كالأنجم اللائحـــة
وتغيير ثانية مع قلبـــه	ومع حذفه نم بالرائحـــة [(٨)]

وهذا قل من كثر وقطرة من بحر ، واما الاسئلة المنظومة وجوابه عنها نظما كذلك فهناك الكثير ومن أراد أن يقف على شيء من ذلك فليراجع الجواهر ص ١١٣٤ الى ص ١١٧٤

هذا ومما له ارتباط وثيق بهذا الموضوع - أن بعض المحققين أراد أن يتحف من

---

(١) ابن اياس بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٦ (٢) الجواهر ص ٩٨

(٣) المصدر السابق ص ٩٨ (٤) احمد زكى تاريخ مصر الاجتماعى

(٥) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧١ (٦) اللغز " دلالة اللفظ على المراد دلالة خفية لاتنبو عنها الأذهان السليمه بل تستحسنها وتنشرح اليها بشرط أن يكون المراد من الالفاظ الذوات الموجودة فى الخارج أما اذا كان المراد الالفاظ المعانى فهو المعمى ، حاجى خليفة (كشف الظنون) ج ١ ص ١٤٩

(٧) الجواهر ص ١١٢٢ (٨) الجواهر ص ١٠٥٣ ، ١٠٥٤

معاناة صاحبنا — أحمد للأدب وقرضه الشعر ذريعة للتشكيك فى أخباره وتراجم الناس التى كتبها فى مؤلفاته وأنه فى كتابته بعيد عن الحقيقة متبع للهوى وحظ النفس فيقول " وحيث كانت نشأته على معاناة الشعر والاسترسال فى المديح والهجاء على طريقة أهل الادب ورث من ذلك منذ عهد شبابه التنكيت وتطلب مواضع العلل من تراجم الرجال والحط من مقاديرهم اذا أراد وان كانوا من أصحابه وشيوخه وممن تقدمهم لاسيما البارعين منهم " (١) ونحن من جانبنا نقول لايلزم من نشأته على معاناه الشعر منذ شبابه أن يتطلب مواضع العلل فى الرجال وأن يحط من مقاديرهم لأن هذه طريقة الشعراء الذين يطلبون رفدا أو نوالا أو ينشدون منزلة ورفعة أما صاحبنا — أحمد — فما هو فيه يغنيه عن طلب هذا كله كما أنها طريقة الشعراء الذين لادين لهم ولا خلاق لهم أما صاحبنا — أحمد — فجميع من أرخوا له وصفوه بالدين المتين والخلق القويم والاتباع لسنة سيد المرسلين ورجل مثل هذا يستبعد أن يكون كما وصفه المحقق وحسبنا أن نسوق نصا لمحقق آخر يعارض مايدعيه هذا المحقق — السابق — ويناقضه • يقول المحقق بعد أن تحدث عن صاحبنا — احمد وتنوع ثقافته " وطبعت مؤلفاته كما يشهد تلاميذه وغير تلاميذه ممن عاصروه فى مصر والشام وغيرهما من بلاد العالم الاسلامى بطابع الدقه وتحكيم العقل والمنطق فهو لايورد خبرا الا بعد أن يكون قد انتظمت له عنده أسباب الدراسة والبحث والتمحيص والتحقيق والمقارنه والتثبت والايضاح والا بعد أن يكون قد طبق عليه قواعد الجرح والتعديل يعرض لذلك ناقدا اياه نقد الصيرفى الحاذق لايخدعه بهرج ولايغره طلاء " (٢)

فهل بعد هذا يمكن أن نصدق أنه " ورث منذ عهد شبابه التنكيت وتطلب مواضع العلل من تراجم الرجال والحط من مقاديرهم اذا أراد " كما يدعى المحقق وفوق هذا يذكر المحقق أن البقاعى تلميذ — ابن حجر — قال عن شيخه " انه لايعامل أحدا بما يستحقه من الاكرام فى نفس الأمر " (٣) ويكفى فى الرد على هذا أن النص الذى ساقه

(١) لحظ الالحاظ ص٣٢٧ ، هامش نمر ١ محمد زاهر الكوثرى
(٢) حسن حبشى مقدمة الانباء ص٧
(٣) لحظ الالحاظ هامش نمر ١ ص٣٢٧

المحقق عن البقاعي لم يشر الى معناه أحد من الذين أرخوا لابن حجر على كثرتهم مما يدعونا الى القول بأن البقاعي كان واهما في حكمه الذى أصدره على شيخه واشما جنح اليه المحقق تعصبا واتباعا للهوى (١)

فضلا عن أن السخاوى بعد أن ساق هذا النص خلال ترجمته للبقاعي في الضوء اللامع علق عليه بما ملخصه ، ان البقاعي كان سريع التقلب ولذا فأحكامه غير صادقة لأنها تكون عادة مرتبطه بأغراض شخصية ومآرب دنيوية فاذا قضاها له أحد مدحه بما ليس فيه واثنى عليه بما هو منه خلى وان قصر ذمه بما ليس فيه (٢) فلامانع من ان يكون حكم البقاعي على شيخه من هذا القبيل فلا اعتداد به وفوق هذا فان البقاعي نفسه في معرض حديثه عن صفات شيخه " ابن حجر " قال " انه كان وفى المدح والذم وتنزيل الناس منازلهم له الخبره التامة بذلك (٣) .

على أن اغفال المحقق هذا النص الأخير يحدونا الى ان نرميه بعدم الانصاف ومجافاته للحقيقة بل واخفاءها تحاملا منه على " ابن حجر " وتشكيكا في كتاباته في تراجم الرجال وتواريخهم وحطا من قيمته العلميه كمؤرخ وصاحب حوليات .

البحث السابع عشر : اشتغاله بفن الحديث

وفى سنة ٧٩٣ هـ طلب صاحبنا — أحمد — فن الحديث بنفسه بعد أن حببه الله اليه فأقبل عليه بكليته وصرف عزمه اليه وتوفر بهمته عليه وجد في طلب ذلك (٤)

" لكنه لم يكثر من الطلب الا فى سنة ٧٩٦هـ " (٥) وفى ذلك يقول هو نفسه

" رفع الحجاب وفتح الباب وأقبل العزم المصمم على التحصيل ووفق للهدايه الى سواء

---

(١) لحظ الالحاظ هامش نمر ١ ص ٣٣٤
(٢) الى هذا انتهى كلام السخاوى
(٣) البقاعي عنوان الزمان ص ٤٧
(٤) الجواهر ص ٩٨ ، البقاعي ص ٣٧ ، البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨
(٥) الجواهر ص ٩٨

السبيل "(١) وبلغ به الشأن — فى ذلك — أن " اجتمع بحافظ العصر زين الدين العراقى وذلك فى شهر رمضان سنة ٧٩٦ هـ — فلازمه عشرة أعوام "(٢) حتى " تخرج به وانتفع بملازمته وقرأ عليه ألفيته — وغيرها — والكثير من الكتب الكبار والأجزاء القصار "(٣) " وحمل عنه جملة نافعة من علم الحديث سندا ومتنا وعللا واصطلاحا "(٤) كما " حمل عنه من أماليه جملة مستكثرة واستملى عليه بعضها "(٥)

فلاعجب حينئذ أن كان شيخه العراقى " أول من أذن له فى التدريس فى علوم الحديث وكان إذنه له فى سنة ٧٩٧ هـ "(٦) وكان طلبه لعلوم الحديث " على الأوضاع المتعارفه من أهله فقرأ وسمع على مسندى القاهرة ومصر الكثير فى أسرع مدة " (٧) حتى لم تنقض سنة ٧٩٦هـ الا وقد " أشبعت معارفه فيه "(٨). ولم يكن — العراقى — شيخه الوحيد الذى انتفع به فى علم الحديث بل قد اختلف وتردد على ابن الملقن وحضر دروسه فيه أيضا حيث شارك ابن الملقن العراقى فى هذا الميدان وان لم يلحق به فيه .(٩) ولكنه ظل بالدرجة الاولى يختلف الى العراقى ويسمع منه ويقرأ عليه ويحمل عنه حتى " لقبه بالحافظ وعظمه جدا ونوه بذكره " (١٠) وبلغ به الأمر أن " كان يعتمد فى كثير مما يسأل فيه عليه وربما كتب بخطه يسأله عما يحتاج الى الوقوف عليه "(١١) كما سيأتى وينبغى ونحن مازلنا بهذا الصدد أن نشير الى أن صاحبنا — احمد — قد استفاد من نظره فى كتب التاريخ أيام — فترة الركود السالفة الذكر — حيث وجد فى ذلك " ماأعانه على معرفة الرجال فى زمن يسير جدا " (١٢)

ومجمل القول أنه قد توفر على علم الحديث " سماعا وكتابه وتخريجا وتعليقا وتصنيفا .. وأكب عليه اكبابا لامزيد عليه حتى رأس فيه فى حياة شيوخه وشهدوا له بالحفظ " (١٣) ووصفوه " بالاتقان والنقد والعرفان وارشدوا الناس اليه وحثوهم عليه " (١٤)

---

(١) الذيل على رفع الاصر ص٨٢ ، الجواهر ص٩٩
(٢) رفع الاصر ص ٨٥
(٣) ذيل رفع الاصر ص٨٢ ، الجواهر ص ٩٩
(٤) الشوكانى — البدر الطالع جـ ١ م ١ ص٨٨
(٥) ذيل رفع الاصر ص٨٢ ، الجواهر ص ٩٩
(٦) الجواهر ص٩٩ ، عنوان الزمان ص ٣٩
(٧) الجواهر ص ٩٩ ، القلائد الجوهرية ص ١٤٥
(٨) الجواهر ص ١٠١
(٩) ابن العماد شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٧٠
(١٠) الجواهر ص ١١٦
(١١) نفس المصدر السابق
(١٢) الجواهر ص ١٠١
(١٣) السيوطى نظم العقيان ص ٤٥

((يشهد لذلك أن شمس الدين البساطى سأل الزين العراقى عن حديث "المكاتب قن مابقى عليه درهم" من صحح فقال لا أدرى ، قال فلقيت ابن حجر وهو اذ ذاك ليس فى لحيته شعرة بيضاء فسألته عنه فقال فى الحال صححه ابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن عمرو وهما فى كتب شيخنا وعين له مكان الحديث))

(١٤) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٨

وخير شاهد على حفظه واستحضاره للحديث أن العلامة شمس الدين البساطى سأل حافظ الوقت
الزين العراقى عن حديث فما استحضر اذ ذاك من أخرجه فأشار الشيخ برهان الدين الكركى على البساطى
أن يسأل ابن حجر عنه ففعل فأجابه فى الحال بتجريحه وأن البساطى عرض ذلك على العراقى قال فكشف
المظان التى عزاه اليها فوجده كما قال (١) .

وقال البساطى أيضا سألت شيخنا الزين العراقى عن حديث "المكاتب قن مابقى عليه درهم" من صححه
فقال لا أدرى فلقيت ابن حجر يومئذ وهو اذ ذاك ليس فى لحيته شعرة بيضاء فسألته عنه فقال فى الحال صححه
ابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن عمرو وهما فى كتب شيخنا وعين له مكان الحديث (٢) .

كما يشهد لذلك أيضا أنه فى سنة ٨١٨ قمت بينه وبين شمس الدين ابن عطاء الله الرازى المعروف بالهروى
مناظرة بحضرة الملك المؤيد وكان قد شاع عن الهروى أنه يحفظ اثنى عشر ألف حديث وأنه يحفظ صحيح مسلم
بالمناظرة يحفظ متون البخارى وبعد انتهاء المناظرة تبين كذب الرجل وزيفه وأنه لم يحفظ مثل هذا وكان من
بين ما أجرى فى المناظرة أنه سأله أن يزيد عن السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله فعجز فزاد ابن حجر سبعة
أخرى بأحاديث حسان وأربعة عشر بأحاديث ضعاف (٣) .

---

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص٣٤ ، ٣٤

(٢) المصدر السابق ص٣٤

(٣) ابن العماد شذرات الذهب جـ٧ ص١٢

غير أنه مع انصرافه الى طلب الحديث لم ينس نصيبه من العلوم الأخرى فكان يشتغل بها ويحافظ على "المنطوق منها والمفهوم كالفقه والعربية والأصول وغيرها من العلم المنقول والمعقول" (١) فاختلف من أجل ذلك - الى سائر الشيوخ وتردد عليهم وسمع منهم وحضر دروسهم فجلس الى النور الآدمي في الفقه والعربية وكان قد تفقه قبل في مبدأ أمره بابن القطان - ولذا فهما أول شيوخه في الفقه . (٢)

كما تفقه أيضا بالإبناسي وكان "يوده ويعظمه لأنه كان من أصحاب والده" (٣)

كذلك تفقه أيضا بالعلامة الرحلة ذي التصانيف العديدة "سراج الدين عمر بن الملقن"

وأخيرا تفقه بشيخ الاسلام "سراج الديـن البلقيني" لازمه مدة وحضر دروسه الفقهية ولم يزل ملازما له الى أن أذن له بالافتاء والتدريس وذلك بعد اذن شيخه العراقي لـه بدراسة الحديث. (٤)

وكذلك أخذ أصول الفقه عن البهاء بن عقيل والأصلين والجدل عن العماد الاسنوي (٥)

ولازم العلامة عز الدين بن جماعة في غالب العلوم التي كان يقرؤها من سنة تسعين الى أن مات سنة ٨١٩ هـ .

"وكان ابن جماعة يوده .. كثيرا ويشهد له في غيبته بالتقدم ويتأدب معه الى الغاية" (٦)

وكذا أخذ العروض عن البدر البشتكي والعربية عن ابراهيم الغماري والمحب بن هشام . (٧)

ويذكر أحد المؤرخين سببا وجيها لعله هو الذي دفعه الى الانصراف الى هذه العلوم بعد ذلك وتحصيلها بجد واجتهاد فيقول أن الامام محب الدين بن الوحدوي المالكي لما رآه حريصا وحثيثا على سماع الحديث ومطالعة كتبه قال له "اصرف بعض هذه الهمة الى الفقه فانـني أرى بطريق الفراسة أن علماء هذا البلد سينقرضون وسيحتاج اليك فلا تقصر بنفسك" (٨)

يقول صاحبنا - أحمد - "فنفعتني كلمته ولا أزال أترحم عليه بهذا السبب" (٩)

---

(١) الجواهر ص ١٠١

(٢) نفس المصدر ص ١٠٣

(٣) نفس المصدر ص ١٠٢

(٤) نفس المصدر ص ١٠٣

(٥) نفس المصدر ص ١٠٤

(٦) نفس المصدر ص ١١٧

(٧) نفس المصدر ص ١٢٠ و ١٢٢

(٨) عنوان الزمان ص ٣٨

(٩) المصدر السابق ص ٣٨

ولذا نراه بعد هذه النصيحة قد "أطلق عنان عزمه نحو بقية العلوم فأكب على الفقه والنحو والأصلين ، وغير ذلك حتى مهر فيها كلها " (١) وبلغ "الغاية القصوى " (٢)

وصار كلامه مقبولا عند أرباب سائر الطوائف لايحدون مقالته لشدة ذكاءه وقوة باعه حتى كان حقيقا بقول القائل :

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل علم بالجميع (٣)

وهو مع هذا كله لايزال مقبلا "على علم الحديث وسماعه غير فاتر العزم عنه" (٤)

وبعد فهذه أضواء ألقيناها على نشأة صاحبنا — أحمد — وكيفية طلبه لمختلف العلوم فى ابتداء أمره ولكنه لم يقنع بهذا — في طلب العلم الحديث — بل قام برحلات عديدة الى مختلف البلدان حتى يعلو اسناده ، وتتسع معارفه وتسمو مداركه وسوف نعطى للقارى صورة واضحة عن هذه الرحلات — حتى لكأنه يرافقه ويصاحبه وينزل معه بلدة بلدة ويرحل معه سفرة سفرة ، وما عليه الا أن يقرأ الفصل القادم حتى يرى ويشاهد ذلك فالى هناك

---

(١) البقاعى "عنوان الزمان" ص ٣٨

(٢) ابن فهد "لحظ الألحاظ" ص ٣٣٠

(٣) السخاوى "الجواهر والدرر" ص ١٢١

(٤) البقاعى "عنوان الزمان " ص ٣٨

الفصل الثاني

رحلاته في طلب الحديث

تمهيد

يتحدث ابن خلدون عن الرحلة في طلب مختلف العلوم فيقول ان الرحلة "لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال" (١)

ثم يبين السر في ذلك فيقول "ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة المشايخ والشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها" (٢)

ثم يضيف الى ذلك سببا آخر فيقول "والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى ليظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات وتصحيح معارفه وتمييزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم" (٣)

ولذلك نرى علماء عصور هذه العصور وما قبلها قد حرصوا كل الحرص على القيام برحلات متعددة الى مختلف البلدان حتى تحصل لهم تلك الملكات وترسخ عندهم وتتميز مصطلحات العلوم لديهم ويأخذوا معارفهم عن منابعها ومناهلها الأصلية .

الا أنه مما يستلفت النظر ويسترعي الانتباه أن أكثر ما كانت هذه الرحلات من أجل طلب الحديث وعلو الاسناد فيه .

اذ ليس هناك مجال للريب في " أن الرحلة الى العلماء والتقاء الحفاظ بعضهم ببعض طريق عظيم في تثقيف العقول ، وتنقيح العلوم وتمحيص المحفوظ من الحديث" (٤)

(١) المقدمة جـ٤ ص ٢٤٥
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٤) الحديث والمحدثون ص ١٠٩

كما أنه عن طريقها أيضا " يقف الراوي بنفسه على سيرة الرواة في بلدانهم ويعلم قوتهم من ضعفهم فضلا عن الاستزادة من الحديث وحفظ ما لم يكن موجودا عند علماء بلده وأهل مصره" (١) سنة سنها لهم من قبل شيخهم وامامهم - في الحديث - جابر بن عبد الله حينما رحل الى الشام والتقى بعبد الله بن أنيس الأنصاري وقال له حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في المظالم لم أسمعه أنا منه فلما أخبره به حمله عنه ورجع الى المدينة . (٢)

وهذا أيضا أبو أيوب الأنصاري يرحل الى مصر من أجل الحديث ويلتقي بعقبة بن عامر فيأخذ عنه الحديث ويرجع الى المدينة . (٣)

وقد درج العلماء على الرحلة في طلب الحديث بعد ذلك فليس بدعا - اذن - أن قام صاحبنا - أحمد - (وقد شغف بدراسة الحديث وعلومه حتى أصبح فيما بعد رجله الأول بلا منازع) برحلات متعددة الى بلدان مختلفة من أجل هذه الأغراض جميعها .

المبحث الأول

رحلته الى بلاد الصعيد سنة ٧٩٢ هـ

إن أول رحلة قام بها كانت في سنة ٧٩٢ هـ ، يقول هو نفسه متحدثا عنها :

"وفي هذه السنة سافرت الى قوص وغيرها من بلاد الصعيد ولم أستفد شيئا من المسموعات الحديثية بل لقيت جماعة من أهل الأدب منهم ناصر الدين قاضي - هو - وابن السراج قاضي قوص وجماعة من أهل الأدب سمعنا من نظمهم" (٤)

يقول السخاوي بلغني أنه أنشد هنا قوله :

نزلت بالصعيد على قوم بالملا باهوا - بلدة من صلاحهم عمرت ، أقول عند أذكارهم يا هو - وغير ذلك - (٥)

---

(١) الحديث والمحدثون ص ١٠٩
(٢) الأدب المفرد ص ١٩٤
(٣) مختصر جامع بيان العلم ص ٤٦
(٤) ابن حجر انباء الغمر ص ٤١٩
(٥) الجواهر ص ١٢٤

المبحث الثاني

رحلته الى الاسكندرية سنة ٧٩٧ هـ

وفي هذه السنة قدر له أن يلتقي ويجتمع بالشيخ شمس الدين بن الجزري فحثه "وحضه لما رأى من نجابته على الرحلة لاسيما الى دمشق" (١)

لذا نراه في آواخر هذه السنة يأخذ طريقه الى الاسكندرية وينتهي اليها ويدخلها "يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة" (٢) ، فأخذ وسمع عن جماعة من علمائها منهم منسدها التاج أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الشافعي آخر من كان يروي بها حديث السلفي بالسماع المتصل وهو ممن سمع عليه العراقي " (٣)

والتاج أحمد بن محمد بن الخراط وابن شافع الازدي والفيشي وابن الموفق وغير هؤلاء حتى بلغ عدد مشايخه في هذه السفرة تسعة من الشيوخ (٤)

وظل مقيما بالاسكندرية الى أن انقضت السنة وانصرم من التي تليها عدة أشهر (٥) ثم لما قضى وطره وبلغ أربه من الاسكندرية رحل عنها الى مصر وقد استفاد من هذه الرحلة كثيرا من المسموعات يقول السخاوي "وقد رأيت جزءاً أسماه "الدرر المضية من فوائد الاسكندرية" ذكر فيه مسموعه وما وقع له من النظم والمراسلات" (٦) ، ثم يقول أيضا "وكذا رأيت جزءاً للسفرة التي بعدها ، والظاهر أن كل سفراته سلك فيها هذه الطريقة" (٧) وهي بالطبع ،طريقة مثلى حتى لا تضيع منه شاردة ولا تغيب عنه آبدة بل في كل كتاب مسجل ومسطور .

المبحث الثالث

رحلته الى الحجاز سنة ٧٩٩ هـ

وفي شوال سنة ٧٩٩ هـ ، ظهر من مصر قاصدا بلاد الحجاز فوصل الطور في ذي القعدة ولقي بها من الفضلاء الذين كانوا بمصر ثم رحلوا عنها آخذين طريقهم الى البلاد اليمنية العلامة نجم الدين أبو علي محمد بن أبي بكر بن يوسف المصري ثم المكي عرف بابن المرجاني " فقرأ عليه بساحل الطور حديثا في ١٥ ذي القعدة" (٨)

---

(١) الجواهر ص ١٢٦
(٢) نفس المصدر ص ١٢٦
(٣) نفس المصدر ص ١٢٦
(٤) نفس المصدر ص ١٢٧
(٥) المصدر السابق ص ١٢٧
(٦) نفس المصدر ص ١٢٧ .
(٧) نفس المصدر ص ١٢٨
(٨) نفس المصدر ص ١٢٧

وكان يرافقه في هذه السفرة صلاح الدين الاقفهسي الشافعي والرضي أبو بكر بن أبي المعالي الرشيدي القحطاني وغيرهم فاستأنس بهم "وانتشرت الفوائد الأدبية وغيرها بينهم" (١) وقد خفف ذلك بالطبع ، عنهم من مشقة الرحلة فلم يشعروا ببعد الشقة على الرغم من أنهم مضوا فيها شهرا بتمامه ونزلوا "ينبع يوم الجمعة ١٢ من ذي الحجة (٢) ، ولقي بها "ولكن ما تحقق أنه في هذه السفرة - جاد الله بن صالح بن أحمد الشيباني المكي" وقرأ بها عدة أحاديث من الترمذي" (٣)

المبحث الرابع

رحلته الى بلاد اليمن سنة ٨٠٠ هـ

ثم توجه صاحبنا - أحمد - ومن معه من ينبع الى بلاد اليمن فوصلوا اليها ودخلوها في شهر ربيع الأول من هذه السنة (٤) ، وتنقل بين مدنها واجتمع فيها بكبار شيوخها وتلاقى معهم وأخذ عنهم وسمع منهم فمثلا لقي أبا بكر محمد بن صالح بن الخياط ، وبزبيد الشهاب احمد بن أبي بكر بن علي الناصري والعلامة السري اسماعيل بن محمد بن المقري ، والوجيه عبد الرحمن بن محمد العلوي وغيرهم كثير .

وبعدن الرضي أبا بكر بن يوسف بن أبي الفتح بن المستأذن وغيره وبالمهجم احمدَ بن ابراهيم بن أحمد الفرضي وغيره . وبوادي الخصيب الجمال محمد بن أبي بكر بن علي المصري وهو أخو المرجاني السابق كما اجتمع أيضا في وادي الخصيب وزبيد بالعلامة شيخ اللغويين بلا مدافع مجد الدين الفيروزابادي وقرأ عليه أشياء كثيرة (٥) ، وقد أخذ عنه غالب من ذكرنا وغيرهم "واغتبطوا به واستمدوا من فوائده على جاري عوائده (٦) .

ولقد خرج في هذه الرحلة " من مرويات نفسه الأربعين المهذبه بالأحاديث الملقبه" بعد أن التمس منه "ابن النفيس أبي داود محدث اليمن" ذلك (٧) "وكذا حدث وهو هناك بكتاب ابن الجزري في الأدعية المسمى "بالحصن الحصين" فحصل في البلاد اليمنية بسبب ذلك رواج عظيم وتنافسوا في تحصيله وروايته وذلك قبل دخول مصنفه اليهم" (٨) .

---

(١) الجواهر ص ١٢٨ و ١٢٩
(٢) المصدر السابق ص ١٢٩
(٣) المصدر السابق ص ١٢٩
(٤) القلائد الجوهرية ص ١٤٥
(٥) الجواهر ص ١٢٩ و ١٣٠
(٦) المصدر السابق ص ١٣١
(٧) المصدر السابق ص ١٣١
(٨) المصدر السابق ص ١٣١ و ١٣٢

جلدت من علماء

ولم يكن صاحبنا ـ أحمد ـ ذا مكانة ومنزلة وموضع احترام وتقدير عند بني جلدته من علماء اليمن فحسب بل إن شهرته وصيته قد سبقاه الى ملوكها وأمرائها لذا ترى الملك الأشرف اسماعيل بن الأفضل عباس صاحب اليمن يخطب وده ويراسله "للاجتماع به في زبيد نفعل ذلك فأثابه أحسن الاثابه وعامله بما هو جدير به من الاجلال والاحتفال" (١) ، وبعد أن قضى في هذه البلاد شهورا يتنقل بين مدنها ويجتمع بشيوخها رحل عنها "وقد زادت معارفه وانتشرت علومه ولطائفه" (٢) ، ثم عرج أثناء عودته على مكه وأقام بها أياما أدى خلالها فريضة الحج "وهذه حجة الاسلام" (٣) ، وقد لقي بمكة ومنى والمدينة جمعا من العلماء والمسندين فالتقى بمكة بجماعة منهم البرهان أبو اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن صديق والعلامة الزين أبو بكر بن الحسين المراغي ـ والمحدث المكثر الشمس أبو عبد الله محمد ابن علي بن ضرغام بن سكر وغيرهم وامام المقام أبو اليمن محمد بن أحمد بن ابراهيم الطبري وست الكل ابنة الزين أحمد بن محمد القسطلاني وغير ذلك وآخرون بمنى والمدينة (٤) ثم نراه بعد ذلك قد اختلف الى مكة وهذه البلاد وتردد عليها مرات عديدة أولها بعد ذلك سنة ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨١٥ و ٨٢٤هـ ـ وهي آخر مرة ـ (٥)

وفي كل مرة من هذه المرات يأخذ عنهم ويسمع منهم ويأخذون عنه ويسمعون منه "ولما رجع من حجة الاسلام الى بلده سنة ٨٠١ هـ جد في استكمال ما بقي عليه من مسموع مصر والقاهرة وفي شيوخه ومسموعه بهما كثرة" (٦) . فنراه قد أخذ بمصر عن ابن عقيل البالسي وابن أسعد القاياتي وابن رزين وعثمان بن محمد بن الشيشيني وغيرهم ، وأخذ بالقاهرة عن أبي اسحاق التنوخي وابن الشحنه ، ابراهيم ابن داود الآمدي ، الحلاوي ، وغيرهم . كذلك نراه قد انتقل الى الجيزة وسمع بها على الصلاح ابن علي الزفتاوي . وانتقل أيضا الى القرافة وسمع بها على الشهاب احمد بن محمد بن الناصح . وسمع بجزيرة الفيل على شيخه واستاذه ومخرجه الحافظ العراقي (٧)

---

(١) الجواهر ص ١٣٢ (٢) المصدر السابق ص ١٣٢
(٣) نفس المصدر ص ١٣٣ (٤) نفس المصدر ص ١٣٧
(٥) نفس المصدر ص ١٣٣ و ١٣٦ و ١٣٨
(٦) نفس المصدر ص ١٣٩
(٧) نفس المصدر ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١

ثم لما آنس من نفسه أن قد "أشرف على الاستيفاء وحصول الاستيعاب لما أمكن بالديار المصرية" (١)

ولم يعد هناك من الشيوخ الذين يعول عليهم في هذا الفن من يجتمع به ويتردد عليه ولى وجهه شطر البلاد الشامية ليأخذ عن مسنديها وعلمائها .

المبحث الخامس

رحلته الى البلاد الشامية

وفي ثالث عشر من شعبان سنة ٨٠٢ هـ ، ظهر من القاهرة موليا وجهه شطر "البلاد الشامية للأخذ عمن بها" (٢) ، لكنه لم يفته الأخذ والسماع من علماء المدن والقرى التي مر بها وعرج عليها أثناء رحلته تلك ، فلقي بسرياقوس قاضيها صدر الدين سليمان الأبشيطي الشافعي وأخذ عنه بعضا من الأجزاء الحديثية (٣) ، وصدر الدين محمد بن ابراهيم السلمي المغربي (٤) ، وفي قطيه أخذ عن رفيقه وصاحبه المحدث التقي الفاسي المكي (٥) ، وبالرملة أخذ عن الامام الشهاب احمد بن محمد بن حسين مهند بن الحرم (٦) وأحمد بن محمد الأيكي (٧) ، وبغزة أخذ عن أحمد بن محمد بن عثمان الخليلي (٨) وبالخليل أخذ عن صالح بن خليل بن سالم (٩) ، ومحمد بن محمد بن علي بن يحيى المنبجي الحنفي (١٠) ، وكانت نهاية رحلته وآخر مطافه دمشق فدخلها في ٢١ من رمضان سنة ٨٠٢ هـ ، واستضافه خليله وصديقه بها الصدر علي بن محمد بن محمد بن الآدمي لما كان بينهما من المودة (١١) ، وبعد أن استقر به المقام تردد على الشيوخ وأخذ عنهم وسمع "من خلائق من أصحاب أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار ومن قبله مثل القاسم بن عساكر" (١٢) . كذلك كان من الشيوخ الذين تردد عليهم بدمشق وصالحيتها ابن منيع ، وبدر الدين محمد بن محمد بن قوام البالسي وفاطمة بنت محمد بن أحمد بن المنجا التنوخيه وفاطمة وعائشة بنتا محمد بن عبد الهادي ، ومحمد بن عبد

---

(١) الجواهر ص ١٤١
(٢) المصدر السابق ص ١٤١
(٣) نفس المصدر ص ١٤٢
(٤) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧١
(٥) الجواهر ص ١٤٢
(٦) المصدر السابق ص ١٤٢
(٧) الشذرات ج ٧ ص ٢٧١
(٨) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٧١
(٩) المصدر السابق نفس الصفحة
(١٠) الجواهر ص ١٤٣
(١١) المصدر السابق ص ١٤٨
(١٢) المصدر السابق ص ١٤٣

الرحمن الذهبي - حفيد الذهبي - (١) ، ولم يكن كل همه - خلال اقامته بدمشق - التردد على الشيوخ والسماع منهم والأخذ عنهم فحسب بل "وصل هناك على جاري عادته من الكتب الكبار والأجزاء القصار وغيرهما أشياء كثيرة جدا كانت قد انقطعت من مدد متطاولة" (٢) . كذلك "حصل له في هذه المدة مع قضاء اشغاله ما بين قراءة وسماع من الكتب المجلدات خاصة من المعجم الأوسط للطبراني ثلاثة ومن الكبير مجلد والصغير بتمامه والسنن للدارقطني ومسند أحمد وغير ذلك كثير من المجلدات" (٣)

وفضلا عن هذا كله فقد "علق في غضون هذه المدة بخطه من الأجزاء الحديثية والفوائد النثرية والتتمات التي يلحقها في تصانيفه ونحوها ثمان مجلدات فأكثر" (٤) . وقد وهبه الله من المهارات ما ساعده على كل ماقام به من جليل الأعمال والأشغال وذلك كسرعة القراءة الحسنة "وأسرع شئ وقع له في ذلك أنه قرأ في رحلته الشامية - هذه - معجم الطبراني في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر وهذا الكتاب في مجلد مشتمل على نحو ألف وخمسمائة حديث لأنه خرج فيه عن ألف شيخ عن كل شيخ حديثاً أو حديثين" (٥) وأيضا سرعة الكتابة مع حسنها (٦) ، يقول السخاوي "سمعته يقول كنت أكتب في تلخيصي لتهذيب المزي الى الزوال كراسا بالكامل (٧) كذلك يقول "سمعت أنه كان يكتب من البخاري جزءا من ثلاثين في اليوم" (٨) .

وبجانب هذا وذلك كانت هناك أمور أخرى خارجية ، هيأت له الظروف المناسبة وخلقت له الجو الملائم حتى استطاع أن يتم وينجز ماقام به من أعمال وأشغال منها أنه " لم يتردد في غضون هذه الفترة على أحد من رؤساء الشام" (٩) . ولم يتول "القضاء" بها (١٠) .

وضرب عن كل هذا صفحا وانما كانت همته المطالعة والقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والافادة (١١) "بحيث لم يكن يخلي أوقاته عن شيء من ذلك" (١٢)

"قد أمضى بدمشق مائة يوم" (١٣) ، كان خلالها ملازما "طريقته في التصنيف والاقراء

---

(١) الجواهر ص ١٤٦ ، الشذرات ص ٢٧١
(٢) الجواهر ص ١٤٤
(٣) المرجع السابق ص ١٤٨
(٤) نفس المصدر ص ١٤٩
(٥) المصدر السابق ص ١٥٠ و ١٥١
(٦) ~~الجواهر ص ١٥٧~~ ، الفاسي "الذيل على التقييد" ص ١٢٣ ب ، ابن فهد لحظ الألحاظ ص ٣٣٦
(٧) المصدر السابق ص ١٥٨
(٨) المصدر السابق ص ١٥٩
(٩) المصدر السابق ص ١٦٣
(١٠) المصدر السابق نفس الصفحة
(١١) المصدر السابق ص ١٦٣
(١٢) المصدر السابق نفس الصفحة
(١٣) رفع الاصر ص ٨٥ ، الجواهر ص ١٤٨

والاملاء والكتابة بل لم يهمل سماعه على الشيوخ والأصحاب " وبعد أن أنهى أربه من دمشق خرج منها "في أوليم من سنة ٨٠٣ هـ" ولعل ما استجد من الظروف والأحداث هو الذى دفعه الى أن يعجل بالرحيل عنها يقول السخاوى" ولما كثرت الاشاعة فى دمشق بقدوم اللنك اليها وأرجف بذلك رجع الى بلاده" (١)

وأيما كان فإنه لم يفارقها الا "وقد اتسعت معارفه كثيرا وظهر لعلماء الشام وفضلائها منه حفظ كثير واغتبطوا به وشهدوا له بالتقدم فى فنون الحديث الى أعلى رتبه (٢) ، وفى طريق عودته — من دمشق — عرج على نابلس وأقام بها أياما (٣) ، أخذ خلالها وسمع من ابراهيم وعلى ابنى محمد بن العفيف وغيرهما (٤) ، ومن نابلس توجه الى بيت المقدس فأخذ عن أحمد بن محمد بن عبد الكريم وامام المسجد الاقصى الشهاب احمد بن محمد ابن مثبت المالكى والباعونى الشافعى وامام قبة الصخرة عبد الرحمن بن محمد بن حامد وعبد الهادى بن عبد الله البسطامى (٤) ، وكذا سمع من المفتى شمس الدين محمد القلقشندى ، ومحمد بن محمد بن على المنبجى وغيرهم (٥) ، ثم رجع الى بلده وزاول ما كان مشتغلا به من قبل .

رحلته الثانية الى بلاد اليمن

وفى سنة ٨٠٥ هـ ، ذهب الى بلاد الحجاز فحج وأقام هناك أياما مجاورا ثم سافر الى بلاد اليمن وتنقل بين مدنها وقراها ولقى بها بعض من لقيهم فى المرة الأولى وغيرهم فحملوا عنه وحمل عنهم (٦) ثم رجع الى بلده واشتغل بما كان مشتغلا به آنفا .

رحلته الى البلاد الحلبية

وفى شهر رجب من سنة ٨٣٦ هـ — خرج من القاهرة — هو ورفقاؤه من القضاة صحبة السلطان الأشرف برسباى اذ كان متوجها الى بلاد آمد لدفع أذى التركمان الذين

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) ، الفاسى "الذيل على التقييد" ص ١٢٣ أ
(٣) الجواهر ص ١٤٧
(٤) المصدر السابق ص ١٤٢ و ١٤٣
(٥) ابن العماد "شذرات الذهب" ج ٧ ص ١٧١
(٦) الجواهر ص ١٣٣

تغلبوا على بلاد آمد وماردين وغيرها ونهبوا أموال الرعايا وأكثروا فى تلك الجهات الفساد وعلى جارى عادة صاحبنا — أحمد — لم يخل سفره من فائدة فكتب عن رفيقه البساطى قاضى المالكية أثناء نزولهم بلبيس — فى المذاكره بحثا — وكذا كتب بالصالحية عن قاضى المنصورة شمس الدين بن كميل وسمع بظاهر نيسان من المحب أحمد بن نصر الله البغدادى قاضى الحنابله حديثا من سنن أبى داود (١)

وكتب أيضا عن رفيقه قاضى الحنفية بدر الدين محمود العينى أشياء من نظمه وسمع عليه حديثا وبالغ حتى كتب عن أحد تلامذته البرهان البقاعى (٢) ، وفى منتصف شعبان تماما وصلوا الى دمشق فنزل هناك بالمدرسة العادلية الصغرى فلما كان اليوم التالى — وهو السادس عشر — عقد مجلس الاملاء بجامع بنى أمية وكان المستملى عليه برهان الدين ابراهيم العجلونى تلميذ شمس الدين محمد بن ناصر الدين شيخ الحديث بالديار الشامية (٣)

وقد حضر ابن ناصر الدين نفسه مجلس الاملاء وأكرم المملى غاية الاكرام حتى قال "يقبح بنا أن نتكلم بحضرتك" ، كما حضر أيضا هذا المجلس قضاة مصر والشام كذلك حضر فقيه الشام ابن قاضى شهبة "وجمع وافر من الأعيان والفضلاء والطلبة" (٤)

وقد أملى فى هذا المجلس الحديث المسلسل بالأولية (٥) حديث ابن عباس — احفظ الله يحفظك — وحديث ابن مسعود — نضر الله امرءا — الخ ...

وظلوا بدمشق حتى العشرين من شعبان ثم رحلوا عنها (٦) ، متوجهين الى حلب

---

(١) الجواهر ص ١٧٤ و ١٧٥ (٢) المصدر السابق ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر ص ١٨٠ (٤) نفس المصدر ص ١٨٠ و ١٨١

(٥) الحديث المسلسل — هو ماتتابع رجال اسناده على صفة أو حالة للرواة تارة وللرواية تارة . وصفات الرواة أقوال وأفعال وأنواع كثيرة غيرها كمسلسل التشبيك باليد والعد فيها وكاتفاق أسماء الرواة أو صفاتهم أو نسبتهم كأحاديث رويناها كل رجالها دمشقيون وكمسلسل الفقهاء .

وصفات الرواية كالمسلسل بسمعت أو بأخبرنا أو أخبرنا فلان والله وأقوالها دال على الاتصال ومن فوائده زيادة الضبط وقلما يسلم عن خلل فى التسلسل وقد ينقطع تسلسله فى وسطه .

ومعنى كونه بالأولية (التقريب والتيسير للنووى ص ٣٢) أن يكون أول حديث سمعه من شيخه . ويكون أول حديث شيخه من شيخه ، وهكذا الى انتهاء السند .

(٦) الجواهر ص ١٨١

فلما وصلوا حماه كتب بها عن شاعرها "التقي ابن حجه" أشياء من نظمه وعن الشيخ نور الدين على النيساني عشرة أحاديث وغيرها . ثم رحلوا الى حمص فكتب بها عن محمد ابن محمد بن القواس فلما رحلوا عنها وانتهوا الى حلب دخلوها في الخامس من شهر رمضان وأقاموا بها خمسة عشر يوما سمع في اليوم الأول منها على برهان الدين سبط ابن العجمي الحديث المسلسل بالأولية بقراءة البرهان البقاعي ـ تلميذه وقرأ هو نفسه على ابن العجمي مشيخة الفخر بن البخاري (١) . ولقد كان حريصا كدأبه على " التقاط الفائدة والسماع ممن هو أعلى سندا منه ولو كان دونه في المرتبة" (٢) ولم يقتصر على السماع والكتابة والقراءة بل أملى أثناء اقامته بحلب مجلسا افتتحه بالحديث المسلسل بالأولية ـ حديث الرحم ـ وكان ذلك بالجامع الكبير بالجهة المعدة لطلبة الحنابلة وكان ذلك في شهر رمضان . كما حدث خلال هذه الفترة بأشياء من ذلك كتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعي للرامهرمزي قرأه عليه البرهان البقاعي (٣) .

ثم رحل من حلب صحبة السلطان حتى وصلوا الجسر المعد على الفرات وهنا أذن له السلطان بالرجوع مع البدر العيني الى بلده عينتاب وسمع عليه بظاهرها بقراءة تلميذه ورفيقه ناصر الدين محمد بن المهند من ثلاثة أحاديث أحدها من مسند أحمد والآخران من صحيح مسلم . ثم رجع في ثالث شوال الى حلب وعقد بها مجلس الاملاء وحضره أعيان الحلبيين والمصريين من بينهم البرهان الحلبي والقاضي العيني وبلغت عدة مجالس املائه في هذه المدة ستة مجالس غير الأول وقد انتهى من ذلك يوم الثلاثاء ١٩ ذى الحجة ثم رحل عن حلب صحبة السلطان راجعا الى القاهرة . (٤)

فلما وصلوا الشام ونزلوا دمشق سمع بها على المسندة عائشة بنت خليل ابن الشعرا يحيى المسلسل بالأولية ومنتقى الذهبي من مشيخة الفخر بن البخارى (٥) . وكذا سمع على يحيى ابن يحيى القباني وغيره . وروى هو أيضا لأهل الشام جزء أبي الجهم سمعوه عليه بقراءة ابن ناصر الدين حافظ الشام (٦) .

---

(١) الجواهر ص ١٨٤
(٢) المصدر السابق ص ١٨٥
(٣) نفس المصدر ص ١٨٨
(٤) نفس المصدر ص ١٩١ و ١٩٤
(٥) نفس المصدر ص ١٨١
(٦) نفس المصدر ص ١٨٢

ولقد كتب بخطه أثناء اقامته بالشام وحلب أشياء كثيرة تزيد على مجلدين وكذا بين فى هذه السفرة بسائر البلاد التى مر بها فساد ما بثه الشيخ محمد بن أحمد الفريابى المغربى من الأسانيد المركبة المختلفة فى تلك النواحى حتى رجع كثير عن الرواية عنه (١)

وبعد هذه الرحلة رجع الى القاهرة يوم الأحد العشرين من المحرم سنة ٨٣٧ هـ . وباشر ما كان قائما به قبل ذلك من أعمال وأشغال ، وبالجملة فقد "رحل وانتقى وحصل" (٢) "وأكثر جدا من المسموع والشيوخ" (٣) "فسمع العالى والنازل وأخذ عن الشيوخ والأقران فمن دونهم" (٤) حتى انتهت "اليه معرفة هذا الشأن - أى فن الحديث - وصار امام الناس فيه بعد وفاة شيخه" (٥). وكان "فى أكثر طلبه مفيدا فى هيئة مستفيد" (٦) "ولا ينتبه لطريقته فى ذلك كثير أحد" (٧).

---

(١) الجواهر ص ١٩٦

(٢) شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٧١

(٣) البدر الطالع جـ ١ م ١ ص ٨٨

(٤) الضوء اللامع جـ ٢ ص ٣٧

(٥) بهجة الناظرين ص ١٦٤ مخطوط

(٦) عنوان الزمان ص ٣٨

(٧) الجواهر ص ٧٨٣

الفصـــل الثـالــث

مناصبه الــتى تولاها ووظــائفه الــتى شــغلها وأعمــاله الــتى قــام بـها

المبحث الأول : توليته منصب القضاء (١)

تمهيد :

لما كانت طباع الناس مجبولة على التنازع والتنافس وحب المال وغير ذلك دعت الحاجة الى حملهم على الحق والزامهم اياه باليد القاطعة للنزاع ، ولا يكون ذلك الا عن طريق مـــن يتولى الفصل فيما يقع بينهم من خصومات ومنازعات لذا فقد دعت الحاجة الى وجود هـــذه الوظيفة حتى ينظر من يتولاها فى جميع هذه المهام وقد لقيت وظيفة القضاء اهتماما بالغـــا وعناية خاصة من السلاطين فى ذلك العصر - مما يدل على رفعة منصب القضاء ومكانته بـين المناصب الكبرى الموجودة حينذاك - اذ كان تعيين القضاة وعزلهم منوطا بارادة السلطـــان وحده ، كما كان الشخص الذى يقع عليه الاختيار يمثل بين يدى السلطان بالقلعة ويكتب له كاتب الانشاء أمرا "تقليدا" بتوليته القضاء يذكر فيه عادة الأسباب التى أدت الى اختياره والصفات الطيبة التى يتحلى بها وأنه أهل لهذا المنصب ثم بعد ذلك يسوق الوصايا والنصائح الــتى يجب عليه أن يتبعها ويلتزمها حتى تحقق على يديه العدالة والانصاف بين الناس ويخلــع عليه السلطان خلعة المنصب "التشريف" ثم ينزل من القلعة فى موكب حافل وبعـد ذلــك يباشر مهام منصبه ويختار لنفسه مكانا يجلس فيه للفصل فى الخصومات وعادة يكون المسـجد أو المدرسة فى الحى الذى يختاره ويكون هو المتصرف الوحيد فى دائرته فى كل ما يتصـــل بالقضاء فتعرض عليه القضايا على اختلاف أنواعها سواء كانت قضايا مدنية أم جنائية وكـــان يقضى ويحكم فيها بأحد المذاهب الأربعة (٢) .

---

(١) يطلق القضاء ، على معان منها ابرام الأمر والفراغ منه ومنها الأداء ومنهـا الحكم وهو المراد هنا والحكم فى مادته بمعنى المنع ومنه سمى القاضى حاكما لمنعـه الظالم من ظلمه .
وفى اصطلاح الشرعيين قول ملزم يصدر عن ولاية عامة أو هو الاخبار عن حكم شرعى على سبيل الالزام فيقال قضى القاضى أى الزم الحق أهله .
أو هو فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى .

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق "الناصر محمد بن قلاون" ص ٤٣ و ٤٤

ويلاحظ أنه في العصر الأيوبي وسنين من صدر العصر المملوكي كان يقضي بين الناس بالمذهب الشافعي ، فلما كانت سنة ٦٦٤ هـ أيام سلطنة الظاهر بيبرس جعل قضاة مصر أربعة من كل مذهب قاض (١) ويذكر القلقشندي السر في ذلك فيقول " ان القضاء بها ـ أي الديار المصرية ـ كان بيد القاضي تاج الدين بن بنت الأعز وكان شافعيا فكانت تأتيه المكاتيب المخالفة لمذهبه فيتوقف فيها فشق ذلك على السلطان والأمراء (٢) " وازاء هذا اجتمع السلطان والأمراء واشتوروا فيما بينهم " فأشار الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضيا مستقلا يحكم بمقتضى مذهبه فأجابه الى ذلك (٣) " على أن القاضي الشافعي ظل له في هذا العصر مكانة ممتازة عن زملائه اذ كان يقدم عليهم في الخطابة والمبايعات والمحاكمات المختصة ببيت المال (٤) كما أنه في شوال من سنة ٦٧٨ هـ أيام سلطنة المنصور قلاون اختص قاضي القضاة الشافعي بالديار المصرية بالتولية في أعمالها دون رفقته الثلاثة (٥)

ويبدو أننا قد أطلنا ـ في ذلك ـ ولكن يشفع لنا أننا أردنا بذلك أن نقدم للقارئ صورة واضحة عن مركز هذه الوظيفة بين الوظائف الأخرى بالاضافة الى مركز القاضي الشافعي ومكانته بين اخوانه القضاة اذ كان ـ صاحبنا احمد ـ شافعي المذهب .

وبعد ماقدمناه يجمل بنا بل يجب علينا أن نعود الى ما نحن بصدده من الحديث على تولية ـ صاحبنا احمد ـ القضاء فنقول : ـ

لقد عرض عليه القاضي صدر الدين المناوي أن ينوب عنه في القضاء وكان ذلك قبل انتهاء القرن الثامن فأبى وامتنع (٦) لأنه حينئذ كان لايؤثر على الاشتغال ـ بالعلم ـ شيئا (٧) كما أن السلطان المؤيد فوض اليه أمر القضاء بالمملكة الشامية مرارا فأبى وأصر على الامتناع (٨) فلما كانت سنة ٨٢٢ هـ ولاه السلطان المؤيد الحكم في قضية خاصة بين

(١) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٦
(٢) القلقشندي صبح الأعشى جـ ١ ص ٤١٩
(٣) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٦
(٤) ابن خلدون التعريف ص ٢٥٤
(٥) القلقشندي صبح الأعشى جـ ١ ص ٤١٩
(٦) السخاوي ذيل رفع الاصر ص ٨٤
(٧) السخاوي الجواهر والدرر ص ٧٩٥
(٨) ابن فهد لحظ الألحاظ ص ٣٣٠

شمس الدين الهروى قاضى الشافعية وبين خصومه الخليليين والمقادسة (١) وكانت هذه لتوليه بداية قبوله الحكم والقضاء فى بعض المسائل والقضايا ثم عرض عليه المؤيد بعد ذلك الاستقلال به فأبى ولم يجبه الى طلبه (٢) وكذلك عرض عليه فى أيام الظاهر ططر لكنه أيضا لم يقبل وأصر على الامتناع (٣) غير أنه كان بين ـ صاحبنا احمد ـ وبين جلال الدين البلقينى من الود والصحبة ما اشتهر بين الناس فلما ولى جلال الدين القضاء سأل ـ صاحبنا احمد ـ أن يلى نيابة القضاء عنه بل وألح عليه حتى قبل لكنه لم يباشر من الأحكام الا اليسير مما لا يستغنى عنه فيه (٤) ثم لما توفى القاضى جلال الدين ـ المذكور ـ وأصبحت وظيفة القضاء شاغرة شغلها بعده القاضى ولى الدين العراقى ـ وهو ابن شيخه ـ وطلب منه أيضا أن يلى نيابة القضاء عنه فلم يجد بدا من اجابته دفعا لتوهم مزية للقاضى جلال الدين عليه (٥) ثم لما تولى القضاء علم الدين البلقينى بعد ولى الدين العراقى ـ وهو ابن شيخه سراج الدين ـ طلب منه النيابة عنه فى القضاء فأجابه الى ذلك ولم يمتنع وما زال كذلك حتى عرض عليه قضاء الديار المصرية فقبله واستقر فيه فى السابع والعشرين من المحرم سنة ٨٢٧ هـ بعد علم الدين المذكور (٦) بتفويض من السلطان الأشرف برسباى (٧) كما أنه ألزم من أحبائه بقبوله (٨)

فتولى مهام منصبه وباشر ذلك بعفة ونزاهة وتواضع زائد واستجلاب لخاطر الصغير قبل الكبير لكن كان بنكد وعناء وتعب وكثرة معارض وقلة انصاف (٩) وحينذاك أنشد شمس الدين محمد بن على الهيتمى لنفسه .

عزلوا صالحا عن الحكم لما	ألبس الله احمد التشريفا
حصل العدل فهو ممنوع صرف	ثم لا زال صالحا مصروفا (١٠)

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٩٥
(٢) الشوكانى البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩١
(٣) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٩٦
(٤) المصدر السابق ص ٧٩٥
(٥) المصدر السابق ص ٧٩٥
(٦) ابن حجر رفع الاصر ج ١ ص ٨٥ ، التقى الفاسى الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب
(٧) ابن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٣٠
(٨) الشوكانى البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٩٢
(٩) السخاوى الجواهر ص ٧٩٦
(١٠) المصدر السابق ص ٧٩٧

وعلى الرغم من رفعة المنصب وعظمته وطمع الناس فيه فان صاحبنا احمد قد ندم بل وتزايد ندمه على قبوله (١) لكون أرباب الدولة لا يفرقون بين أولى الفضل وغيرهم ويبالغون فى اللوم حيث ردت اشاراتهم وان لم تكن على وفق الحق بل يعادون على ذلك واحتياج القاضى بسببه الى مداراة الصغير والكبير بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل مايرومونه على وجه العدل (٢) وليت الأمر وقف به عند حد الندم بل قد صرح بأنه جنى على نفسه بذلك (٣) وظل فى المنصب قرابة تسعة أشهر وعشرة أيام حتى عزل فى السابع من ذى القعدة وتولى بعده شمس الدين الهروى ويعقب ابن فهد على ذلك فيقول " ولو استمر على ذلك لكان خيرا له فى دينه ودنياه " (٤) ونحن نوافقه على أن ذلك خير له فى دنياه أما فى دينه فلم يؤثر عنه أنه قضى بخلاف الحق أو ارتكب ماحرم الله أثناء توليته حتى يكون قد أفسد دينه فيكون بعده عن القضاء خيرا له فى دينه أيضا وعقب عزله تكلم معه دوادار السلطان يومئذ واسمه جانى بك فى وزن مال ليعود فأنشد قوله :—

الدويدار قال لى	أنا أقضى مأربك
قم زن المال قلت	لاحفظ الله جانبك (٥)

وفى هذه الولاية كانت له قومة صادقة فى الحق وقف بجانبه لا يخشى فى الله لومة لائم حتى أقره وأثبته ورفع الظلم الذى كاد ينزل بطائفة التجار فى ولايته فلقد عقد مجلس بسبب أخذ الزكاة منهم (٦) فقام معهم ودافع عنهم وعن غيرهم فقال " وأما التجار فانهم يؤدون الى السلطنة من المكوس أضعاف مقدار الزكاة وهم مأمونون على ماتحت ايديهم من الزكاة وأما زكاة الماشية فليس فى الديار المصرية غالبا سائمة وأما زكاة النبات فغالب من يزرع من فلاحى السلطان أو الامراء " (٧) وذهبت الأزمة وانفرجت عن التجار وعن غيرهم (٨) ومن أراد مزيدا من وقفاته بجانب الحق ودفاعه عنه وان كان على غير هوى السلاطين (٩) " فليراجع الجواهر والدرر وعنوان الزمان " وفى النصف الثانى من شهر رجب سنة ٨٢٨ هـ أعيد الى المنصب بعد عزل الهروى المذكور (١٠) وكان يوما مشهودا وحصل للناس يومئذ

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ١ م١ ص٩٢
(٢) السخاوى الجواهر والدرر ص٧٩٨
(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ١ م١ ص٩٢
(٤) ابن فهد لحظ الالحاظ ص٣٣٠
(٥) السخاوى الجواهر ص٨٠٠
(٦) السخاوى الجواهر والدرر ص٨١٥
(٧) المصدر السابق ص٨١٥
(٨) المصدر السابق نفس الصفحة
(٩) المصدر السابق ص٨١٥ ، البقاعى عنوان الزمان ص٤٥
(١٠) التقى الفاسى الذيل على التقييد ص١٢٤ ب

سروران عظيمان أحدهما بولايته لأن محبته مغروسة فى القلوب والثاني بعزل الهروى فان القلوب قد اتفقت على بغضه لإساءته فى ولايته وارتكابة الأمور الذميمة (١) وزيد له فى تقليده البلاد الشامية فى هذه الولاية فيقال قاضى القضاه بالبلاد المصرية والشامية غير أن هذا — كله — قد أثار كوامن الحقد فى قلوب منافسية فقام ونازعه الولاية فى القضاء القاضى نجم الدين بن حجى وسعى عليه جهده لكنه لم يتم له أمر (٢) وظل فى المنصب الى أن صرف عنه فى يوم الخميس السادس عشرى من صفر سنة ٨٣٣ هـ وتولى عقبه علم الدين صالح البلقينى .

وفى السادس عشر من جمادى الأولى سنة ٨٣٤ هـ أعيد الى القضاء بعد عزل علم الدين المذكور ثم عزل فى يوم الخميس الخامس من شوال سنة ٨٤٠ هـ بعلم الدين السالف الذكر ثم فى السادس من شوال سنة ٨٤١ هـ أعيد الى المنصب (٣) غير أنه فى التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٢ هـ عند قراءة تقليد السلطان الظاهر جقمق بالقصر عزل نفسه بحضرة السلطان لكلام جرى بينه وبين قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى فأعاده السلطان وخلع عليه وعلى رفقته وجدد له ولايته وأضاف اليه نظر الأوقاف التى كانت خرجت قبل فى الأيام الأشرفيه — وذلك فى ولايه ولى الدين العراقى والبلقينى — بتوقيع جديد وتم ذلك فى شهر جمادى الأولى من السنة نفسها (٤) واستمر فى ولايته الى المحرم من سنة ٨٤٤ حيث عزل بالشيخ شمس الدين الونائى لكنه لم يمكث طويلا فى الولاية اذ لم يلبث أن سعى تلميذه الناصرى محمد بن السلطان جقمق لدى والده فأعاده الى المنصب وتم ذلك فى السادس عشر من صفر وكان يوما مشهودا (٥) وحدث فى هذه الولاية أن عين السلطان جقمق بعض الأمراء فى نظر شىء من الأوقاف التى كان نظرها موكولا اليه ووصل الرسول الى السلطان بأنه لم يستجب لرغبته ولم يتنازل عن شىء منها وقال " غير الحمار كان بشهوة المكارى (٦) " فعزله السلطان

---

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٩٩ ، ٨٠٠

(٢) المصدر السابق ص ٨٠٠

(٣) ابن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٣٠ ، التقى الفاسى الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب

(٤) السخاوى الجواهر ص ٨٠٢ ، التقى الفاسى الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب ، ابن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٣٠

(٥) السخاوى الجواهر والدرر ص ٨٠٢ ، ٨٠٣ (٦) المصدر السابق ص ٨٠٣

من أجل ذلك في يوم الاثنين الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٨٤٦ هـ غير أنه لم يدم الأمر طويلا حيث روسل بالاجتماع بالسلطان فأجاب الى ذلك واجتمع به بعد يومين وبين له عذره فيما نسب اليه فقبل منه ما اعتذر به وأعاده الى منصبه في يوم الخميس الثامن عشر من الشهر المذكور وكان بعد العزل الأخير قد عزم وصمم على عدم قبول المنصب الا أن قاضي المالكية وكان من تلامذته أشار عليه بخلاف ذلك حفظا لماله وعرضه وولده فقبل وباشر عمله ومكث فيه الى يوم الأحد الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٨ هـ ثم عزل ... ثم أعيد في اليوم التالي [1] وفي الثامن من شهر المحرم سنة ٨٤٩ هـ حدثت فاجعة اليمة وهي أن منارة المدرسة الفخرية القديمة سقطت وهلك تحت الردم جماعة وبلغ ذلك الى السلطان فتغيظ منه وطلب السلطان الناظر على المدرسة نور الدين القليوبي أمين الحكم وأحد النواب فعنفه وأنبه وظن أنه ينوب عن — صاحبنا بن حجر — في ذلك الى أن ظهر الأمر بأنه ليس له ولاية ولا نيابة ولا عرف بشيء من ذلك منذ ولى لكن أعداءه انتهزوا الفرصة وأوصلوا الى السلطان أنه يقول لولا أنا لما كان للسلطان قدم في الحكم ولما ولى السلطنة وأنه ينسب الى السلطان الظلم والجور بل ألقوا في سمعه أنه سوف يصدر الحكم بخلعه والتمس من رفيقه القاضي سعد الدين الديرى الحنفي أن ينفذ ما يصدره فازداد غضب السلطان عليه وراسله بالعزل في يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر المذكور . وأخذ السلطان في مقاهرته فلم يملك الا أن كتب رسالة شديدة اللهجة الى السلطان مع العلاء بن أقبرس ومضمونها .

" إن القاضي جلال الدين البلقيني قتيل ططر والقاضي ولى الدين العراقي قتيل الأشرف برسباي وأنا قتيلك وأرجو أن يقتص الله للمظلوم من الظالم لكن العلاء استشار الخليفة فيها فمنعه من أن يطلع السلطان عليها خوفا وخشية عليه من غشم السلطان [2] وتولى بعده شمس الدين محمد القاياتي الى أن توفي في المحرم سنة ٨٥٠ هـ ويروى أنه لما عزل بالقاياتي سلم عليه وانشده .

---

(١) السخاوي الجواهر والدرر ص ٨٠٣ ، ٨٠٤

(٢) المصدر السابق ص ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦

عندي حديث ظريف ... بمثله يتغنى
عن قاضيين يعزى ... هذا وهذا يهنى
هذا يقول اكرهونا ... وذا يقول استرحنا
ويكذبان جميعا ... فمن يصدق منا (١)

وفي يوم الاثنين الخامس عشر المحرم من سنة ٨٥٠ هـ أعيد الى المنصب ففرح الناس بذلك وسروا سرورا عظيما (٢) واستمر في منصبه الى أن عزل في أواخر ذي الحجة بالشيخ علم الدين البلقيني ثم عزل وقرر في المنصب ولي الدين السفطي وذلك في العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨٥١ هـ ثم عزل السفطي وأعيد ابن حجر — الى المنصب وذلك في الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٢ هـ ثم صرف عنه في الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة وأعيد البلقيني وبعد توليته ذهب اليه — صاحبنا احمد — للسلام عليه وباسطه وأعلمه أنه لم يعد له رغبة في المنصب ليطمئن فكره ويهدأ خاطره (٣) وظل منفصلا عن القضاء مخلصا في عدم الرغبة الى العود اليه الى أن توفى ... وذلك لكثرة ماتوالى عليه من المحن والأنكاد بسببه وصرح بأنه لم يبق في بدنه شعرة تقبل اسمه وجميع مدد ولاياته احدى وعشرون سنة وأشهرا (٤) بقى علينا ونحن مازلنا بهذا الصدد أن نسوق ماذكره أحد المؤرخين المعاصرين لابن حجر حيث يقول " وكان يتخلله في غضون ذلك — أثناء توليته القضاء — من الملك قلة رضا ويشاع صرفه فيهدى اليه مايليق به من المال فيرده في المنصب فلو تنزه عنه ولزم الاشتغال بالعلم ليلا ونهارا وحج الى بيت الله وزار قبر نبيه صلى الله عليه وسلم وجاور بالحرمين الشريفين لازداد بذلك وجاهة ورفعة عند الله والمسلمين لكنه عجن قلبه بمحبة ذلك " (٥)

ويعقب أحد المحققين الباحثين على ذلك فيقول " كأن المصنف — ابن فهد — يريد أن يجعل جميع العلماء من المجاورين بالحرمين الشريفين مثله غيرُ ناظر الى مايترتب على ذلك من اختلال مصالح المسلمين بتوسيد الأمور الى غير أهلها — وابن حجر — قد

---

(١) المناوى اليواقيت والدرر ص ١٠
(٢) السخاوى الجواهر ص ٨٠٩
(٣) المصدر السابق ص ٨٠٩
(٤) المصدر السابق ص ٨١٣ ، ٨١٥ ، الشوكانى البدر الطالع جـ ١ م ١ ص ٩٢
(٥) ابن فهد لحظ الالحاظ ص ٣٣٠ ، ٣٣١

نفع المسلمين بقبوله القضاء مدة طويلة " ثم يقول بعد ذلك " وأما كونه يصرف المال في هذا السبيل فمما لا نعول عليه من غير دليل "(١) ويكفينا في الرد على هذا المؤرخ فيما ذهب اليه أن نقول انه قد انفرد بهذه الرواية وحده ولم يشر اليها أحد من الذين أرخوا — لابن حجر — على كثرتهم مما يدعو الى التشكيك فيها وعدم قبولها وتصديقها فاذا أضفنا الى ذلك أن هناك نصوصا صريحة تشير الى أنه رفض بذل المال من أجل منصب القضاء والعود اليه تبين لنا وهم ذلك المؤرخ ومجانبته للصواب فيما ذهب اليه فقد ذكر السخاوى أنه عقب صرفه من منصب القضاء فى المرة الأولى " تكلم دوادار السلطان يومئذ واسمه جاني بك فأنشد يومئذ قوله :—

الدوادار قال لي	أنا أقضي مآربك
قم زن المال قلت لا	حفظ الله جانبك "(٢)

فهل بعد هذا نصدق أنه كان يبذل المال من أجل الاحتفاظ والبقاء فى منصب القضاء.

كما أنه اذا كان يبذل المال للسلاطين من أجل البقاء فى منصب القضاء لا يستطيع أن يقف فى وجوههم ويقرر الحق على الرغم منهم لكن ثبت أنه كان له قومات فى الحق ووقفات فى وجه السلاطين فدعوى أنه كان يبذل المال من أجل البقاء فى المنصب باطله (٣)

وأما قول المؤرخ " أنه عجن قلبه بمحبة ذلك " — أى القضاء — فيكفينا فى الرد عليه ان ابن حجر نفسه صرح " بأنه لم يبق فى بدنه شعرة تقبل اسمه " " لكثرة ما توالى عليه من الأنكاد والمحن بسببه "(٤) فكيف اذن يفتن به ويعجن قلبه بمحبته اللهم الا اذا كان انسانا غير طبيعي .

وأيضا فانه قد عزل نفسه من هذا المنصب وترفع عنه كثيرا فهل يعقل ممن هذا شأنه أن يعجن قلبه بمحبة القضاء ويفتن به كما أنه روى عنه أنه قال

---

(١) محمد زاهد الكوثرى هامش لحظ الألحاظ ص ٣٣١ ، ٣٣٢

(٢) السخاوى الجواهر والدرر ص ٨٠٠

(٣) يراجع فى ذلك الجواهر والدرر ص ٨١٥ ، عنوان الزمان ص ٤٥

(٤) الشوكانى البدر الطالع جـ ١ م ١ ص ٩٢

حملت على القضاء فلم أرده ... وكان على أثقل من ثبير

فلما أن عزلت جعلت أشدو ... لقد أنقذت من شر كثير (١)

فهل بعد هذا الشعر الصريح الواضح الذى يكشف لنا دخائل نفسه يحق لأحد أن يقول أنه فتن بمنصب القضاء وعجن قلبه بمحبته .

ومجمل القول أن ابن حجر قد باشر القضاء بعفة ونزاهة وقضى بالحق ولم يبذل مالا فى سبيل ذلك المنصب وأنه " كان ذا دراية بالأحكام وخبرة بالمصطلح "(٢)" مشكورا فى ولايته مع الديانه والتحرى فى الأحكام الشرعية" (٣) ويكفيه شرفا وفخرا شهادة العلامة تاج الدين ابن الغرابيلى حيث قال " وعندى أنه ماولى قضاء الشافعية بعد ابن دقيق العيد أعلم منه " (٤) وأن هذا المنصب على فخامته وضخامته " لم يزده رفعة بل منصب القضاء تشرف به " (٥)

المبحث الثانى : توليته منصب التدريس

لقد كانت وظيفة التدريس فى المساجد أو المدارس الكبرى فى ذلك العصر تعتبر من المناصب العلمية والدينية الرفيعة وكان الأستاذ يعين بمرسوم خاص من السلطان تغدق عليه فيه الألقاب العلمية ويسدى اليه النصح برعاية مصالح الطلاب والعطف عليهم وتوزع هذه المراسيم بالمسجد أو المدرسة ذات الشأن (٦) ولقد تهيأ – لصاحبنا احمد – أن يشغل هذه الوظيفة الهامة ويقوم بتدريس بعض العلوم الدينية الشائعة آنذاك مثل الحديث ، الفقة التفسير ، فى كثير من المدارس الكبرى الموجودة فى عصره .

ويبدو أنه عنى عناية خاصة بهذه الوظيفة اذ لم يصرفه عنها أى شيء البتة حتى أيام توليته القضاء والافتاء وكان لايقدم عليها أى منصب مهما بلغ من الرفعة (٧)

---

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص ١

(٢) المصدر السابق ص ٨١٥

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٣

(٤) المصدر السابق ص ٣٣١

(٥) البقاعى عنوان الزمان ص ٤٥

(٦) عبد الوهاب حموده صفحات من من تاريخ مصر ص ٨٨

(٧) حسن حبشى مقدمة الانباء ص ٢١

وسنعرض فى هذه الصفحات القليلة القادمة لذكر العلوم التى كان يقوم بتدريسها فنقول وبالله التوفيــــق :

تدريس علـــم الحديث (١)

لقد تولى صاحبنا — أحمد — تدريس الحديث بعد أن اكتملت له أسبابه بعدة أماكن أولها بالشيخونية (٢) وذلك فى شوال سنة ٨٠٨ هـ فلقد عهد اليه السلطان فرج ابن برقوق بهذا المنصب عوضا عن محمد بن على بن معبد المدنى بحكم نزوله له عنها وهى أول مكان ولى فيه تدريس الحديث (٣) ويشير القلقشندى الى أن وظيفة التدريس بهـــذه المدرسة كان يعهد بها من قبل السلطان الى أبرز رجالات هذا العصر (٤) وهذا يـــدل على أن هذه المدرسة كانت من أعظم المدارس فى ذلك العصر .

وفى سنة ٨٠٩ هـ ولى تدريس الحديث بالمدرسة المحمودية (٥) حيث كان مفوضا اليه قراءة الحديث بها وذلك بعد وفاة البدر أحمد بن عمر الطنبدى وكان فى بعض الأحيان يستخلف فى القاء الدروس بها بعض تلامذته الذين يثق بهم ويأنس فيهم أنهم يسدون الفراغ ويملئون المنصب (٦)

وفى سنة ٨١١ هـ ولى تدريس الحديث بالمدرسة الجمالية المستجدة (٧) وذلك بأمر واقفهـــا عند افتتاحها — وقد عقد فيها مجلس حضره الأكابر والأعيان مـــــن العلماء وواقف المدرسة وتكلم فيه صاحبنا — احمد — عن حديث من بنى لله مسجدا ثم قال عندى من طرقه وذكر عددا فقال له الامام بدر الدين العينى — معاصره — وكان حاضرا قل ماشئت فلا ينازعك فيه أحد وهو يشير الى أن صاحبنا — احمد — تفـــرد بهذا .. ثم ان

---

(١) هو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الاحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أحوال رواته ضبطا وعدالة ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك

(٢) يراجع تاريخها فى الباب الاول الفصل الثالث اثناء الحديث على تاريخ بعض المدارس

(٣) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٥٤

(٤) نقلا عن حسن حبشى مقدمة الانباء ص ٢١

(٥) يراجع تاريخها ايضا فى الفصل الخامس بها قـــبل

(٦) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٥٩ ، ٧٦٠

(٧) يراجع تاريخهـــا فى الفصل الخاص بالمدارس اثنـــاء الحديث على الحياة العملية .

صاحبنا - أحمد - حينما استشعر بأن فى مقالة العينى شيئا قال له أحضر محبره واكتب كل ما أقول يظهر لك صحتــــه (١)

وفى سنة ٨١٣ هـ ولى تدريس الحديث بقبة الخانقاه البيبرسـية (٢) بعد نور الدين على ابن عبد الرحمن الرشـيدى (٣)

وفى سنة ٨٢٩ هـ ولى درس الحديث نيابة عن ولده (٤) بمدرسة السلطان حسن (٥)

وفى سنة ٨٣٣ هـ ولى تدريس الحديث بجامع ابن طولون (٦) عوضا عن التقى على حفيـد العراقى بحكم وفاتـه (٧)

وكذلك قام بتدريس الحديث بالقبة المنصورية (٨) ثم ترك هذا المنصب للفقيـة البدر ابن الأمانـة (٩)

تدريس الفقـــه

لقد فتن صاحبنا - أحمد - بعلم الحديث ومتعلقاته وأغرم بذلك وزاول تدريسه بعدة أماكن كما أسـلفنا .

غير أنه لم يكن العلم الوحيد من نوعه الذى باشر تدريسه بل نسراه قد جاوزه الى تدريس الفقه بعدة أماكن من القاهرة ومصـر .

---

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٥٥
(٢) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالمدارس عند الحديث على الحياة العقلية
(٣) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٥٥
(٤) المصدر السابق ص ٧٥٨
(٥) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالمدارس
(٦) هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر وابتدأ فى بناءه احمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ وكملت عمارته فى شهر رمضان سنة ٢٦٥ هـ
(٧) السخاوى الجواهر ص ٧٥٨
(٨) تقع هذه القبة بخط بين القصرين تجاه المدرسة المنصورية وقد أنشأها الملـك المنصور قلاون ورتب بها درسا للحديث ودرسا للقرآن الكريم ودروسا للفقهاء على المذاهب الأربعة وانتهت عمارتها سنة ٧٠٣ هـ - وقال اليوصيرى فى ذلـك قصيده مطلعها
انشأت مدرسة وبيمارستانـا لتصحح الأيدان والأديانا
(٩) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٥٨

ففى سنة ٨٠٨ هـ ولى تدريس الفقه بالشريفية الفخرية [١] التى بحارة الجودرية [٢] وفى سنة ٨١١ هـ تولى تدريس الفقه بالشيخونية السالفة الذكر بعد أن ترك له نور الدين على بن يوسف الأنبارى هذا المنصب [٣]

وفى سنة ٨٢٢ ولى تدريس الفقة بالمدرسة المؤيدية [٤] وفى جمادى الأولى من نفس السنة نزل السلطان المؤيد وأقبل عليه ليحضر عنده أثناء القائه الدرس فهم بالقيام له فمنعه السلطان من ذلك واستمر فيما هو عليه وجلس السلطان عنده مليا وظل بهذه المدرسة الى أن ولى القضاء فى سنة ٨٢٧ هـ فأنهى الشيخ شمس الدين البرماوى الى السلطان الأشرف برسباى أن الملك المؤيد واقف المدرسة اشترط ألا يكون المدرس بمدرسته قاضيا فأقيل من التدريس ثم لما تبين أن الواقف لم يشترط ذلك أعيد ثانية وهذا ان دل على شئ فانما يدل على أن أقرانه كانوا ينفسون عليه ويحسدونه على ما هو فيه وكل ذى نعمة محسود [٥] وفى سنة ٨٣١ هـ استقر فى تدريس الفقه بالمدرسة الخروبية البدرية بمصر [٦] رغب له عن هذا المنصب المحب محمد بن على بن أحمد البكرى [٧]

كما انه فى سنة ٨٣٣ هـ ولى تدريس الفقة بالصالحية [٨] عوضا عن على حفيد ولى الدين العراقى .

وفى سنة ٨٤٦ هـ ولى تدريس الفقة بالمدرسة الصلاحية [١٠] المجاورة للامام الشافعى وذلك بعد انفصال العلامة أبو الفتح القلقشندى عنها [١١]

---

(١) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالمدارس اثناء الحديث عن الحياة العقلية
(٢) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦١
(٣) المصدر السابق ص ٧٦١
(٤) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سالفا
(٥) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٢
(٦) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سالفا
(٧) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٣
(٨) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سابقا
(٩) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٣
(١٠) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالحديث عن المدارس سابقا
(١١) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٦٤

تدريس التفسير

وفي مستهل سنة ٨٢٩ هـ ولي تدريس التفسير بالمدرسة الحسينية بالرميلة وذلك أنه قد اطلع على كتاب الواقف فوجد فيه مدرسا للتفسير وآخر للحديث ولم يكن يباشر العمل بهاتين الوظيفتين فالتمس من الناظرين عليها تقريره في تدريس التفسير وتقرير ولده في تدريس الحديث فأجيب الى ذلك وباشر الوظيفتين الأولى بالأصالة والثانية نيابة عن ولده وظل كذلك الى أن رغب عن درس التفسير لأحد جماعته ـ زين الدين السندبيسي (١) وولي كذلك تدريس التفسير بالقبة المنصورية رغب له عنه الشيخ شمس الدين البرماوي وظل بيده حتى مات (٢)

وبعد فقد كانت دروسه في كل هذه العلوم ممتعة محققة كثيرة الفوائد والفروع المنقحة والقواعد المحررة كما كان في القائه الدروس يسير على منهج بديع " يأتي في كل فن من بنات فكره استنباطا واستدراكا بما يبهر علماء ذلك الفن بحيث يقضون له بالسيادة فيه " (٣)

هذا مع الانصاف والرجوع الى الحق في المباحث ولو على لسان أحد الطلبة (٤)

المبحث الثالث : توليته منصب الافتاء (٥)

---

(١) السخاوي الجواهر والدرر ص٧٥٢ (٢) المصدر السابق ص٧٥٣

(٣) المصدر السابق ص٧٦٦ ، ٧٨٣ (٤) المصدر السابق ص٧٨٣

(٥) الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام والواقع أن الافتاء " تبليغ الناس عن حكم الله والفرق بين القضاء والافتاء وان كان في كل منهما اخبار بحكم الله الا ان القضاء ملزم وتقوم الدولة بمالها من سلطان على تنفيذه وأن الفتوى مجرد اخبار وان التزم بها المستفتي ديانة الا أن الدولة لا سلطان لها على تنفيذ هذه الفتوى على المستفتي ..

لقد شغل منصب الافتاء بدار العدل فى سنة ٨١١ هـ (١) واستمر معه الى أن قضى نحبه (٢) على أن فتاويه كانت تبلغ النهاية فى الايجاز مع حصول الغرض لا سيما المسائل التى لا نقل فيها فإنه كان أحسن علماء عصره فيها تصرفا .. يخرجها على القوانين المحررة بالدلائل المعتبرة (٣)

ولقد كان يكتب فى كل يوم على ثلاثين فتوى غالبا وقد جمع المهم من فتاوى شهر فخرجت مجلدة عظيمة سماها " عجب الدهر فى فتاوى شهر " (٤) ولا غرابة فى ذلك فقد شرب ماء زمزم كى تتيسر له الكتابة على الفتاوى من سن القلم بغير مراجعة فيسر الله ذلك (٥) وكان فى فتياه لا يعدل بالحق بديلا ولا يحابى أحدا يشهد لذلك أنه كان بينه وبين الشيخ جلال الدين البلقينى من الود والمحبة ما اشتهر بين الناس ولكن هذا لم يمنعه من مخالفته فى بعض فتاويه تقديما لحق الله تعالى وعدم المحاباة فى دينه (٦)

وها كم بعض نماذج من فتاويه التى ذاعت فى الآفاق وطارت شهرتها كل مطار

---

(١) هناك دار العدل القديمة أنشأها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ — وكان يجلس فيها أولا لعرض العساكر ثم رفعت اليه بعد ذلك المكاتيب والظلامات فكان ينظر فيها وذلك ابتداء من سنة ٦٦٢ هـ وما زالت دار العدل هذه موجوده حتى بنى المنصور قلاون الديوان فهجرت الى أن هدمها الناصر محمد سنة ٧٢٢ وكان فى أيام عمارتها يجلس فيها فى أيام معينة نائب دار العدل ومعه القضاة وموقع الدار والأمراء فينظر نائب الدار فى أمور المتظلمين وتقرأ عليه القصص ثم تحول الأمر بعد ذلك الى الديوان المعروف بدار العدل وقد أنشأه المنصور قلاون الألفى الصالحى واستمر جلوس نائب دار العدل به الى أن انشأ الناصر محمد الروك فأمر بهدم الايوان ثم بناه ثانية وظل يجلس فيه يومى الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاء وظل هذا الايوان دارا للعدل يجلس فيها النائب بعد ذلك .

(٢) السخاوى الجواهر ص ٧٦٧ ، ٧٦٨

(٣) المصدر السابق ص ٧٨٨ ، ٧٨٩

(٤) السخاوى الجواهر والدرر ص ٧٨٩ ، ٧٩٠

(٥) المصدر السابق ص ١٥٦ ، ١٥٧

(٦) المصدر السابق ص ٧٩٢ ، ٧٩٣

النموذج الاول

سئل مرة عن لبس الأحمر من الصوف والكتان والجوخ حرام أم مكـــروه

فأجاب لا يحرم لبس الأحمر وانما الخلاف في الكراهية بين العلماء فيه مشهـــور فلبسه خلاف الاولى عند من يعتقد ان لا كراهية فيه للخروج من الخلاف والقائل بتحريمـــه ينظر فيه فان كان من أهل العلم سئل عن مستنده فيه وأزيلت شبهته وان كان بخلاف ذلك فانه يؤدب بما يليق به لاقدامه على القول بما لا علم له بـــه (١)

النموذج الثانـــي

سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم "ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليـــس بأعور وأشار بيده الى عينه وان المسيح الدجـال أعور عين اليمنى "

هل يجوز لقارئ هذا الحديث أن يصنع كما صنع رسول الله صلى الله علية وسـلم ويشـير بيده أيضـا الى عينــه .

فأجاب انه ان حضر عنده من يوافقه على معتقده وكان يعتقد تنزيه الله تعالـــى عن صفات الحدوث وأراد التأسي محضا جاز والأولى به الترك خشية أن يدخل على مـــن يراه شـبهة التشبيه تعالى الله عن ذلك علوا كبـيـرا (٢)

وقد عقد السخاوي تلميذه ومريده الفصل السادس من كتابه الجواهر وخصصـــه للفتاوى وذكر فيه كثيرا من فتاويه بعد أن رتبها ونوعها الى مكية ومدنية ويمنية ومـــن أراد تفصيل ذلك والوقوف على شـي منه فليراجع (٣)

المبحـــث الرابــــع : توليتــه مشيخة الخانقاه البيبرسية

وفي ربيع الأول سنة ٨١٣ هـ تولى مشيخة خانقاه بيبرس الجاشنكير رغب له عنها العلاء الحلبي غير أنه قد عزل عن هذا المنصب مرارا وأعيد اليه آخر الامر في ربيع الثانـــي

---

(١) السخاوي الجواهر والدرر ص ١٢٣٩ ، ١٢٤٠

(٢) فتح الباري كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ولتصنع على عيني جـ ١٣ ص ٣٠٤

(٣) السخاوي الجواهر ص ١١٨١ ومابعدهـــــا

سنة ٨٥٢ هـ وظل به حتى مات وقد رتب أثناء مباشرته الخانقاه أسماء المستحقين والنازلين بها على حروف المعجم وبذلك سهل الكشف عن أسمائهم ومعرفتهم من غير ماتعب أو نصب (١)

تولية مشيخة دار الحديث الأشرفيه

كذلك ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق بعد أن شغر هذا المنصب بموت الجمال بن الشرايحي فلما دخل الشام صحبة الأشرف برسباي سنة ٨٣٦ هـ تنازل عنه للعلامة الحافظ محمد بن ابى بكر بن احمد القيسي الشهير بابن ناصر الدين (٢)

المبحث الخامس : قيامه بأمانة المكتبة المحمودية

سبق أن أشرنا الى أن صاحبنا أحمد تولى التدريس بالمدرسة المحمودية سنة ٨٠٩ هـ والى جانب هذا تولى أمانة مكتبتها التى زخرت بآلاف المجلدات فى شتى فنون المعرفة السائدة يومذاك ٠٠ ولنفاسة كتبها رغب فى مباشرتها بنفسه وعمل لها فهرستين احداهما بالحروف الهجائية والأخرى حسب الموضوعات وكان لشغفه بها يقيم فيها يوما كل أسبوع غالبا وظل قيما على هذه المكتبة حتى قضى نحبه (٣)

المبحث السادس : اشتغاله بوظيفة الخطابة

لايخفى مالهذه الوظيفة من أثر بارز فى توجيه الحياة العامة وبث الروح الدينية والمعنوية بين افراد الأمة لذا فهى وظيفة لها مكانتها ومنزلتها لايتولاها الا من أوتى بسطة فى العلم والقدرة على البيان وقد كان حظ صاحبنا احمد منها موفورا فتبوأ هذا المنصب عن جدارة واستحقاق وولى الخطابة بعدة اماكن كالأزهر (٤)

---

(١) السخاوى الجواهر ص ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧٥
(٢) المصدر السابق ص ٧٦٠
(٣) المصدر السابق ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، البقاعي عنوان الزمان ص ٤٩
(٤) يراجع تاريخة فى الفصل الخاص بالمدارس والمساجد ٠

جامع عمـــرو ، جامـع القلمـــة

الخطابـــة بجامــع القلمـــة (١)

بعد أن تولى القضاء فى سنة ٨٢٧ هـ ولى الخطابة بجامع القلعة جريا على عادة قضاة الشافعية (٢)

الخطابـــة بجامـع عمـرو (٣)

وفى سنة ٨٣٨ هـ ولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص وظلت هذه الوظيفـــة بيده الى أن توفى (٤) وقد كان لخطبه التى القاها بجميع الأماكن أثر فى النفوس وصـــدع فى القلوب كما كان لها أثرها الواضح فى احياء السنة واماتة البدعة وقد تألف من مجموع خطبه ديوان الخطب القلمية وديوان الخطب الأزهرية (٥)

اشتغالة بوظيفة الوعظ بجامع الظاهــــر (٦)

كما تولى صاحبنا أحمد ــ وظيفة الوعظ بجامع الظاهر بالحسينية عوضا عن الشيخ نور الدين الرشـــيدى وظل بها حتى مـــات (٧)

(١) انشأه الملك المنصور بقلعة الجبل سنة ٧١٨ وعمره احسن عمارة وجعل له مـــن الاوقاف مايفضل عن مصارفه وقد كان يتولى الخطابة فيه وصلاة الجمعة القاضـــى الشافعى .

(٢) السخاوى الجواهـــر ص ٧٧٨

(٣) يراجع تاريخه فى الفصل الخاص بالمدارس والمساجـــد

(٤) السخاوى الجواهـــر ص ٧٨٩ ، ٧٨١

(٥) المصدر السـابق ص ٧٩٣

(٦) انشأه الملك الظاهر بيبرس خارج القاهـــره على ارض ميدان فسيح بالحسينية وابتدأ فى عمارته فى ربيع الآخر سنة ٦٦٥ وتمت فى شـــوال سنة ٦٦٦ ورتب به خطيبا ووقف عليه أوقافا وتطرق كل أمـوره بنفســـة

(٧) الســـخاوى الجواهر ص ٧٠٣ ، ٧٠٤

المبحث السابع : مجالس الاملاء (١)

كذلك كان من أهم أعماله التي قام بها عقده مجالس الاملاء فلقد كان الاملاء من وظائف العلماء قديما لاسيما الحفاظ من أهل الحديث وقد عقد صاحبنا أحمد مجالس املائه بعدة أماكن

الاملاء بالشيخونية (٢)

لقد شرع صاحبنا أحمد ـ في عقد مجالس الاملاء سنة ٨٠٨ بالشيخونية التي أشرنا اليها آنفا وقد بلغت عدة مجالسه فيها ستة عشر مجلسا قد تنقص قليلا باستملاء المحدث أحمد بن أبي بكر البوصيري تألف منها فيما بعد كتابه "الامتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع" وهي أربعون حديثا متباينه الأسانيد بشرط السماع (٣)

الاملاء بالجمالية

وفي رجب سنة ٨١١ هـ عقد مجالس املائه بالمدرسة الجمالية المستجدة التي أشرنا اليها فيما سبق وكان المستملي تلميذه كمال الدين محمد الشمني المالكي (٤)

الاملاء بالمدرسة المنكوتمرية (٥)

وفي مستهل جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ عقد مجالس املائه بالمدرسة المنكوتمرية المجاورة لمنزله الذي يقيم فيه وكان المستملي البوصيري تلميذه السالف الذكر (٦)

---

(١) هو أن يجلس المحدث ويسمى المملي في المسجد او المدرسة يوما في الاسبوع والمستحب أن يكون يوم الجمعة ويكتب عنه التلاميذ ويتخذ رجلا منهم يبلغ عنه يسمى ـ المستملي ـ ويشترط فيه أن يكون محصلا يقظا ومهمته تفهيم السامع على بعد واذا فرغ المملي من الاملاء قابله وأتقنه والاملاء كما يقول علماء الحديث أعلى مراتب الرواية لانه أحد قسمي سماع لفظ الشيخ فانه يكون املاء وغيره وهو أرفع الأقسام عند الجمهور وقد تحدث النووي في كتابه التقريب عن الاملاء وآداب مجالسة ومايجب على المملي والمستملي وكيف تفتتح وكيف تختم الخ ..

(٢) يراجع تاريخها في الفصل الخاص بالمدارس والمساجد

(٣) السخاوي الجواهر ص ٧٤١

(٤) المصدر السابق ص ٧٤١

(٥) هذه المدرسة تقع بحارة بهاء الدين من القاهرة بجوار باب الفتوح ـ بناها الامير سيف الدين منكوتمر الحسامي وقد كملت عمارتها في صفر سنة ٦٩٨ ووقف عليها أوقافا كثيرة وجعل فيها خزانة كتب وهي من المدارس الحسنه كما يقول المقريزي في الخطط

(٦) السخاوي الجواهر ص ٧٤٢

الاملاء بالخانقاه البيبرسية (١)

وفى صفر سنة ٨٢٧ عقد مجالس املائه بالخانقاه البيبرسية وأملى بها مجالسه المطلقة التى لم يتقيد فيها بكتاب بل فى الغالب يحرص على المناسبات فى الأزمان والوقائع وكان المستملى تلميذه المحدث ابو النعيم رضوان العُقبى (٢)

الاملاء بجامع بنى أمية وحلب

وفى سنة ٨٣٦ هـ سافر صحبة السلطان الأشرف الى آمد فأملى بدمشق عند المرور بها بمسجد بنى أمية مجلسا حافلا حضره العلماء والقضاة والأعيان وكان المستملى برهان الدين العجلونى ، كذلك أملى بحلب ستة مجالس ابتدأها فى رمضان وختمها فى ذى القعدة من السنة المذكورة سنة ٨٣٦ هـ وكان المستملى القاضى نور الدين على بن سالم الماردينى (٣)

ثم لما رجع الى وطنه بعد رحلته مع الأشرف عقد مجالس املائه بالبيبرسية ثانية وابتدأ ذلك فى صفر سنة ٨٣٧ هـ (٤) ثم ترك ذلك ثم عاد اليه مرة ثالثة حتى ذى القعدة سنة ٨٥٢ هـ فابتدأبه الوعك وانقطع الاملاء واستمر ذلك حتى مات (٥) ومدة املائه بهما نحوا من عشرين سنة (٦)

الاملاء بدار الحديث الكاملية (٧)

وفى شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٣٧ هـ عقد مجالس املائه بدار الحديث الكاملية بين القصرين وأنهاها فى ربيع الثانى سنة ٨٥٢ هـ (٨)

---

(١) يراجع تاريخها فى الفصل الخاص بالمدارس والمساجد

(٢) السخاوى الجواهر ص ٧٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٧٤٣

(٤) المصدر السابق ص ٧٤٤

(٥) المصدر السابق ص ٧٤٤

(٦) ابو المحاسن المنهل الصافى ترجمة بن حجر

(٧) هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة أنشأها الملك الكامل محمد سنة ٦٢٢ هـ ووقف عليها أوقافا كثيرة كما وقفها على المشتغلين بالحديث النبوى

(٨) السخاوى الجواهر ص ٧٤٤

وقد بلغت جملة أماليه ألف مجلس تزيد قليلا أو تنقص قليلا يمليها من حفظه مهذبة محررة متقنه كثيرة الفوائد الحديثية [١] كما كانت مجالس املائه غاصة بالأئمة والعلماء والفضلاء من الطلبة [٢] وقع فيها من الأبحاث والفوائد المهمة والنكت النفيسة مايفوق الوصف وعليها من الوقار والهيبة مالا يوجد فى مجالس غيره من العلماء [٣] وقد نظم قبل موته بثلاث سنين فيها أبياتا وذلك فى شهر شعبان سنة ٨٤٩ هـ افتتحها بقوله

يقول راجى اله الخلق احمد من ... أملى حديث نبى الحق متصلا

يتلوه تخريج أصل الفقه يتبعها ... تخريج أذكار رب قد دنا وعلا [٤]

وبعد ما تقدم لايسعنا الا أن نسوق ماذكره عنه معاصروه ومن أرخوا له من أن الله قد أحيا به وبشيخه سنة الاملاء بعد انقطاعه من دهر كثير [٥]

---

(١) السخاوى الجواهر ص ٧٤٥
(٢) المصدر السابق ص ٧٤٧
(٣) المصدر السابق ص ٧٤٨
(٤) السيوطى نظم العقيان ص ٥٠
(٥) المصدر السابق ص ٦٤٥ المناوى اليواقيت والدرر ص ٤

الفصـــــل الرابـــع

تمهيـــد :

سنتناول في هذا الفصل مباحث متفرقـه وهي على بعدها بينها ينتظمها أنها جميعها ذات صلة وثيقه بابن حجر واليكم هذه المباحـــث .

المبحث الأول : صفاتـــه الخَلْقيـــة

لقد خط المعاصرون لابن حجر صورة له واضحة الملامح محددة المعالم تدل على هيئته وسمته حتى ليكاد القارئ يراه متمثلا أمام عينيه من دقة التصوير وبراعة التعبير يقـــول السخاوى " كان فوق الـــربعـــة أبيض اللون منور الصورة كث اللحية حسن الشيبة مليـــح الشكل صحيح السمع والبصر ثابت الأسنان نقيهـــا صغير الفم قوي البنيـــة خفيف المشـيـــة ذا رشاقة زائده " (١) ويزيدنا صاحب المنهل الصافي في معجمه توضيحا لملامحه وابرازا لصورته فيقول " كان ذا وجه صبيح وفي الهامه نحيف الجسم " اذا تحدث كان " فصيح اللســـان شجي الصوت " وبعد هذا فلعلي أكون قد وفقت الى عرض صورة لابن حجر ليس عليها اظلال تحول دون رؤية اي جانب من جوانبها ..

المبحـث الثاني : اخلاق ابن حجـــر

أما عن أخلاقه فقد كان " تاركا مالا يعنيه طارحا للتكلف كثير الصمت الا لضرورة شديد الحياء لايواجه أحدا بما يكره فاشـيا للسلام " (٢) هذا " مع ماحتوى عليه من الحلم والسكون والسياسة ومداراة الناس مع الاحسان لمن أساء اليه " كما يقول صاحب المنهـــل الصافي ، كذلك كان ضابطا للسانه لايقع في أحد وان جهل عليه (٣) كاظما للغيظ صبورا

---

(١) السخاوى الجواهر والدرر ص ١٤٤٠ ، ١٤٤١

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤١

(٣) المصدر السابق ص ١٣٢١

على مايعرض له من الحوادث البدنية والماليه لايعلم أحدا بذلك [(١)] يخالط النـــاس ويصبر على أذاهم ويخالقهم بخلق حسن ويستجلب قلوبهم ومواداتهم بلين الكلام ويستعبد رقاب أحرارهم بالاحسان [(٢)] ثابت الجنان غير طائش اللب [(٣)] كريما جوادا والشواهد على هذا يعسر إحصاؤها واستقصاؤها وحسبنا فى هذا المقام أن البرهان البقاعي قـــال " حدثني الشيخ تقي الدين المقريزي أنه شاهده يهب وهو صبى أمرد المائتى درهم الفضة دفعه " [(٤)] ذا شفقه بخلق الله خصوصا طلبة العلم [(٥)] مع تواضع زائد [(٦)] وخـوف من الله تعالى ومحاسبة لنفسه [(٧)] ينبسط مع جلسائه خصوصا فى أوقات الفراغ والتـــنزه حلو النادرة لطيف الطبع اذا وقعت له الكلمة المستحسنه لايسكت عنها ومن ذلك أنه جاءه سائل ورفع اليه قصــة فكتب له عليها بقدر ثم جاء بعد قليل بقصة أخرى ظانا أنه يخفى عليه قرب مجيئه فكتب له بهـا مشيرا :

اذا مابنيت جنى نخلــة   فلاتقربنها الى قابـل [(٨)]

البحــث الثالــث : خبراتــه ومهاراتـــه

لم يكن توفر صاحبنا ـ أحمد ـ وانصرافه الى طلب العلوم انصرافا غير مجــزوء عائقا ولا حائلا بينه وبين أن يكتسب خبرات ببعض الشئون الدنيويه لذا فقد كان وهـــذا على سبيل التمثيل " ذا بصر جيد بتفصيل الثياب " [(٩)] كما كان خبيرا بالتجارة ومـــن أجل ذلك " كان قليل الرغبة فى العمارة بل وفى شراء العقار " [(١٠)] لأن فى ذلك تجميدا

---

(١) البقاعي عنوان الزمان ص ٥٥
(٢) المصدر السابق ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
(٣) السخاوى الجواهر ص ١٣٥٣
(٤) عنوان الزمان ص ٤٧
(٥) الجواهر ص ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ الى ١٣٧١
(٦) الجواهر ص ١٣٨٦ ، ١٣٨٧
(٧) المصدر السابق ص ١٤٣٢
(٨) المصدر السابق ص ١٣٩٦ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣
(٩) المصدر السابق ص ١٤٤٦
(١٠) المصدر السابق ص ١٤٤٧

وتعطيلا للمال عن المداولة وادرار الربح الوفير أما هي المهارات فقد كان لديه منها ما يندر ويعز وجوده وتوفره في غيره من ذوي رحمه في العلم .

وذلك كسرعة القراءة الحسنه يشهد لذلك أنه قرأ البخاري في خلوة مجالس من صلاة الظهر الى العصر ومسلم في خمسة . (١)

وأسرع شيء وقع له في ذلك أنه قرأ في رحلته الشاميه معجم الطبراني في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر وهو يشتمل على ألف وخمسمائة حديث (٢)

قال ابن طولون في أربعين الأربعين "هذا غاية في الاسراع" ويعلق بعض الباحثين على ذلك فيقول " وما يبلغ هذا الحد من السرعة في القراءة يفوت الضبط ويقع في التغليط " (٣) ونحن لا نريد بأكثر من أننا نقول أن سرعة القراءة أصبحت عنده مهارة وملكه فلا يفوته شيء مما يقرؤه لفظا كان أو معنى ومن جهة أخرى فان عدم الضبط والوقوع في التغليط مما يستبعد وقوعه منه لأنه لم يكن جاهلا باللغة العربية وقواعدها وأساليبها المتنوعه .

وفوق هذا وذاك فان السخاوي تلميذه وصف قراءته بالحسن (٤) وهذه شهادة مؤرخ معاصر له فكيف يستساغ بعد ذلك أن يقال أن سرعة القراءة تؤدي به الى عدم الضبط والوقوع في التغليط اللهم الا اذا كان هناك اتباع للهوى وميل الى حظ النفس كما كان من مهاراته " سرعة الكتابه مع حسنها " (٥)

يشهد لذلك أن السخاوي قال " سمعته يقول كنت أكتب في تلخيصي لتهذيب المزي الى الزوال كراسا بالكامل " (٦) ويذكر أبو المحاسن في المنهل الصافي أنه كان سريع الكتابه الا انه كان ردىء الخط ويكفينا في الرد على أبي المحاسن وتفنيد ما ذهب

---

(١) ابن فهد لحظ الألحاظ ص ٢٣٦
(٢) الفاسي الذيل على التقييد ص ١٢٣ ب
(٣) محمد زاهد الكوثري هامش ص ٢٣٧ لحظ الالحاظ
(٤) الجواهر ص ١٥٠
(٥) الفاسي الذيل على التقييد ص ١٢٣ ب
(٦) الجواهر ص ١٥٨

اليه أن المؤرخين على كثرتهم لم يشر أحد منهم الى رداءة خطه الا أبو المحاسن وهذا ـ بالطبع ـ يدعونا الى الشك في هذه الرواية بل ورفضها هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان البقاعي صرح بأنه "كتب الخط المنسوب الذي هو غاية في الرشاقة كأنه سلاسل الذهب وأجيز به" (١)

كذلك وصف التقي الفاسي أيضا كتابته بالحسن . (٢) وأيضا فانه كان قد جود الكتابة وأتقنها على شيوخها والعارفين بها فجود أولا على نور الدين الدملوكي سنة ٧٨٦هـ ثم على شيخ الكتاب أبي علي محمد الزفتاوي المصري وبعده على مكتب الوقت الزين عبد الرحمن الصايغ الذي كتب عنده يسيرا وأذن له في أن يكتب على طريقة الكتاب (٣) فهل بعد هذا كله يسهل لأبي المحاسن أن يقول انه كان رديء الخط والكتابة .

المبحث الرابع : عاداته الاجتماعية والدينية

وأما ما أثر عنه من عادات اجتماعية فقد كان "لا يتأنق في الرفيع من الثياب مع تقصيرها حسن العمة ظريف العذبة" (٤)

كذلك كان لا يتأنق في ألفاظه بل يعيب على من يقعر في كلامه وخير شاهد على ذلك أنه قال مرة لمن تكلم معه وأمعن في ذلك تكلم معي بالكلام المتعارف ولا تقعر" (٥)

كذلك "لا يتأنق في مأكله ومشربه" (٦) مع شدة تحريه في ذلك وبعده عن كل ما فيه شبهة وبلغ به الأمر انه اذا اضطر الى حضور الولائم والعزومات التي يغلب على أربابها عدم التوقي من المحرمات أنه يوهم ويتظاهر بالأكل على حين انه يعطي هذا وذاك ويفرق ما أمامه عليهم بحيث يسر صاحب المهم ولا يدخل في جوفه شيء من ذلك (٧) .

---

(١) عنوان الزمان ص ٣٦

(٢) الذيل على التقييد ص ١٢٢ ب

(٣) الجواهر ص ١٥٨

(٤) المصدر السابق ص ١٤٤٢

(٥) نفس المصدر ص ١٤٤٥

(٦) نفس المصدر ص ١٤٤١

(٧) نفس المصدر ص ١٣٠٧ و ١٣١٢ .

كما كان لا يأكل من هدايا الاخوان ولا من مرتبات السلطان وكان اذا سافر صحبة السلطان يشترى أكلا من ماله الخاص على حين أن من معه من الرفقه يأكلون اللحم المرتب لهم على مائدة السلطان (١) — وهذا بالطبع يدلنا على ورعه ووفور ديانته — كما كان حريصا على شهود الجنائز وعيادة المرضى خصوصا من له به صلة ومن لم يتيسر له أن يزوره تفقده بشيء من الدنيا (٢) فاذا ما تجاوزنا ذلك كله الى عاداته الدينيه لوجدناه ملازما للتهجد لا يتركه سفرا ولا حضرا حتى انه لم ينقطع عن أدائه الا قبل موته بأربعة أيام كثير الصوم يفطر يوما ويصوم يوما بعد أن كان يسرده ولعله قصد التأسى بداود عليه السلام فى ذلك (٣) تاليا لكتاب الله مكثرا لذلك خصوصا فى أوقات السفر وبعد صلاة الصبح مع تدبر وتأن وسكون ووقار (٤)

كذلك أثر عنه انه كان يسفر بصلاة الصبح ويسر القنوت مع تخفيفه جدا (٥)

المبحث الخامس : موقفه من الصوفيه

لقد انتشر التصوف فى هذا العصر وزخر بعدد كبير من المتصوفه ويبدو من كتابات المؤرخين المعاصرين لصاحبنا — أحمد — أنه كان حسن الاعتقاد فى الصالحين ومن ثبت عنده انجذابه وظهرت مكاشفاته من هؤلاء المتصوفه كما كان شديد الرغبه والميل لمن لم يخرج منهم عن الكتاب والسنة وقد أدى به ذلك الى انه كان يزور جماعة منهم ويبرهم من وقت لآخر وخير شاهد على انه كان يودهم ويجلهم وينجذب اليهم تقديره واجلاله لرجل من بين هؤلاء المتصوفه كان يحضر مجلس املائه ولم يبد عليه اعتراضا وبلغ به الأمر أن أنشد هذا الصوفى مرة شعرا فقال لابن فهد تلميذه أكتب عن هذا (٦)

---

(١) عنوان الزمان ص ٥٥

(٢) الجواهر ص ١٤٢٥

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢٣ وص ١٤٢٤

(٤) نفس المصدر ص ١٤٢٤

(٥) نفس المصدر ص ١٣٠٢

(٦) نفس المصدر ص ١٤٢٦ و ١٤٢٧

الا أنه مع هذا كان شديد الانكار على من يدعى التصوف والانجذاب من مكشوفى العورات المتضمخين فى النجاسات المتلذذين بالشهوات ممن لم يعلم صلاحه قبل هذه الحالات (١) ويقول " نص أهل العرفان من علماء الشأن على أن من كان قبل طرو مثل هذا على الكتاب والسنه فهو وارد ربانى والا فهو شيطانى (٢) ولا يفوتنا ونحن ما زلنا بصدد الكلام على الصوفية وموقفه منهم أن نشير الى أنه قد روى أن وقعت له مع أحدهم وهو سيدى محمد بن أحمد الفرغلى دفين أبو تيج وأحد الصوفية المعتقدين نادرة تتلخص فى أن ابن حجر مر عليه فى الرميلة تحت القلعه والخلق يقبلون يديه ورجليه فأنكر عليهم وقال ما اتخذ الله من ولى جاهل فقال له قف ياقاضى القضاة فتسمرت به البغلة فصار يضربه على وجهه ويقول أتخذنى وعلمنى ثم اطلقه فعزله السلطان فى يومه (٣) ويسوق الشعرانى هذه الحادثه فى طبقاته ولكنه يذكر أنه حينما مر عليه بمصر قال فى سره منكرا ولم ينطق بشئ كما جاء فى الروايه الأولى (٤) وسواء كان هذا أو ذاك فإننا نميل الى رفض هاتين الروايتين ولن نجزم بصدقهما لما يأتى

أولا — أن الروايتين مختلفتان فى الطريقة التى اعترض بها ابن حجر على ابن فرغل فاحداهما تذكر أنه أنكر ذلك فى سره والاخرى تصرح بأنه نطق بذلك واختلافهما فى هذا من شأنه يجعلنا نشك فى صحتهما وعدم صدق تلك الحادثة الطريفة

ثانيا — إن هذه الواقعة لم يشر اليها أحد من الذين أرخوا لابن حجر على كثرتهم ولو كانت لذكروها ولم توجد الا فى كتب طبقات الصوفية الذين أغرم أهلها وهاموا بكل ما من شأنه أن يرفع قيمة الصوفى ويثبت له كرامات وهذا أدى بالطبع الى أن يثبتوا كثيرا من الأخبار التى لم يتحققوا صدقها

ثالثا — ان هذه الحادثة بعينها تشبه تماما تلك الحادثة التى تروى عن الشعرانى نفسه — أحد أصحاب كتب الطبقات — مع شيخه سيدى على الخواص فإنه كان يعترض

---

(١) الجواهر ص ١٤٢٨ ، ١٤٢٩

(٢) نفس المصدر ص ١٤٢٩

(٣) المناوى — الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفيه ص ٣٣٨ ب ، ص ٣٣٩ " مخطوط "

(٤) طبقات الشعرانى المسماة بلواقح الأنوار ص ١٤٣

عليه بقوله ما اتخذ الله من ولى جاهل فهل جمع بين الحادثتين محض الصدفة وهذا مستبعد طبعا وتكرر حادثتين متشابهتين تماما على بعد ما بينهما من الزمن يدعونا الى التشكك على الأقل في احداهما والأقرب أن حادثة ابن حجر هي الجديره بأن نتشكك فيها لأنها لم تستفض على الألسنة ولم تشتهر بين الناس كشهره حادثة الشعراني مع شيخه الخواص

رابعا — أنه أثر عن ابن حجر أنه كان يكرم الصوفيه ويجلهم وحصلت له منهم بركات ونفحات فكيف يعترض على أحدهم ممن ثبت لديه — أنه منهم •

خامسا — الشعراني لم يولد الا بعد وفاة ابن حجر بسنين (١) متطاولة فكيف وصلت اليه أخبار تلك الواقعة علما بأن كتب التراجم التي أرخت لابن حجر لم تشر الى شيء منها • فمن أين أتى الشعراني بذلك وما يقال في حق الشعراني يقال في حق المناوى لأنه متأخر عنه ولم توجد كتب طبقات قبلهما تهتم بالصوفيه الا طبقات السلمى وهو متقدم جدا على ابن حجر • • •

المبحث السادس : منزلته عند السلاطين وموقفه منهم ومن الحياه العامة

سبق أن قلنا — أن صاحبنا — أحمد — قد شغل كثيرا من الوظائف الهامه والمراكز المرموقه في الدولة المملوكيه•

وهذا بالطبع قد أتاح له فرصا طيبة للاتصال بالسلاطين ومخالطتهم والتردد على مجالسهم التي لم يكن يغشاها الا من أتي بسطة في العلم ورفعة في المنزله •

ولقد كان هؤلاء السلاطين يكنون له كل احترام وحب وتقدير يقول السخاوى متحدثا عن ذلك كان " ذا حظوة ومكانه عند المؤيد لما عرفه من علمة وديانة وفقهه " (٢)

وبلغ من حب الظاهر ططر له ووثوقه به ومنزلته عنده أنه كان يسر اليه بدقائق أموره وخفي مشكلاته التي لم يكن ليطلع عليها أحدا سواه فمثلا أسر اليه " أنه قبل أن يتسلطن في أواخر الدولة

---

(١) ولد سنة ٨٩٨ هـ

(٢) الجواهر ص ٨٥٤

متحصله

المؤيدية في الليلة التي مات في صبيحتها المؤيد ضاقت يده لكثرة مصروفه وقلة متحصله حتى أن شخصا قدم اليه مأكولا فأراد مكافأته عليه فلم يجد في حاصله خمسة دنانير حتى أرسل يقترضها من بعض خواصه فكلهم الا واحدا يحلف انه لا يقدر عليها (١) غير أن حب السلاطين له وتقديرهم اياه لم يكن ليغطي عينيه عن الحق ويحول بينه وبين الوقوف في وجههم والإنكار عليهم اذا رأى منهم حيدة عن الصواب وبعدا عن الحق احقاقا للحق وأزهاقا للباطل وتقديما لحق الله تعالى على حق السلاطين وما موقفه في وجه برسباى - مع التجار حتى أزاح الظلم عنهم عنا ببعيد (٢) على أن منزلته العاميه والاجتماعيه وحظوته لدى السلاطين لكن ذلك لم يكن ليجعله يعيش في برج عاجي بعيدا عن الحياة العامة بل نراه يسايرها ويعايشها ويتتبع أحداثها الهامة ويشارك فيها.

يشهد لذلك أنه لما مات الأشرف برسباى ووقعت الفتنه بين مماليكه والأتابكي جقمق سنة ٨٤٢هـ (٣)

حتى كاد نظام الأمن يختل وأوشك عقد السلطنه أن ينفرط ساس الأمر بحكمه وعزم " واستفرغ في اصلاح ذات البين جهده وثبت أساس الأمن بعد اختلاله وضم شمل المسلمين بعد انحلاله (٤) وقضى بذلك على الفتنة الرعناء التي كادت تودى بمصلحة الدولة العامة.

المبحث السابع: - قيمة الوقت في نظره وكيف كان يقضيه

لئن كان الوقت من ذهب "كما يقولون فإنه عند صاحبنا - أحمد - أغلى وأثمن من ذلك اذ هو حياته التي يحياها وعمره الذي يعيشه.

لذا فقد حرص كل الحرص على أن لا يضيع منه برهه أو يترك لحظه تذهب سدى دون أن يباشر فيها عملا نافعا يشهد لذلك " أنه ذهب مرة الى مدرسة محمود - التي

---

(١) الجواهر ص ٨٥٤

(٢) المصدر السابق ص ٨٥٥

(٣) بن اياس ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣

(٤) عنوان الزمان ، ص ٤٨

كان أمينا لمكتبتها ـ ليكشف عن شيء فلما وصل تذاكر أنه نسي المفتاح فأرسل من يحضر نجارا ليفتح فقام يتنفل بالصلاة" (١)

وبلغ به الأمر في ذلك أنه حتى في مجلس ضيفانه كان لا يترك الكتابة ولا يدعها جانبا "وربما التمس منه أكابر أصحابه البطالة حينئذ فيقول ما فائدة ذلك الا محادثتكم ومشاركتكم في جميع ما أنتم فيه فان تقدم مني شيئا من ذلك تركت ما أنا فيه فلا يفوتهم شيء من أنسه" (٢)

هذه هي قيمة الوقت عنده ، أما كيف كان يقضيه فيتضح من كلام تلميذه السخاوي أنه كان يعقد للطلبة يوميا ثلاثة مجالس علمية للقراءة والمذاكرة والمباحثة ، أحدهما بعد صلاة الضحى وينتهي قبيل صلاة الظهر والثاني بعد صلاة العصر وينهيه قبيل الغروب وخلال هذين المجلسين كان يكتب على الفتاوى الحديثية والفقهية ، والثالث بعد أذان العشاء وقبل صلاتها ويستمر قدر ساعة (٣) .

كذلك كان يجعل للتصنيف مجلسين أحدهما بعد صلاة الصبح والفراغ من أذكارها وتلاوة القرآن ان لم يشتغل بالأذكار ويفرغ منه وقت صلاة الضحى . والثاني بعد صلاة الظهر وينتهي بعد أذان العصر بنحو ثلثي ساعة يزيد قليلا أو ينقص قليلا (٤) هذا هو الغالب وقد يختل هذا النظام خلال شهر رمضان وأيام توليته القضاء (٥)

وماعدا ذلك فهو لقضاء حوائجه الدنيوية من أكل وشرب ونوم وما يشتغل به من أذكار وتلاوة وتهجد ومن أراد تفصيلا فليراجع . (٦)

وبالجملة فأوقاته جلها "مشحونة بالعبادة إما بالعلم أو الصلاة أو التلاوة أو الذكر" (٧) وقد خفف عنه ما يلحقه من نصب وتعب بسبب ذلك أنه "جعل نصب عينيه أن هذه الدنيا دار ليس فيها راحة" (٨) على أنه في بعض الأحيان كان يرفه عن نفسه كي يزيل عنها ما قد يلحقها من سأم أو ملالة ويقوم ببعض الرحلات الى الأماكن الخلوية للتنزه وزيارة بعض الآثار كالأهرام . (٩) ، كذلك كان في القليل النادر يلعب الشطرنج مع بعض أصهاره والمقربين اليه بعيدا عن أعين الناس من أجل هذا الغرض . (١٠)

---

(١) عنوان الزمان ص ٤٩ — (٢) المصدر السابق ص ٤٩
(٣) الجواهر ص ١٤٣٥ و ١٤٣٦ — (٤) المصدر السابق ص ١٤٣٣ و ١٤٣٤
(٥) نفس المصدر ص ١٤٣٥ و ١٤٣٦ — (٦) نفس المصدر ص ١٤٣٤ الى ص ١٤٣٧
(٧) نفس المصدر ص ١٤٣٩ — (٨) عنوان الزمان ص ٤٩
(٩) المصدر السابق ص ٥٦ ويراجع أيضا الجواهر ص ١٠٤٢ — (١٠) الجواهر ص ١٣٦٦

المبحث الثامن : عقيدة ابن حجر

لقد اقتفى المماليك أثر الأيوبيين في القضاء على المذهب الشيعي وكل نحلة أو مقالة تخالف المذهب السني حتى صارت له السيادة وأضحى المذهب الرسمي للدولة وابن حجر كما هو معلوم من تاريخه قد عاش في خلال هذا العصر فلا عجب اذن أن نشأ على هذا المذهب وتغذى بلبانه وكان عقيدته التي يتمسك بها ويدافع عنها ويناضح وليس هذا عن تقليد بل بعد أن درس قواعده وأصوله وثبت لديه صحته واشتهر ذلك عنه فيما بعد ومع هذا فان الجمال ابن عبد الهادي قال في الرياض اليانعة عند ترجمته لابن حجر انه " كان محبا للشيخ تقي الدين بن تيمية معظما له جاريا في أصول الدين على قاعدة المحدثين" (١) وقد رد الشيخ زاهد الكوثري على هذا بقوله " لم يكن -أي ابن حجر- ممن يساير ابن تيمية في مفرداته حتما بل رأيه فيه ما قاله .. إن الواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرز من ذلك ما ينكر فليحذر منه على قصد النصح ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء (٢) ونحن اذا ما طالعنا ترجمة ابن تيمية في الدرر الكامنة لابن حجر لوجدناه يقول عنه "إن كل رجل يؤخذ من قوله ويترك" (٣) واننا لنتساءل هل قال ابن حجر بمثل مقالة ابن تيمية حتى يكون من أتباعه لو قال ذلك لاشتهر عنه ولكن التاريخ لم يثبت عنه شيئا من هذا

وفوق هذا كله فان من يطالع كلام ابن حجر في كتاب الايمان والتوحيد من فتح الباري وتقريره لمذهب أهل السنة أحسن تقرير والرد على مخالفيها تبين له بوضوح وجلاء عقيدته .

---

(١) أهل الحديث يقولون ان الايمان قول وعمل وهذا مخالف لمذهب أهل السنة

(٢) لحظ الألحاظ ص ٣٣٨ هامش رقم ٣

(٣) جـ ١ ص ١٥٨

المبحث التاسع : ألقابه العلميـــة

لقد طوف ـ ابن حجر ـ في آفاق المعرفة والعلم ماطوف وطار في سماء فنونـــه كل مطار وخاصة فن الحديث الذى عكف عليه سنين طويلة حتى "انتهت اليه معرفته" (١) وصار "امام زمانه فيه" (٢)

لذا فقد خلع عليه معاصروه ـ عن جدارة واستحقاق ـ ألقابا تدل على التكريم والتبجيــل وسمو منزلته العلمية والأدبية وعلو كعبه في فن الحديث خصوصا ، فمن هذه الألقاب : ـ

أولا : أميـر المـؤمـنـين

لقد ذكر صاحب هدية المغيث ماخلعه غيره من الألقاب على ابن حجر حيث قال : ونجل علان المحقق ذكر .. من أمراء المؤمنين ابن حجر (٣)

ثانيا : الحافـــظ

لقد أصبح كما يقول الشوكاني "اطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة اجماع" (٤)

ثالثا : شيخ الاسلام

يقول السخاوى شيخ الاسلام لقب به جماعة منهم "التقي أبو العباس وأحمد بـن تيمية والشهاب أحمد بن علي بن حجر" (٥)

ويجدر بنا أن نشير الى أن اطلاق هذين اللقبين في زمنه لاينصرفان الا اليه (٦)

---

(١) الغزى "بهجة الناظرين" ص ١٦٤

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) الشنقيطى "هدية المغيث" ص ٨

(٤) البدر الطالع ج ١ م ١ ص ٨٨

(٥) الألقاب والكنى والنسبة ص ٨٨

(٦) السخاوى "الجواهر والدرر" ص ١٤

المبحث العاشر : تقدير علماء عصره له

لقد كان ـ ابن حجر ـ موضع تقدير علماء عصره وأهلا لتكريمهم وتبجيلهم بفضل ما أوتي من بسطة في العلم والمعرفة وما أسهم به من مؤلفات في تراث الانسانية .
ونحن اذا ما ذهبنا لنحصي كل ما أثنوا به عليه وما قالوه في حقه مما يدل على رسوخ قدمه في كثير من فنون العلم والمعرفة ويشهد لسمو منزلته العلمية بين علماء عصره لضاق بنا المقام .
لذا سوف نكتفي بايراد ما ينهض دليلا على ذلك من أقوال العلماء المعاصرين له ومن جاء بعدهم ..
ولنبدأ بما قاله شيخه العراقي وقد سئل قبيل وفاته من تخلف من بعدك فقال " في الشيخ شهاب الدين كفاية " (١) .
وقرأ ابن حجر على شيخه سراج الدين البلقيني حديثا في سنده تمتام فقال له الشيخ من تمتام هذا فقال ابن حجر هو محمد بن غالب وتمتام لقبه وهو في كتب شيخنا فرجع البلقيني اليها فوجده كما قال . عند ذلك اعترف له بالفضل وقال " ياشيخ شهاب اقرأ فقد أقررنا لك " (٢) .
وعلق جلال الدين ابن سراج الدين على ذلك مخاطبا والده بقوله " عالم فلا تمتحنه بعدها " (٣) .
وقال تاج الدين ابن الفرابلي " مارأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه " (٤) .
وقال أيضا " وعندي أنه ماولي قضاء الشافعية بعد ابن دقيق العيد أعلم منه " (٥) .
وقال المجد اسماعيل البرماوي " بموته تموت الشريعة " (٦) .
وقال تقي الدين القلقشندي " حجة الله على العباد " (٧) .
وقال جلال الدين السيوطي "أن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة المزي والذهبي والعراقي وابن حجر " (٨) .
وقال أيضا " قد أغلق بعده الباب وختم به في هذا الشأن " (٩) .
وقال البدر البشتكي " لله دره من شاعر ما أعلمه وعالما ما أشعره " (١٠) .

---

(١) السخاوي ـ الجواهر والدرر ص ٢٩٤
(٢) المصدر السابق ص ٢٨٦
(٣) ابن حجر المجمع المؤسس ص ٢٢٠
(٤) البرهان البرقاعي عنوان الزمان ص ٣٩
(٥) السخاوي الجواهر والدرر ص ٣٢١
(٦) المصدر السابق ص ٣٢٥
(٧) المصدر السابق ص ٣٧٢
(٨) السيوطي ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤٨
(٩) المصدر السابق ترجمة ابن حجر
(١٠) السخاوي الجواهر والدرر ص ٣٢١

ومع هذا التقدير من العلماء فقد كان متواضعا يميل الى هضم نفسه يدلنا على ذلك أن بعض أصحابه سأله أنت أحفظ أم الذهبي فسكت وهذا منه تواضع لأنه شرب ماء زمزم مرتين مرة لينال مرتبة الذهبي فبلغها ومرة لينال رتبة أعلى من ذلك فيسرها الله له (١) .

كما يشهد لذلك أيضا أن تغري برمش الفقيه سأله "أرأيت مثل نفسك" فقال قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى (٢) .

ويعلق السخاوي على ذلك فيقول وأفهم جواب شيخنا أنه لم ير مثل نفسه والا لكان يقول رأيت فلانا وما أشبهه . (٣)

المبحث الحادي عشر : مرضه ووفاته

بعد حياة طويلة حافلة بالأعمال العظيمة والآثار الجليلة وعمر امتد قرابة ثمانين عاما تقلب خلاله في مختلف المناصب الهامة والمراكز المرموقة في الدولة بعد أن تدرج في سلم الرقي وارتقى في معارج المجد العلمي والأدبي حتى أضحى في قمته لا ينازعه فيه بل ولا يدانيه أحد بلغ كتابه أجله ، وجاءه النذير ووافاه حمامه بعد مرض امتد أكثر من شهر حصل له منه اسهال مع رمي دم وذلك ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ (٤) — ولكل شيء اذا ما تم نقصان — بمنزله بحارة بهاء الدين قرب باب القنطرة بالقاهرة وحمل تابوته الى مصلى المؤمنين بالرميلة تحت القلعة .

وتلقى السلطان جنازته ليشهد الصلاة عليه ورام قاضي القضاة علم الدين البلقيني الصلاة عليه اماما فأخره السلطان وأشار الى أمير المؤمنين الخليفة العباسي بالتقدم ويقال انه قال هو أمير المؤمنين وأنت أمير المؤمنين فصل بالناس عليه .

وبعد الصلاة عليه مشى أمير المؤمنين أبو الربيع سليمان والقضاة والأمراء والعلماء في جنازته ويقال أن بعض الأذكياء قدر من مشى في الجنازة أكثر من خمسين ألف انسان ، وتحدث كثير من الصلحاء وأرباب الأحوال بشهود الخضر وغيره جنازته (٥)

---

(١) الجواهر ص ١٥٦ (٢) ذيل رفع الاصر ص ٩٢ (٣) الجواهر ص ١٥٥

(٤) ويشير ابن اياس في بدائع الزهور الى أن وفاته كانت في سنة ٨٥٤ حيث ذكره في حوادثها وهذا خطأ بين لمخالفته لاجماع المؤرخين

(٥) الغزي "بهجة الناظرين" ص ١٦٥

ودفن بالقرافة الصغرى بتربة بني الخروبي بين مقام الامام الشافعي وسيدى مسلم السلمي مقابلة جامع الديلمي والسروتين قريبا من الليث بن سعد .

وكان موته مصيبة يالها من مصيبة نزلت بالمسلمين وظل الناس بعد دفنه أياما يتناوبون قبره ويدعون عنده ويتضرعون ويختمون ما شاء الله لهم من الختمات (١)

وثوى ذلك العالم الجهبذ في جدثه وأضحى رفاتا الا أن روحه وذكراه العطرة لاتزال خالدة بخلود مؤلفاته باقية ببقاء كتبه ومصنفاته .

ومن الغريب غروب شمس في الثرى
وضياؤها باق على الآفاق

المبحث الثاني عشر : وصية ابن حجر

ماكان لشيخ الاسلام وحافظ سنة سيد الأنام أن يطالع حديث رسول الله "صلى الله عليه وسلم" (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده) (٢) ثم لايعمل به ولا يستجيب له .

لذا فقد عهد بعدة وصايا كلها في أبواب الخير وسائر القربات وسوف نورد احداها لتكون شاهدا على أنه أحيى سنة الرسول "صلى الله عليه وسلم" عملا كما أحياها قولا ومضمونها كما ذكره السخاوي "أنه أوصى في مختلف جهات البر وللأقارب وبين الودائع وأصحابها كما أوصى بالاعطاء لكل من يستحق ولطلبة العلم المشتغلين بالحديث النبوي وهم من تلامذته " ثم ذكر السخاوي قوله بعد ذلك "وجميع ما أقررت به يخرج من رأس المال وما أوصيت به يخرج من ثمن الفلفل الذي بالاسكندرية ومصر وان كان لا يوفي ذلك فليكمل من سائر المتعلقات (٣)

---

(١) يراجع القلائد الجوهرية ص ١٤٥ و الذيل على التقييد ص ١٢٤ ب
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا
(٣) السخاوي "الجواهر والدرر" ص١٦٢١ و ١٦٢٣ و ١٦٢٥

المبحث الثالث عشر : رثاء ابن حجر

لقد كان ابن حجر علما بين علماء عصره حمل راية نشر السنة والدفاع عنها زمنا طويلا فلاعجب أن كان لفقده أثر في النفوس وصدع في القلوب خصوصا عند أحبائه وتلامذته الذين تعشقوه وهاموا به فانطلقت ألسنتهم لتترجم وتعبر عما في نفوسهم من أسى وما في قلوبهم من لوعة وحزن على فراقه نثرا كان هذا التعبير أو شعرا ولذا فقد كثر عدد الذين أنشدوا القصائد في رثائه وهذا الرثاء يعبر عن العاطفة الصادقة والتقدير العظيم لشيخ الاسلام وحافظ العصر فمن ذلك قصيدة تلميذه البقاعي التي مطلعها :

رزء ألم فقلت الدهر في وهج	وأعقل الناس منسوب الى الهوج
وللعيون انهمال كالعيون بكاء	وكل نهج به عال من اللجج
يا واحد العصر يامن لانظير له	اذ كل شخص من الأمثال في لجج
وقال: قاضي القضاة المفدى ابن حجر	من خلقه ليس في شيء من الحرج

وهي قصيدة تبلغ أربعين بيتا كلها مدح وثناء كما ذكر فيها صفاته وألقابه ومعارفه ومجالس املائه وغير ذلك (١)

ومنهم أيضا الشهاب الحجازي الذى أنشد قصيدة مطلعها :

كل البرية للمنية صائرة	وتقولها شيئا فشيئا سائرة
والنفس ان رضيت بذا ربحت وان	لم ترض كانت عند ذلك خاسرة
وقال فهو شيخ الاسلام المعظم قدره	من كان أوحد عصره والنادرة
قاضي القضاة العسقلاني الذى	لم ترفع الدنيا شبيها ناظره

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها محاسنه ومناصبه وصفاته الخلقية وعلومه الى غير ذلك (٢)

ومنهم شاعر العصر الشهاب المنصوري وكان قد حضر جنازته فأمطرت السماء على نعشه ولم يكن وقت مطر فأنشد يومئذ قصيدة مطلعها :

قد بكت السحب على	قاضي القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذي	كان مشيدا من حجر (٣)

---

(١) الجواهر ص ١٦٦٢ و ١٦٦٣ (٢) ابن فهد "لحظ الألحاظ" ص ٣٢٩
(٣) السيوطي "حسن المحاضرة" ج ١ ص ١٥٣

ومنهم أيضا عبد الرحمن بن على النقاش الأصم قال قصيدة مطلعها :

قفا نبك بالقاموس الغامض الرجل ... والمرسلات بماء الغيث والمطر

مذكرا لك بالأذكار ذا أسـف ... على المعاهد والروضات والأثر

على رباع خلا درس الحديث بها ... والربع عاف ومحتاج الى الحجر (١)

وهى قصيدة تقارب خمسين بيتا فى فضائله ووظائفه ودروسه ووفاته وغير ذلك .

ولو ذهبنا نحصى هذه المراثى لضاق بنا المقام فانها لكثرتها يتعذر احصاؤها واستقصاؤها لذا فقد آثرنا أن نقتصر على القدر الذى ذكرناه ففيه الكفاية ولله الحمد والمنة فى البداية والنهاية .

فرحم الله حافظ العصر وأمير المؤمنين الذى كرس حياته ووهب نفسه لنشر سنة سيد المرسلين ودحض شبه المفترين .

---

(١) الجواهر ص ١٦٧٢

الفصل الخامس

شيوخه وأقرانه وتلاميذه

تمهيد :

لقد تلقى ابن حجر علومه الأولية على مشايخها وأساتذتها الذين تخصصوا فيها فحفظ القرآن الكريم في المكتب وجوده على شيوخه وقرأ الفقه والأدب والتاريخ وغير ذلك على من تخصصوا فيها أيضا ولقد كان هناك عامل له أكبر الأثر في حياته منذ صغره وهو عناية وصيه زكي الدين الخروبي بتربيته وحرصه على تعليمه حيث كان يحضر له مدرسين خصوصيين يلقنونه ويعلمونه كما كان يصحبه معه في أسفاره ورحلاته ويسمعه الكثير من كتب السنة ودواوينها مثل البخاري على مشايخها ومن نبغوا فيها ويحدثنا المؤرخون أنه سمع بمكة أثناء مجاورته وهو حدث — مع وصيه الخروبي السالف الذكر — صحيح البخاري على شيخ الحديث العفيف النشاوري كذلك بحث في عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي على جمال الدين بن ظهيرة في هذه الرحلة وسمعه بمصر بعد ذلك على عبد الرحيم بن رزين وغيره من علماء الحديث بمصر ثم لما شب عن الطوق اتصل بالعلماء والمشايخ وتردد عليهم وتلقى عن كل شيخ من شيوخ مصر والقاهرة أبرز ما تخصصوا فيه وطلب بنفسه قراءة وسماعا من أناس كثيرين .
الا أنه كان حريصا كل الحرص على أن يأخذ من الشيوخ ما لا يؤخذ الا بالسماع — وهو الحديث لتستند رواية الحديث إلى من قرأه عليه أو سمعه منه ، فمن هم هؤلاء الشيوخ اذن ؟

المبحث الأول : شيوخه

لقد أخذ ابن حجر عن شيوخ كثيرين عدهم المؤرخون بأربعمائة وأربعين نفسا بالاجازة والسماع وفي اصطلاح المحدثين يعتبر كل واحد من هؤلاء شيخا له غير أني أقصد بالشيوخ في هذا الصدد "أولئك الذين كان له بهم فضل اختصاص وطول مزاولة يمكن أن أجد أثرها في شخصيته العقلية" (١)

---

(١) شوقي ضيف — الحافظ الذهبي ص ٥٦

ولذلك سوف أنتقى من هؤلاء الشيوخ أبرزهم وأوضحهم أثرا فيه لنكتب عنهم كلمات مجملة توضح لنا عن درجة اتصاله بهم ومدى تأثره بشخصياتهم وسوف نذكرهم مرتبين على حروف المعجم مع توضيح ما أخذ عنهم - بن حجر - فنقول وبالله التوفيق :

التنوخي

ابراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلي الأصل الدمشقي نزيل القاهرة برهان الدين الشامي وقد نسبه بعضهم الأقمري لاقامته بجامع الأقمر دهرا طويلا الى أن مات ، ولد بدمشق سنة ٧٠٩ وتفقه على شيوخها ورحل الى حماه وحلب والقاهرة والأسكندرية وتفقه بمشايخ هذه البلاد وسمع فى غضون ذلك الا أنه عني بالقراءات خلال اقامته بالقاهرة ، ثم رجع الى دمشق وحدث بها بالأربعين المتباينة بشرط السماع ثم رحل عنها الى القاهرة وحدث فيها بالكثير غير أنه تعسر فى أواخر عمره الى أن اجتمعت به وخرجت له المائة العشارية ففرح بها وانبسط فى التحديث ، وكان معظما عند العلماء حتى أن العراقى كان يمتنع عن التحديث بما هو من عواليه ويحيل عليه فى ذلك .

لازمته زيادة على ثلاث سنين ووصلت عليه بالأجازة شيئا كثيرا . قرأت عليه المسلسل بالأولية بسماعه بشرطة على الميدومى ، وقرأت عليه أول القرآن الى قوله "المفلحون" فى البقرة جامعا للقراءات السبع وقرأت عليه الشاطبية تامة وقرأت عليه خلاصة الألفية فى العربية نظم عبد الله بن مالك وسمعت عليه صحيح البخارى وقرأت عليه الموجود من مسند عبد ابن حميد بن نصر الكشى ، وقرأت عليه الجامع لأبى عيسى الترمذى ، وقرأت عليه جميع السنن للنسائي ، وقرأت عليه أحاديث صحيح أبى حاتم بن حبان البستى والموطأ لمالك وقرأت عليه المعجم لأبى بكر أحمد بن ابراهيم الأسماعيلى وكتاب اختلاف الحديث للامام الشافعى كما سمعت عليه قطعة من الأذكار للنووى وشيئا من صحيح مسلم كذلك قرأت عليه المحدث الفاصل بين الراوى والواعى للرامهرمزى وغير ذلك من المشيخات والأمالى والأجزاء .

مات فى ثامن جمادى الأولى سنة ٨٠٨ هـ ونزل أهل مصر بموته درجة (١)

---

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ٤ و ٥ و ٦ الى ١١

العراقي

هو عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل العراقي زين الدين الحافظ شيخنا ولد في جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ بمنشأة المهراني بين مصر والقاهرة وأسمع على كثير من مشايخ عصره مثل تقي الدين الاخنائي والجاولي ، اشتغل بسائر العلوم وأحب الحديث وتنبه له عز الدين بن جماعة لما رأى من حرصه على الحديث وجمعه على طريقة أهله فحبب له ذلك وأكب عليه من سنة ٧٥٢ هـ ورحل في طلبة الى بلاد كثيرة وتخرج بشيوخ لا يحصى عددهم وتقدم في فن الحديث بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة كالسبكي وابن جماعة وتوغل فيه حتى صار لا يعرف الا به وانصرفت أوقاته فيه ألف كثيرا من الكتب قرأتهما عليه وأملى ما ينيف على أربعمائة مجلس استمليت عليه بعضها لازمته في شهر رمضان سنة ٧٩٦ هـ الى أن حججت في شوال سنة ٨٠٥ هـ سوى ما تخلل ذلك من مفراقي الى الشام وغيرها اجتمعت معه أولا في رمضان سنة ٧٩٦ هـ وحدثني من لفظه بالأولية بسماعة من أبي الفتح الميدومي ثم قرأت عليه كتابة الأربعين العشارية من جمعه وقرأت عليه مسند محمد بن محمد أبي عمر العدني وكتاب القراءة خلف الامام للبخاري ومن أول كتاب السنن الكبير للبيهقي الى باب جهر الامام بالتأمين وكتاب رفع اليدين في الصلاة للبخاري وقطعة من حلية الأولياء لأبي نعيم وكتاب الشمائل لأبي عيسى الترمذي وغير ذلك من الأجزاء والأحاديث والأمالي وقرأت عليه السادس والسابع من أمالي أبي القاسم هبة الله بن الحصين وفوائد أبي القاسم تمام بن أبي الحسين بن عبد الله الرازي في ثلاثين جزء ، وقرأت عليه كتاب المحبين مع المحبوبين لأبي نعيم يشتمل على طرق حديث المرء مع من أحب ، وقرأت عليه كتاب الرحلة للخطيب ، وسمعت عليه جزءا من حديث وهب بن منبه من مسند الامام أحمد والجزء من انتقاء الحافظ المزي وقرأت عليه جزءا من أمالي أبي عمرو محمد بن حمدان وسمعت عليه مجلس الختم من صحيح مسلم ، وقرأت عليه جزءا من فضائل أبي بكر الصديق من حديث أبي طالب العشاري ، وقرأت عليه قطعة من أبي عوانه ، وسمعت عليه مجلس الختم من البخاري ومواضع متفرقة منه بعضها بقراءتي والمجلس الأخير من سنن أبي داود وكانت لي مراجعات مع الشيخ كثيرة . مات سنة ٨٠٦ هـ . (١)

---

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩٢

ابن الشيخة

هو عبد الله بن أحمد بن المبارك بن حماد الغزي الأصل المعروف بابن الشيخة ولد سنة ٧١٥ هـ وكان له اشتغال بعدة علوم وعلى ذهنه أشياء حسنة وكان مشهورا بالصلاح والديانة محبا في الاسماع صبورا على الطلبة وكانت له خصوصية بأبي فكان بعد ذلك يبالغ في اكرامي وأول ماعرفته سنة ٧٧٩ هـ بعد موت أبي وأنا في الكتاب وسمعت عليه الحديث في سنة ٧٩٢ هـ سمعت عليه جزءا انتقاه أبو زرعة ابن شيخنا العراقي ثم لازمته من سنة ٧٩٦ هـ الى أن مات قرأت عليه الجزء الثامن من أمالي المحاملي وجزءا لطيفا فيه أحاديث من رواية أبي أحمد القرشي وغير ذلك من الأجزاء الحسان وقرأت عليه جميع المستخرج لأبي نعيم الأصبهاني على صحيح مسلم ومسند أبي داود الطيالسي والجزء الأول من السنن لأبي داود وكتاب شروط الأئمة الستة لأبي الفضل محمد بن طاهر والأربعين للحاكم وكثيرا من المشيخات وسمعت عليه أزيد من الثلث الأول من صحيح ابن حبان وتغير قليلا . مات في ربيع الأول سنة ٧٩٩ هـ (١) .

الهيثمي

علي بن أبي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح أبو الحسن الهيثمي صهر شيخنا العراقي ولد سنة ٧٣٥ هـ وصحب الشيخ في حدود الخمسين كان خيرا ساكتا كثير الانكار للمنكر محبا للحديث وأهله كثير الاستحضار للمتون يسرع الجواب يحضره الشيخ فيعجبه ذلك وكان يودني كثيرا وبلغه أنني تتبعت أوهامه في مجمع الزوائد فعاتبني فتركت ذلك الى الآن واستمر على المحبة والمودة ، سمعت عليه المسلسل ، وقرأت عليه الكثير مع الشيخ وقرأت عليه وحده مجمع أبي الحسن بن جميع ، وقرأت عليه من أول مجمع الزوائد الى قدر الثلث منه ونحو الثلث من السنن الكبير للبيهقي . مات في رمضان سنة ٨٠٩ هـ . (٢)

---

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ١٥٢ و ١٥٤ و ١٥٦ و ١٥٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٥

البلقيني

عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن مسافر البلقيني ، ولد في ١٢ من شعبان سنة ٧٢٤ هـ وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكذا حفظ المحرر في الفقه وغيره من الكتب وأقدم القاهرة وسمع على كثير من شيوخها وأجاز له الحافظان المزي والذهبي ، وولي نيابة الحكم مدة ثم استقل به بعد ذلك ودرس بعدة أماكن وكتب على الفتاوى من سن القلم وكان وقورا حليما مهيبا سريع البادرة سريع الرجوع له همة عالية في مساعدة أصحابه ، لازمته مدة وقرأت عليه عدة أجزاء حديثية وسمعت عليه أشياء وحضرت دروسه الفقهية وقرأت عليه الكثير من الروضة ومن كلامه في حواشيها وقرأت عليه كتاب دلائل النبوة للبيهقي وقرأت عليه المسلسل بالأولية وسمعته من لفظه أيضا وسمعت عليه جزءا أخرجه له ولي الدين العراقي من عواليه والأربعين التي خرجها له عن مشايخه عشرين بالسماع وعشرين بالاجازة وجزءا فيه الصلاة على النبي "صلى الله عليه وسلم" لاسماعيل بن اسحاق القاضي وكثيرا من الأجزاء والسماعات ، وسمعت عليه الكثير من صحيح البخاري والكثير من صحيح مسلم وسمعت عليه الكثير من سنن أبي داود . مات في ذي القعدة سنة ٨٠٥ هـ . (١)

ابن الملقن

عمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي الأصل المصري سراج الدين بن الملقن ، ولد في أوائل سنة ٧٢٣ هـ ، وأسمع على أبي الفتح بن سيد الناس وقطب الدين الحلبي وغيرهما ولازم الشيخ زين الدين الرحبي وعلاء الدين مغلطاي ، واشتغل بالتصنيف حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفا وقد وصفه الأئمة بالحفظ وهؤلاء الثلاثة العراقي والبلقيني وابن الملقن كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن ، الأول في معرفة الحديث وفنونه ، والثاني – البلقيني – في التوسع في معرفة مذهب الشافعي ، والثالث في كثرة التصانيف ، كان حسن الخلق كثير المروءة ، قرأت عليه قطعة كبيرة من شرحه على المنهاج وقرأت عليه جزءا فيه السادس والسابع من أمالي المخلص ، وسمعت منه المسلسل بالأولية تخريجه والجزء الخامس من مشيخة ابن النجيب تخريج أبي العباس بن الظاهري وغير ذلك كثير . مات في ربيع الأول سنة ٨٠٤ هـ . (٢)

---

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢١ و ٢٢٢
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ و ٢٢٦

ومجمل القول أنه قد "اجتمع له من الشيوخ الذين يشار اليهم ويعول في حل المشكلات عليهم مالم يجتمع لأحد من أهل عصره لأن كل واحد منهم كان متبحرا في علمه رأسا في فنه الذي اشتهر به لايلحق فيه" (١)

ولاريب أن كل واحد منهم قد ترك أثرا محمودا في شخصيته وعقليته يظهر ذلك واضحا في كثرة مؤلفاته ومصنفاته خصوصا في فن الحديث بمختلف أنواعه .

المبحث الثاني : أقرانه وتلامذته

تمهيد : لقد توفر لابن حجر من الصفات والمزايا ما جعله خليقا بأن يلتف حوله الراغبون في العلم من الطلبة للأخذ عنه والسماع منه حيث كان فصيح اللسان شجي الصوت حسن القراءة متواضعا محبا للعلم والعلماء رحيما بطلبته يحثهم على السماع من المشايخ ويرشدهم الى أمهات الكتب كما كان واسع الاطلاع كثير التصانيف منقطعا للعلم وهذه الصفات من شأنها أن تلفت أنظار المبتدئين الى الشيخ وترفع من مكانته ومنزلته عندهم وتجعلهم يلتفون حوله ويهيمون حبا به فلا عجب أن كثر أتباعه وتلامذته والآخذون عنه غير أننا اذا أمعنا النظر وجدنا أن هؤلاء الآخذين عنه نوعان :

أولا : نوع يؤمه ويقصده ليتحمل ويروي عنه ما سمع أو صنف أو يرافقه في السماع وهؤلاء هم أقرانه وأهل طبقته الذين عاشرهم وتأثر بهم وأثر فيهم .

ثانيا : النوع الثاني هم الذين أكثروا ملازمته والجلوس اليه حتى تخرجوا به ونقلوا عنه علمه وآثاره الى من بعدهم وهؤلاء هم تلامذته .

وسوف أفرد لكل نوع من هذين النوعين فرعا خاصا .

---

(١) السخاوي "ذيل رفع الاصر عن قضاة مصر" ص ٨٣

الفرع الأول : أقرانه ورفاقه في طلب العلم

لو ذهبنا نحصى هؤلاء الرفاق لطال بنا الحديث ولما استطعنا أن نحصيهم نظرا لكثرتهم ومن هنا سوف أقتصر على ذكر نماذج منهم فأقول وبالله التوفيق :

الطنتدائي

أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائي الشافعي ولد سنة ٧٥١ هـ ، اشتغل وهو كبير ولازم كثيرا من الشيوخ مثل العراقي والابناسي وابن الملقن وليعد تلمذ للهيثمي وصنف كثيرا اجتمعت به كثيرا وطالت مجالستي له والسماع منه ومن فوائده ، وكتب بخطه من تصانيفي الكثير وكتب عني أكثر مجالسي في الاملاء وسمع كثيرا على . مات في شوال سنة ٨٣٢ هـ (١)

ابن البلقيني

عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن شيخ الاسلام البلقيني ، ولد في رمضان سنة ٧٦٣ هـ ، ولم يكن لأبيه عناية بتسميعه سمع من أبيه وحضر شيوخ عصره ، كان ذكيا قوى الحافظة ، انتهت اليه رياسة الفنسون بعد موت أبيه وابتلى بحب القضاء ، لازمته كثيرا وكتب عني كثيرا من مقدمة فتح الباري وغير ذلك من الفوائد الحديثية وطارحني بأسئلة من المنظوم والمنثور وطارحته بأشياء كثيرة وغالب ما كان يبحث فيه كان يقرؤه بلفظه وأسمعه منه . مات في شوال سنة ٨٢٤ هـ (٢)

الفرع الثاني : تلامذته ومريدوه

لقد كثر تلامذة ابن حجر ، كثرة تستلفت النظر وتسترعى الانتباه بفضل ماقام به من رحلات الى مختلف البلدان كالاسكندرية واليمن ودمشق وحلب ومختلف بلاد الشام ، والبلاد المصرية مع عكوفه وانكبابه المستمر الدائم على الكتب والبحث والدرس الأمر الذى أدى الى أن كثر تلامذته في جميع البلاد ومختلف الجهات وقد كانوا علماء أفذاذا أتصفوا بعظم المدارك وسعة المعرفة والاطلاع مما أهلهم وجعلهم جديرين بحمل رسالته من بعده ،

---

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ٣٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٣

وخلفاؤه وأمناؤه على تركته ومصنفاته العلمية الضخمة ولقد ظل ابن حجر يتولى هؤلاء ويرعاهم ويتعهدهم ويلقي عليهم دروسه العلمية دون أن يكل أو يمل حتى قبيل وفاته بيسير وهؤلاء التلاميذ لكثرتهم وتفرقهم في البلاد ومختلف الأنحاء يتعذر على الباحث احصاؤهم واستقصاؤهم بيد أن هذا لايمنعنا من أن نشير الى بعضهم ممن تأثروا به وظهر أثره واضحاً فيهم ، فنقول :

ابن خضر

ابراهيم بن خضر بن أحمد بن عثمان وينتهي نسبه الى عثمان بن عفان "رضي الله عنه" القاهري المولد والدار ولد في شوال سنة ٧٩٤ هـ وحفظ القرآن والعمدة والتنبيه وغير ذلك وأقبل على العربية والأصول وعرض على الزين العراقي وخلق كثير واشتغل بجميع العلوم السائدة في عصره وأخذها عن شيوخها ، ولازم شيخنا في الحديث واشتدت عنايته بملازمته بحيث أنه قرأ عليه كتب الاسلام والكثير من تصانيفه خصوصا فتح الباري فما أعلم أحدا قرأه عليه تاما غيره ولم يقدم شيخنا في القراءة في رمضان أحدا غيره وكتب بخطه الكثير من الكتب خصوصا مؤلفات شيخنا ولم يكن عنده أجل من شيخنا ، بل قصر نفسه على صحبته والانتماء اليه ومحبته حتى كان شيخنا يغتبط بذلك ولم يكن شيخنا يقدم عليه من أصحابه غيره وربما استملى عليه وقد وصفه بالامام العالم الفاضل مفيد الطالبين جمال المدرسين كما قال عنه في موضع آخر ولم يخلف بعده في مجموعة مثله صيانة وديانة وفهما وحافظة وحسن تصور وقال عنه أيضا لازمني كثيرا نحو أربعين سنة وقرأ علي جميع فتح الباري وتلقاه مني استملاء في المبادئ ثم عرضا وتحريرا وقرأ على الكتب الكبار في عدة سنين من شهر رمضان من كل منها ، وحدث باليسير وربما كتب على الفتاوى بل كان شيخنا كثيرا ما يعرض عليه أجوبته في المسائل الفقهية وغيرها وربما أرسل اليه بالمسائل الدقيقة لا لعجزه عنها بل لاشتغاله بما هو أهم مما تعين عليه ، كان وفيا أمينا متصفا بجميع الصفات الحسنة . توفي في منتصف المحرم سنة ٨٥٢ هـ ، وعظم تأسف الناس عليه سيما شيخنا (١) " ابن حجر " .

---

(١) السخاوي "الضوء اللامع" جـ ١ ص٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧

البرهان البقاعي

ابراهيم بن عمر بن حسن البقاعي نزيل القاهرة ولد تقريبا سنة ٨٠٩ هـ بقرية خربة من عمل البقاع ونشأ بها ثم تحول الى دمشق ثم فارقها الى بيت المقدس والقاهرة واشتغل بها يسيرا أخذ بالقاهرة عن الشرف السبكي والعلاء القلقشندى والقاياتى وشيخنا (١) ويتحدث البقاعي عن تلمذته لشيخه ابن حجر بعد مجيئه اليه ومثوله بين يديه بالقاهرة سنة ٨٢٤ هـ فيقول: "لازمته فلم يمض غير يسير حتى عددت من أصحابه الذين يحنون اليه ويعلمهم اذا أراد التنزه وحصل لى منه حظ وافر من الاقبال والعلم والمال والشهرة بين الناس ولم أزل حريصا على مجالسته حضرا وسفرا سوى أوقات يسيرة لا تعد قادحا فى الملازمة ولازمته طويلا فلم أعدل به بديلا وسمعت عليه بقرائتى وقراءة غيرى من الكتب الكبار والأجزاء القصار شيئا كثيرا (٢) يقول السخاوى وسافر فى خدمة شيخنا الى حلب وأخذ عن شيخ الرواية بها وقد رقاه شيخنا فعينه امام الظاهر جقمق لقراءة الحديث بالقلعة ثم منعه الظاهر بعد ذلك وكان هجاء لم يسلم أحد من لسانه حتى شيخه وصاحب الفضل عليه - ابن حجر - فقد قال فى حقه مالا ينبغى أن يقال وله مصنفات عديدة منها عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران والأسد الناهسة لمعتدى المقادسة وديوان شعر وغير ذلك من المصنفات رحل الى دمشق ومات بها فى رجب سنة ٨٨٥ هـ (٣) .

أبو النعيم رضوان

رضوان بن محمد بن يوسف العقبى ولد فى رجب سنة ٧٦٦ هـ . بمنية عقبة بالجيزة ونشأ بخانقاه شيخو وحفظ القرآن والتنبيه وحضر دروس البلقينى وابن الملقن والعز بن جماعة وغيرهم وتولى عدة مناصب كالتدريس والاسماع بالشيخونية والخطابة واشتدت عنايته بالرواية وبالغ فى الطلب وقرأ بنفسه الكثير وعرف العالى والنازل وخرج لنفسه ولغيره وكان دينا خيرا محبا فى الحديث وأهله (٤)

---

(١) السخاوى " الضوء اللامع جـ١ ص١٠١

(٢) " البقاعى " عنوان الزمان ص٦٨

(٣) " السخاوى " الضوء اللامع جـ١ ص١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧

(٤) " السخاوى " الضوء اللامع جـ١ ص٢٢٦ ، ٢٢٧

يقول شيخه — ابن حجر — وكان يراجعني فيما يقرأه ويسمعه وحصل كثيرا من تصانيفي وهو أمثل من تخرج على طريقة طلبة الحديث وقد استعلى على من أوائل سنة ٨٢٧ هـ (١) واستمر في ذلك حتى وصفه شيخنا بالامام الفاضل شيخ القراء والتحديث ولم يزل على طريقته حتى مات في رجب سنة ٨٥٢ هـ (٢)

السخاوى

محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوى الأصل القاهرى الشافعى ولد في ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ بالقاهرة بحارة بهاء الدين بمنزل مجاور لمدرسة الشيخ سراج الدين البلقيني ثم تحول عنه الى منزل اشتراه والده بجوار سكن شيخه — ابن حجر — حفظ القرآن وكثيرا من الكتب والمتون وعرضها على شيوخها وسمع الحديث مع والده ليلا على شيخه — ابن حجر — وكان أول ما وقف عليه من ذلك في سنة ٨٣٨ هـ وأوقع الله في قلبه محبته فلازم مجلسه وعادت عليه بركته في هذا الشأن وأقبل عليه بكليته اقبالا يزيد عن الوصف بحيث تقلل مما عداه ودوام الملازمة لشيخه حتى حمل عنه جما واختص به كثيرا بحيث كان من أكثر الآخذين عنه — وأعانه على ذلك قرب منزله منه — فكان لا يفوته مما يقرأ عليه الا النادر وعلم شيخه شدة حرصه على ذلك فكان يرسل خلفه أحيانا بعض خدمه يأمره بالمجئ للقراءة وقرأ عليه الاصطلاح بتمامه وسمع عليه جل كتبه وأكثر تصانيفه في الرجال وغيرها كالتقريب وتعجيل المنفعة واللسان وغير ذلك وقرأ بنفسه النخبة والأربعين المتباينة والقول المسدد وبلوغ المرام وسمع من لفظه أشياء كالعشرة العشاريات ومسلسل الابراهيمي وهذا خارج عما كتبه عنه في الاملاء مع الجماعة من سنة ٨٤٦ هـ الى أن مات شيخه — ابن حجر — وأذن له شيخه في الاقراء والافادة والتصنيف وتدرب به في طريق القوم ومعرفة العالي والنازل والكشف عن التراجم والمتون وسائر الاصطلاحات وغير ذلك (٣)

---

(١) ابن حجر "المجمع المؤسس" ص ٣٨

(٢) السخاوى "الضوء اللامع" جـ٣ ص ٢٢٨

(٣) السخاوى "الضوء اللامع" جـ٨ ص ١٦

ولم ينفك عن ملازمة شيخه ولا عدل عنه بملازمة غيره من علماء الفنون خوفا على ... ولا ارتحل

الى الأماكن النائية ولا حج الا بعد وفاته وكان شيخه يمده بالأجزاء والكتب والفوائد التى لا تحصى

وربما نبهه الى عوالى لبعض شيوخ العصر ويحضه على قرائتها وتنقل بعد وفاة شيخه بين بلدان

كثيرة وأخذ عن شيوخها وألف كثيرا فى الحديث وأثنى عليه كثير من الشيوخ ووصفوه بالحفظ كما

وصفه أقرانه بذلك وتولى التدريس بعدة أماكن توفى بالمدينة فى شهر شعبان سنة ٩٠٢ (١)

وجمل القول أن ابن حجر قد كثرت طلبته وملأت تلامذته الأفاق وصار رؤس العلماء فى كل مذهب

وكل قطر من تلامذته ولم يجتمع عند أحد من الشيوخ مجموعهم (٢) يقول السخاوى بعد سرده

أسماء تلامذته " هذا آخر ما أوردنا ذكره من تحرير أسماء من أخذ عنه رواية أو دراية وهم

نحو الستمائة من غير التزام لاستيفاء ما علمته من ذلك فضلا عن الجمع الذى لا تمكن الاحاطة به" (٣)

---

(١) "السخاوى "الضوء اللامع جـ٨ ص٧، ١٤، ١٦، ٣١

(٢) "البقاعى" عنوان الزمان ص ٤٥

(٣) "السخاوى" الجواهر ص١٥٨٧

المبحث الثالث : فى سرد مؤلفاته ومصنفاته وبيان موضوعاتها .

تمهيد :

لقد جلس — ابن حجر — بادئ ذى بدء — شأن كل متعلم — بين يدى كثير من العلماء والشيوخ يرشدونه ويوجهونه ويلقنونه ويأخذ عنهم من علمهم ومعرفتهم ومازال يتردد عليهم مكثرا لملازمتهم الى أن انتفع بهم وتخرج عليهم فى كثير من أنواع العلوم الشائعة آنذاك — ولما شب عن الطوق ونضج واستقل عقليا أكب على الكتب وعكف عليها درسا واستيعابا وبحثا وتنقيبا خصوصا وأنه عاش فى عصر توفرت فيه الكتب وكثرت المؤلفات كنتيجة طبيعية لانتشار الخط والخطاطين وكثمرة طيبة لجهود العلماء — فى مصر والشام — فى احياء التراث الاسلامى الذى عبث به أيدى التتار أيام سقوط بغداد ومحاولتهم استدراك ما فات وقد وجد ابن حجر فى هذه الكتب طلبته وعثر فيها على بغيته ومن الأخذ عن الشيوخ والسماع منهم ومن النظر فى الكتب والمداومة على مطالعتها تكونت عنده مادة علمية غزيرة استطاع — ابن حجر — أن يستنبط منها ويبنى عليها بل ويضيف اليها جديدا من نتاج فكره وخلاصة دراساته ، يتجلى ذلك بوضوح فى مؤلفاته الضخمة الجديدة التى لم تجد يد الزمان حتى الآن بمثلها فى الدقة والشمول وقبل أن نخوض فى سرد هذه المؤلفات يجمل بنا أن ن الى أنها تنقسم الى مؤلفات — فى الفقه والأصول ، مؤلفات فى الأدب ، مؤلفات فى الفضائل ، مؤلفات فى التاريخ والتراجم ، مؤلفات فى الحديث وعلومه الا أنه مما يستلفت النظر ويسترعى الانتباه أن غالب هذه المؤلفات كانت فى علم الحديث رجاله ، مصطلحه ، شرحه ، تخريجه .

على أن أكثر هذه المؤلفات الآن مفقود وما هو موجود منها لا يزال معظمه فى بطون المخطوطات لم ير النور ولم تمتد اليه أيدى المحققين والباحثين بالتصحيح والتدقيق ولم ينفضوا عنه غبار السنين حتى يقدموه للأنسانية تراثا نقيا خالصا يسهل الأخذ منه وييسر الانتفاع به — ولقد بدأ — ابن حجر — فى التأليف والتصنيف فى أوائل العقد الثالث من عمره وذلك فى حدود سنة ٧٩٦ وأول مؤلفاته (١) .

(١) — نظم اللآلى بالمائة العوالى وهى المائة العشاريات الأسناد والكل بشرط الصحة أو الحسن خرجها لشيخه التنوخى . "مخطوط حديث"

(٢) — تغليق التعليق ويشتمل على وصل الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمقطوعة الواقعة فى صحيح البخارى ولم يسبق الى جمعه فى تأليف وقف عليه كبار مشايخه وشهدوا بأنه لم يسبق الى

(١) الجواهر ص ٨٥٥

وضع مثله فرغ منه سنة ٨٠٧ هـ "حديث مخطوط"

(٣) ـ التشويق الى وصل المهم من التعليق وهو مختصر التغليق ـ واقتصر فى هذا على الأحاديث التى لم يصل البخارى أسانيدها فى مكان آخر من جامعة الصحيح ... حديث .

(٤) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية وهى مسند الطيالسى وعبد بن حميد وإسحاق بن راهوية وابن أبى شيبة ومسدد بن مسرهد وابن أبى عمر وأبى يعلى الموصلى ـ طبع أخيرا بالهند "حديث"

(٥) ـ إنباء الغمر بأبناء العمر حققه دكتور حسن حبشى "تاريخ"

(٦) ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة حققه محمد سيد جاد الحق "تاريخ"

(٧) ـ الأحاديث العشاريات الأسانيد مخطوط ـ حديث

(٨) ـ أربعون حديثا فى ذم العجم وعن سب المسلم وفى أولها ما يفيد أنه ألفها لما تزايد جور القاضى السفطى وفى آخرها أنه فرغ من تأليفها فى رجب سنة ٨٥١ هـ . مخطوط ـ حديث

(٩) ـ الأجوبة المشرقة عن الأسئلة المفرقة .. حققه محمد ناصر الدين الألبانى .

(١٠) ـ المنبهات طبع فى الأستانة

(١١) ـ الايثار بمعرفة رواة الآثار (١)

(١٢) ـ رسالة تبين فيها أسماء من عرف أسمائهم ممن أبهم فى كتاب عمدة القارى "مصطلح مخطوط"

(١٣) ـ المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس جمع فيه شيوخه بالسماع والأجازة والأفادة (٢)

(١٤) ـ الأمتاع بالاربعين المتباينة بشرط السماع واشترط فيها اتصال السماع فى جميعها وترتيبها على أحاديث العشرة المبشرين بالجنة ثم على حروف المعجم من الصحابة ثم العبادلة الأربعة ومنها أحاديث أصحاب الكتب الستة والمذاهب الأربعة وغير ذلك (٣)

(١٥) ـ القول المسدد فى الذب عن مسند الأمام أحمد (٤)

(١٦) ـ الاصابة فى تمييز أسماء الصحابة ذكر فى مقدمته أنه جمع فيه بين ما فى أسد الغابة (٥) وكتاب الاستيعاب وزاد عليهما ثلاثة عشر ألف ترجمة وقد قسمه الى أربعة أقسام مرتبا كل قسم على حروف المعجم .

القسم الأول من وردت روايته وذكره من طريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو منقطعة .

---

(١) مخطوط حديث (٢) مخطوط مصطلح

(٣) مخطوط مصطلح (٤) طبع الهند "حديث"

(٥) مصطلح

القسم الثاني من له رؤية فقط

القسم الثالث من أدرك الجاهلية والاسلام ولم يرو في خبر أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم

القسم الرابع من ذكر في كتب مصنفي الصحابة أو مخرجي المسانيد خطأ مع بيان ذلك وتحقيقه لما لم يسبق اليه وهذا القسم هو المقصود بالذات من هذا الكتاب مطبوع •

(١٧) — تهذيب التهذيب وهو يشتمل على اختصار تهذيب الكمال للمزي مع زيادات كثيرة عليه "مطبوع"

(١٨) — تقريب التهذيب وهو مختصر التهذيب وهو كتاب عجيب الوضع يشتمل على رجال تهذيب الكمال لا تزيد الترجمة على سطر — أو سطرين يشتمل على اسم الراوي وشهرة نسبه وصفته من القبول وعدمه وبيان طبقته مع ضبط ما يحتاج الى ضبطه من ذلك بالحروف • "مطبوع"

(١٩) — لسان الميزان يشتمل على تراجم من ليس في تهذيب الكمال من الميزان مع زيادات كثيرة في أحوالهم من جرح وتعديل وبيان وهم على خلق كثير لم يذكر في الميزان أصلا (١) •

(٢٠) — تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية (٢) •

(٢١) — بذل الماعون في فضائل الطاعون جمع فيه أشياء كثيرة من الأحاديث والأحكام والآداب المتعلقة بالطاعون (٣) •

(٢٢) — رفع الأصر عن قضاة مصر مرتبا على حروف المعجم (٤) •

(٢٣) — بلوغ المرام من أدلة الأحكام لخص فيه الألمام لابن دقيق العيد وزاد عليه كثيرا (٥)

(٢٤) — ديوان شعره الكبير وآخر مختصر منه السبع النيرات وقد تناول في هذا الديوان جميع أغراض الشعر مما يدل على أنه كان ذا طبيعة شاعرية (٦) •

(٢٥) — نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر بين فيها مقاصد الأنواع لابن الصلاح وزاد أنواعا لم يذكرها فاحتوت على أكثر من مائة نوع من أنواع الحديث (٧) •

(٢٦) — نزهة النظر بشرح نخبة الفكر (٨) •

---

(١) مطبوع (٢) طبع الهند مصطلح (٣) مخطوط "حديث"

(٤) تراجم مطبوع (٥) حديث مطبوع (٦) مخطوط أدب

(٧) مصطلح مطبوع (٨) مطبوع

(٢٧) — تخريج أحاديث الأذكار للنووي (١) .

(٢٨) — التمييز في تلخيص أحاديث شرح الوجيز للرافعي (٢) .

(٢٩) — الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة (٣) .

(٣٠) — الدراية في تخريج أحاديث الهداية اختصره من نصب الرايه (٤) .

(٣١) — رسالة في أحاديث رميت بالوضع في مصابيح السنة للبغوي وهي سؤال أجاب عنه ابن حجر (٥)

(٣٢) — الغنية في مسألة الرؤية وهي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء (٦) .

(٣٣) — تبيين العجب بما ورد في فضل رجب (٧) .

(٣٤) — تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٨) .

(٣٥) — جزء بن حجر بروايته (٩) .

(٣٦) — تخريج حديث الليث بن سعد (١٠) .

(٣٧) — رسالة في الكلام على الحديث المشهور (ماء زمزم لما شرب له) (١١) .

(٣٨) — الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٢) .

(٣٩) كتاب في علم الحديث بخط ابن حجر نفسه (١٣) .

(٤٠) — كشف الستر عن حكم الصلاة بعد الوتر (١٤) .

(٤١) — معجم الشيخه مريم بنت الأذرعي تخريج ابن حجر (١٥) .

---

(١) مخطوط حديث — (٢) طبع الهند حديث

(٣) مخطوط حديث — (٤) الهند حديث

(٥) مخطوط حديث — (٦) مخطوط حديث — (٧) مخطوط حديث

(٨) مطبوع حديث — (٩) مخطوط حديث — (١٠) مخطوط حديث

(١١) مخطوط حديث — (١٢) مخطوط حديث — (١٣) مخطوط حديث

(١٤) مخطوط حديث — (١٥) مخطوط حديث

(٤٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ومقدمته هدى السارى (١) .

(٤٣) — انتقاض الاعتراض فيما أجلب به عن اعتراضات العينى عليه فى شرح البخارى (٢) .

(٤٤) — تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للذهبى ضبط الأسماء بالحروف واستدرك ما فاته مما اشتمل عليه أصوله كابن ماكولا وابن نقطة (٣) .

ولو ذهبنا نحصى كل مؤلفاته لطال بنا الحديث وضاق بنا المقام وفى هذا القدر الذى أوردناه خير شاهد على علو قدره وكثرة مصنفاته وعظيم مؤلفاته التى تربو على مائة وخمسين مصنفا قد اشتهرت فى حياته بل فى زمان شيوخه وصارت بها الركبان شرقا وغربا ومع هذا كله يقول السخاوى (سمعته يقول لست راضيا عن شيئ من تصانيفى لأنى عملتها فى ابتداء الأمر ثم لم يتهيأ لى من يحررها معى سوى شرح البخارى ومقدمته ولسان الميزان والمشتبه والتهذيب) على أن أعظمها وأجلها فتح البارى ومقدمته وهذا ما سنتناوله بالبحث والدراسة فى الباب التالى ان شاء الله ..

---

(١) مطبوع حديث

(٢) مخطوط حديث

(٣) مصطلح مطبوع

((الباب الثالث))

" ابن حجر وجهوده فى صحيح البخارى "

- الفصل الاول -

تمهيد : -

سوف نتناول بالايضاح والبيان فى هذا الباب جهود " ابن حجر " فى كتاب الجامع الصحيح للامام أبى عبد الله البخارى غير أنه ينبغى لنا بل يجب علينا أن نقدم بين يدى هذه الجهود طرفا من حياة صاحب الصحيح ونبذة عن كتابه حتى يكون القارئ على بصيرة بالكتاب وصاحبه قبل الخوض والتعرض لبيان جهود ابن حجر فيه بالتفصيل فنقول

- المبحث الاول .... " (التعريف بالامام البخارى) "

هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى مولاهم امام المحدثين وشيخ حفاظ زمانه على الاطلاق أسلم المغيرة وكان مجوسيا على يد اليمان الجعفى والى بخارى فنسب اليه وكان أبوه اسماعيل من خيار الناس وعلمائهم سمع أنس بن مالك ورأى حماد بن زيد وصالح بن المبارك وحدث عن جماعة وروى عنه أنه قال عند موته " لا أعلم فى جميع مالى درهما من شبهه " (١)

ولد البخارى يوم الجمعة بعد صلاتها ثلاثة عشر من شهر شوال سنة ١٩٤ هـ (٢) ألهم حفظ الحديث فى صغره سئل البخارى كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث قال ألهمنى الله حفظ الحديث وأنا فى الكتاب قيل له وكم عمرك اذ ذاك قال عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف الى الداخلى وغيره (٣) وقد ذهب بصره فى صغره فرأت أمه فى المنام ابراهيم الخليل عليه السلام وقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو دعائك فاصبح بصيرا (٤) سمع الحديث فى سنة ٢٠٥ هـ وذلك أول العهد به وقد حببه الله اليه وأعانه على حفظه ذكاؤه المفرط ودأبه فى طلبه حتى حفظ كثيرا من تصانيف ابن المبارك وغيره .

---

(١) الخطيب البغدادى تاريخ بغداد جـ ٢ صـ ٦ ، ٤ (٢) المصدر السابق صـ ٦

(٣) السبكى طبقات الشافعيه صـ ٢١٦ (٤) المصدر السابق صـ ٢١٦

تاريخ بغداد جـ ١ م ٢ صـ ١٠

وسمع الكثير على علماء بلده مثل محمد بن سلام البيكندى ومحمد بن يوسف البيكندى وطائفه

غيرهم ثم فى سنة ٢١٠ نراه قام برحلات واسعه فى طلب الحديث الى مختلف الأمصار الاسلاميه مثل مكة وبغداد وبلخ ومصر ودمشق وغير ذلك وكتب عن شيوخ كثيرين وأئمة متوافرين (١)

قال رحمه الله كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب الا عمن قال الايمان قول وعمل (٢)

وكان لا يسمع بشيخ فى الحديث الا رحل اليه وأخذ عنه وكان آية فى الحفظ وقوة الذاكره والبصر بعلل الاسانيد ومتونها ونصته فى بغداد حين امتحنه علماؤها وقلبوا له الاسانيد والمتون وتصحيحه لها فى ساعته تدل على مبلغ حفظه وامامته فى هذا الفن (٣) وقد كافأه الله على صبره وجلده وتحمله المشاق فى سبيل السنه باقبال الناس عليه واشادتهم بذكره وفضله قال محمود بن النضر الشافعى " دخلت البصره والشام والحجاز والكوفه ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم (٤) " وقال يعقوب بن ابراهيم الدورقى محمد بن اسماعيل فقيه هذه الامه (٥) وقال أبو عيسى الترمذى " لم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل (٦) " وبعد حوار جرى بين مسلم وبينه قال له مسلم " لا يبغضنك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك (٧) " .

وقبل بين عينيه وقال " دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الاستاذين وسند المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله (*) " ولقد كان رحمه الله تقياً سنياً ورعاً عف اللسان والقلم معالم يغتب أحدا يشهد لذلك كلامه فى الجرح والتعديل فانه ابلغ ما يقول فى الرجل المتروك فيه نظر أو سكتوا عنه ولا يكاد يقول فلان كذاب أو فلان يضع الحديث (٨) وحينما وقعت الفتنه واشتدت المحنة فى مسألة خلق القرآن رجع من بغداد الى بلده بخارى وهو الذى قد فارقها ولا يزال فى الخامسه عشر من عمره فتلقاه أهلها فى تجمل عظيم ومقدم كريم وبقى بها مدة يحدثهم فى مسجده الى أن ارسل اليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلى يتلطف معه ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به فى قصره فامتنع البخارى من ذلك وقال بلهجة العالم الواثق من ربه وعلمه ونفسه " انا لا اذل العلم ولا احمله الى ابواب الناس فان كانت لك الى شيء منه حاجة فاحضرنى فى مسجدى أوفى دارى وان

(١) طبقات الشافعيه السبكى ص ٢١٣
(٢) بن العماد شذرات ج ٢ ص ١٣١
(٣) بن خلكان وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣٢٩
(٤) بن حجر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٥١
(٥) نفس المصدر السابق والصفحه .
(٦) تاريخ بغداد ص ٢٧ ج ١ م ٢
(٧) طبقات الشافعيه ج ٢ ص ٢٢٣
(٨) المصدر السابق ص ٢٢٤ .

لم يجبك فامنعني من المجلس ليكون لي عند الله عذر يوم القيامه لأني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم " من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار فكانت هذه سبب الوحشه بينهما ولم يسمع خالد بن محمد أمير البلاد الا مكايدته واستعان على ذلك ببعض علماء بخارى وزعموا أنه يتكلم في مسألة خلق القرآن واتخذوا من ذلك ذريعه حتى أخرجوه من بخارى(١) ولما علم أهل سمرقند بذلك كتبوا اليه يتقدمون اليهم في وجهه شطر بلدهم فلما كان بقرية خرتنك وهي على بعد فرسخين من سمرقند بلغه أنه أهل سمرقند وقع بينهم بسببه فتنه فبعضهم يريدون دخوله وآخرون يكرهونه كذلك جاء رسول الى سمرقند يأمرهم باخراجه منها عند ذلك عظم عليه الخطب واشتد عليه الامر فدعا الله بكيد حزين وقلب محزون وقال " اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني اليك " فاستجاب الله له ومات في ذلك الشهر ليلة عيد الفطر من سنة ٢٥٦ ودفن من الغير وحدثت له كرامات توحي بأن الله قد رفع له ذكره وجعل له لسان صدق في الآخرين وقد ورث أبو عبد الله المكتبه الاسلاميه مؤلفات(٢) جمه مثل التاريخ الكبير والأدب المفرد والجامع الصحيح وغير ذلك كثير وكلها تشهد له بسعة الاطلاع وغزارة العلم والامانه فيه

* * *

— المبحث الثاني —

— كتاب الجامع الصحيح — وفيه عدة أمور

الأمر الأول : البواعث على تأليفه وطريقة البخاري في التأليف .

تمهيد : =

لقد انتشرت الفتوحات واستعت رقعة الدوله الاسلاميه وتبعا لذلك تفرق كثير من الصحابه في المدن والامصار وكثير منهم بلغ كتابتا جله(٣) كذلك شاعت البدع والاهواء وشبه منكري القدر حينذاك فلما افضت الخلافه الى الامام العادل عمر ابن عبد العزيز الهمه

(١) تاريخ بغداد ص ٣٣ .

(٢) السبكي طبقات الشافعيه ص ٢٣٢

(٣) لقد كان الصحابه يعتمدون في حفظ السنه على سيلان قرائحهم ولم تكن هناك كتب للسنه الا صحيفه عبد الله بن عمرو وصحيفه علي أبي طالب وبعض صحف كانت عند ابي هريره .

الله والتقى فى ورعه بما يحفظ لهذه الامة دينها وسنه نبيها فكتب الى عماله بسائر المدن ومختلف الامصار أن يجمعوا ما عندهم من حديث للرسول صلى الله عليه وسلم وسنه ماضيه وتم له ذلك على يد امام الائمه محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وتوفرت جهود العلماء بعده على تدوين السنه وجمعها وكانت طريقتهم فى ذلك أنهم يجمعون أحاديث كل باب على حده فمثلا احاديث الصلاة يجمعونها فى باب وكذلك احاديث الصيام والزكاه ..... الخ .

ثم جاء بعد هؤلاء قوم نظروا فى السنه والاحاديث وأخذ كل منهم ما يروقه وصنف على حسب ما يراه وهنا تنوعت طريقتهم فى التصنيف والتأليف فبعضهم صنف فى الأحكام أعنى الفقه — وجمع احاديثها وكل ما يتصل بها من أقوال الصحابه وفتاوى التابعين كالامام مالك رضى الله عنه فى كتابه الموطأ وآخرون صنفوا فى التفسير كابن جريج وغيرهم صنف فى السير كابن اسحاق كما صنف قوم فى الزهد والرقاق كابن المبارك وينتظم هؤلاء جميعا أنهم لم يفرقوا بين أحاديث الرسول وغيرها ولم يجردوها من أقوال الصحابه وفتاوى التابعين ، وعلى رأس المئتين ظهرت طائفة من العلماء جردوا فى مصنفاتهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عما سواها لكنهم لم يميزوا بين صحيحها وحسنها وضعيفها بل جمعوا كل ذلك فى مصنف واحد وكانت طريقتهم فى التصنيف اما على المسانيد بأن يجمعوا احاديث كل صحابى وان اختلفت اغراضها واهدافها فى باب واحد وذلك كمسند الامام احمد بن حنبل واما على المسانيد والابواب كمسند ابى بكر بن أبى شيبه (٢) هذه هى طرق العلماء فى التصنيف وتلك جهودهم فى السنه قبل البخارى فما جهوده وما طريقته والجواب عن ذلك فى الصفحات التاليه .

نظر البخارى فى دواوين السنه ومصنفاتها قبله فوجدها تشمل الصحيح والحسن والضعيف من الاحاديث لا يستطيع الناظر فيها أن يميز بين الصحيح وغيره الا اذا كان من اهل الفن والمشتغلين به .

كما رأى أنها غير منسقه ولا مرتبه ولا مبوبه وبذلك يتعذر على طالب الحديث أن يكشف منه

---

(١) الخطيب البغدادى تقييد العلم ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ابن حجر مقدمه الفتح ص ١٧ ، ١٨ — القسطلانى المقدمه ص ٩ ، ١٠ .

يعرف درجته من الصحه أوغيرها كما يعسر عليه أيضا أن يستنبط منها الاحكام الشرعيه لأن أحاديثها مفرقه فى صفحات الدواوين مبعثره فى بطونها اذ لم يكن يقصد بهذه الدواوين الا جمع الاحاديث وحفظها على الامة ولاشيء وراء ذلك يضاف الى ذلك أنه رأى أن رواه الاحاديث قد أهملوا فقهها وما تدل عليه ألفاظها من الفوائد والمعانى ولم يشغلوا أنفسهم الا بحفظها وروايتها فقط وبجانب هذا وذاك فانه قد سمع مرة من استاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه يقول لتلاميذه لوجمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخارى فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح (١) وروى عن محمد ابن سليمان بن فارس قال سمعت البخارى يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكأننى واقف بين يديه وبيدى مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لى أنت تذب عنه الكذب فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح (٢) فحركت هذه العوامل مجتمعه همته العاليه وأخذ فى جمع طائفه من الأحاديث التى صحت أسانيدها وسلمت متونها من العلل ورتبها على أبواب الفقه والتفسير والسير والرقاق وغير ذلك .

الأمر الثانى

موضوع الجامع الصحيح

لم يخرج أبوعبد الله فى صحيحه الا حديثا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجه تحفظه بالسند المتصل الذى تتوفر فى رجاله العداله والضبط وقد خرجه من ستمائه الف حديث واستغرق تصنيفه ستة عشر عاما وما وضع فيه حديثا الا اغتسل قبله وصلى ركعتين ولما فرغ من تأليفه عرضه على الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة الا أربعة أحاديث قال العقيلى والقول فيها قول البخارى وهى صحيحه (٣) كما وأن البخارى لم يستوعب جميع الاحاديث الصحيحه فى كتابه ولا التزم ذلك ابن الصلاح (٤) .

روى الاسماعيلى أن البخارى قال لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح

---

(١) أبو بكر الحازمى شروط الائمه ص٤٤
(٢) ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٣٤
(٣) ابن حجر مقدمه فتح البارى ص١٨ ، ١٩ ابن خلكان الوفيات جـ ٣ ص ٣٢٩ .
(٤) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص٨ النووى التقريب ص ٣

أكثر وقال ما ادخلت فى كتابى الجامع الا ماصح وتركت من الصحاح لملال الطول (١) وقال أيضا احفظ (٢) مائة الف حديث صحيح ومائتى الف حديث غير صحيح (٣) ٠

الأمــــر الثالـــث

عدد احاديث الجامع الصحيح ومايتعلق به

قال النووى فى التقريب تبعا لابن الصلاح " وجمله مافى البخارى سبعه الاف ومائتـــان وخمسه وسبعون حديثا بالمكرره وبحذف المكرر اربعة الاف " (٤) وابن حجر فى مقدمته تعقـــب ذلك وحرره بابا بابا وسيأتى ذلك مفصلا فى مبحث خاص عند الكلام على جهود ابن حجـــر فى كتاب الصحيح هذا عدا المتابعات والمعلقات والموقوفات وانما جمع فى صحيحه هذه الانواع وان لم تكن من موضوع الكتاب لانه قصد بها الاستئناس والاستشهاد لما ذهب اليه فحسـب ولذلك غاير فى سياقها لتمتاز وقد ذكر ابن حجر ان فيه من المتون المعلقه المرفوعه الـــتى لم يصلها فى موضع آخر مائة وتسعه وخمسون حديثا (٥) وفيه من المتابعات والتنبيه علـــى اختلاف الروايات ثلاثة آلاف واربع مائة واربعون حديثا وقد انتقده الحفاظ فى عشرة احاديث ومائة منها ماوافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا ومنها ماانفرد بتخريجـــه وهو ثمانية وسبعون حديثا قال ابن حجر فى مقدمته " وليست عللها كلها قادحه بـــل اكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليســـير منه فى الجواب عنه تعسف " ومن راجع الاحاديث التى انتقدت وطالع النقد الـــذى وجه اليها وجد أن هذا النقد لايمس جوهر الصحيح وانما هو نقد شكلى ناشئ عـــن شدة حذر العلماء ويقظتهم وقد بسط القول فيها ابن حجر فى مقدمته وسوف نذكر أمثلـــه يتضح منها أن هذا النقد لايعارض الصحيح عندما نتحدث عن جهود ابن حجر فى كتـــاب الصحيح ، وفيه اثنان وعشرون حديثا عاليا رفيعا ثلاثى الاسناد (٥) كقوله حدثنا المكى بـــن ابراهيم حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الاكوع رض الله عنه قال : بايعت النـــبى صلى الله عليه وسلم ثم عدلت الى ظل شجره فلما خف الناس قال يابن الاكوع الا يتابع الحديث (٦)

الكرمانى المقدمة

---

(١) الحازمى شروط الائمة الخمسه ص٤٣ ابن حجر مقدمه الفتح ص١٨
(٢) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص٨
(٣) نفس المصدر السابق والصفحه ٠
(٤) النووى التقريب ص ٣ ٣
(٥) كقوله فى كتاب الايمان فى باب حسن اسلام المرء ٠٠ قال مالك أخبرنى زيد بن اسلم أن عطاء ابن يسار أخبره أن اباسعيد الخدرى اخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اذا أسلم العبد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئه الحديث ٠٠
(٦) كتاب الجهاد باب البيعه فى الحرب

وكقوله حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمه بن الاكوع قال النبي صلى الله عليه وسلم " من ضحى فلا يصبحن بعد ثالثه وبقى في بيته منه شيء " الحديث (١) .

وعدد كتب الجامع مائة وشيء — أي عدد قوله كتاب كذا كتاب كذا مثل كتاب الايمان كتاب العلم الخ ومن شفوف نظر البخاري أنه ختم كل كتاب من هذه الكتب في الغالب بما يدل على انتهائه والفراغ منه يقول ابن حجر " انه يعتني غالبا بأن يكون في الحديث الاخير من كل كتاب من كتب هذا الجامع مناسبه لختمه ولو كانت الكلمه في أثناء الحديث الأخير أو من الكلام عليه كقوله في آخر حديث بدء الوحي فكان ذلك آخر شأن هرقل وقوله في آخر كتاب الايمان ثم استغفر ونزل وفي كتاب العلم وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين — وفي آخر كتاب الوضوء واجعلهن آخر ما تكلم به ٠٠٠٠٠ الخ (٢) .

وعدد الأبواب ثلاثة آلاف وأربعمائه وخمسون بابا مع اختلاف قليل في نسخ الاصول

وعدد مشايخه الذين خرج عنهم مائتان وتسعة وثمانون .

وعدد من تفرد بالروايه عنهم دون مسلم مائه وأربعة وثلاثون وقد ضعف الحفاظ من رجال الصحيح نحو الثمانين ولكن اكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم فهو بهم وبأحوالهم أعرف ولهم أخبر (٣) .

وقد اختلف العلماء فيما بينهم هل يفيد القطع بصحة ما فيه من الحديث ، فجزم ابن الصلاح في مقدمته بحصول القطع وخالفه النووي فقال أنه لايفيد الا الظن ولو بلغ أعلى درجه في الصحه وهو مذهب الجمهور ٠٠٠٠٠٠

— عدد رواة الجامع الصحيح —

لقد سمع من البخاري كتابه الجامع ورواه عنه نحوا من تسعين الف انسان منهم كثير من ائمة الحديث كمسلم وأبي زرعه والترمذي وابن خزيمة ومن اشهرهم ابراهيم بن معقل النسفي المتوفى سنة ٢٩٤ هـ .

وأبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري المتوفى سنة ٣٢٠ هـ

---

(١) كتاب الاضاحي باب ما يؤكل من لحوم الاضاحي .
(٢) ابن حجر فتح الباري نهاية الجزء الاخير وخاتمته .
(٣) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص ٧ ، النووي التقريب ص ٣ .

وابراهيم بن محمد بن على بن مزينه المتوفى سنة ٣٢٩ هـ .

وهو آخر من حدث عن البخارى بصحيحه كما جزم بذلك ابن حجر فى مقدمته ولا يفوتنا أن نشير الى أن البخارى هو أول من ألف فى الصحيح وتبعه مسلم بن الحجاج [1] .

— الامـر الرابـع —

منزلة الجامع الصحيح بين كتب السنه

لقد اتفق العلماء على أن كتاب الجامع الصحيح أجل كتب السنه على الاطلاق يشهد لذلك ما روى عن ابى عبد الرحمن النسائى أنه قال " ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل قال الحافظ ابن حجر والنسائى لا يعنى بالجوده الا جودة الاسانيد كما هو التبادر الى الفهم من اصطلاح أهل الحديث ومثل هذا من النسائى غاية فى الوصف مع شدة تحريه وتوقيه وتثبته فى نقد الرجال وتقدمه فى ذلك على أهل عصره وقال الاسماعيلى فى المدخل أما بعد فانى نظرت فى كتاب الجامع الذى الفه أبو عبد الله البخارى فرأيته جامعا لكثير من السنه (الصحيحه ودالا على جمل من المعانى الحسنه المستنبطه التى لا يكمل لمثلها الا من جمع الى معرفة الحديث ونقلته والعلم بالروايات وعللها علما بالفقه واللغه وتمكنا منها وتبحرا فيها [2] " وقال الذهبى فى تاريخ الاسلام واما جامع البخارى الصحيح فاجل كتب الاسلام وافضلها بعد كتاب الله تعالى فلو رحل الشخص لسماعه من الف فرسخ لما ضاعت رحلته .

وكفى بشهادة أهل الفن وجها بذته على جلالته وافضليته على سائر الكتب من شهاده وحيث كان كتاب الجامع بهذه المنزله فقد اتجهت انظار العلماء اليه وتوفرت جهودهم عليه وستقدم فى المبحث التالى نبذه مختصره عن هذه الجهود .

المبحث الثالث

نبذه مختصرة عن جهود العلماء حول الجامع الصحيح

لم يعتن علماء المسلمين بشئ بعد كتاب الله تعالى عنايتهم بالجامع الصحيح فلقد اتجهت

---

(١) ابن الصلاح مقدمه علوم الحديث ص ٧ ، النووى التقريب ص ٣ .

(٢) ابن حجر المقدمه ص ٢٢ .

أنظارهم اليه وتوفرت جهودهم عليه وتناولوه بحثا ودراسه منذ أمد بعيد حتى بلغ عدد

الذين كتبوا حوله ما بين شرح واختصار وترجمه رجال حد الكثره .

فمن المؤلفين فى رجاله الامام أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن الكلاباذى المتوفى

سنة ٤٧٤ هـ ألف كتابه الجرح والتعديل لرجال البخارى والحافظ أبو على حسين بن احمد

الغسانى الجيانى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ألف كتابه تقييد المهمل ضبط فيه كل لفظ

يقع فيه اللبس من كتاب الصحيحين وأبو نصر بن ماكولا أول تراجم رجاله فى كتابه الاكمال

وكذلك ابن الأثير فى كتابه جامع الاصول والذهبى فى ميزان الاعتدال والمزى فى تهذيب

الكمال كما أن من مختصرات الجامع الصحيح مختصر الشيخ جمال الدين أبى العباس

أحمد بن عمر الانصارى القرطبى المتوفى بالاسكندريه سنة ٦٥٦ هـ ومختصر الامام زين الدين أحمد بـ

ابن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى الزبيدى المتوفى سنة ٨٩٣ هـ جرد فيه احاديثه وسماه

التجريد الصحيح لاحاديث الجامع الصحيح وحذف فيه ما تكرر وجمع ما تفرق فى الابواب

لان الانسان اذا اراد أن ينظر فى الحديث لا يكاد يهتدى اليه الا بعد جهد فجرده

من غير تكرار محذوف الاسانيد ولم يذكر الا ما كان مسندا متصلا فرغ من تأليفه سنة ٨٨٩

هـ ومن الشيوخ من كتب فى مناسبات تراجمه وأبان أن البخارى لم يرتبه على ما هو عليه

عفوا وعن غير قصد بل كان ذلك عن ثقوب فكر وعمق نظر حتى جاء الكتاب وحدة

متكامله متناسقا متماسكا ليس فيه تنافر بين أبوابه ولا احاديثه فما تكاد تفرغ من باب

الا لتدخل فى باب آخر دون أن تحس أى انقطاع أو انفصال أو تلمس أى غرابه أو نفور وأشهر

مصنف فى ذلك هو مناسبات تراجم أبواب البخارى لشيخ الإسلام عمر البلقينى كما وأنه أول

مؤلف فى بابه قال فيه بعد المقدمه (بدأ البخارى ببدء الوحى الذى هو منبع الخيرات

وترجم بقوله باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى

انا اوحينا اليك الايات وكان الوحى أولا بما يقتضى الايمان بالرب جل جلاله وخالق الخلق

العليم بكل شىء فذكر بعده كتاب الايمان وكان الايمان اشرف المعرفه والعلوم فاعقبه

بكتاب العلم وبعد العلم يكون العمل وافضل اعمال المؤمن الصلاه بعد الايمان ولا يتوصل

اليها الا بالطهاره فاعقب الايمان بكتاب الطهاره ثم كتاب الصلاه ثم الزكاه الخ على

نسبة ما جاء فى حديث بنى الاسلام على خمس وسار على هذا النمط البديع الى آخر الكتاب ومن هذا يتضح لك أن المصنف قد أبان وأعرب عن وجهة نظر البخارى فى ترتيب الكتب والابواب التى اشتمل عليها الجامع الصحيح ومنهم من تناوله بالشرح والايضاح كالخطابى وابن بطال وغيرهم كثير وسيأتى تفصيل ذلك فى مبحث خاص عند الحديث على شرح ابن حجر فى (الباب الرابع) ان شاء الله ومع كون هذه الجهود التى قام بها العلماء حول كتاب الجامع الصحيح مشكورة فانه يمكن أن توصف بأنها غير شاملة حيث لم يحط العلماء بالكتاب من كل جوانبه ولم يتناولوه من جميع زواياه بل فاتهم منه الكثير وقد لمح ابن حجر ما تركه العلماء قبله فبذل فيه جهده واوضحه ايما ايضاح وبذلك يعد رائد العلماء فى الجوانب التى تناولها وغفل وتركها من قبله وذلك مثل تعليق تعاليق البخارى ، شرح تراجم أبوابه وتنويعها ، تحقيقه للاحاديث التى انتقدها بعض الحفاظ عليه واعرابه عن صحة نظر البخارى وصواب ما ذهب اليه ، مخالفته للعلماء السابقين فى عدد أحاديث الجامع الصحيح ، يضاف الى هذا أنه لم يفته أن يدلى بدلوه فيما كتب فيه العلماء قبل فالف فى رجاله وضبط غريبه وشرحه شرحا وافيا اضافيا وسوف نتحدث عن هذه الجهود فى الفصلين القادمين فالى هناك .

" الفصل الثاني "

— وفيه عدة مباحث —

المبحث الاول تعليق تعاليق الصحيح وموقفه منها

تمهيد

سبق أن أشرنا فى الباب الثانى الى أن ابن حجر قد القى الله عليه محبة فن الحديث وهو لا يزال حدثا فعكف على دراسته بمختلف انواعه وكل فروعه ، وشغف بكتب السنة ودواوينها الكبار فأولاها عناية خاصة وأخذ ينهل من معينها الذى لا ينضب ويرتشف من رحيقها الذى لا يجف خصوصا صحيح البخارى فانه قد توفر على قراءته ودراسته

وفرغ منه ومن كل ما كتب حوله يتجلى ذلك واضحا فى قصيدته التى أنشدها سنة ٧٩٨ هـ فى مدح النبى ويذكر فيها صحيح البخارى .

لو أن عزالى لوجهة أسلمـــوا ... لرجوت أنى فى المحبة أسلـم

وقال فيها منوها بالصحيح

وأصح كتبهم على المشهور مـا ... جمع البخارى أن ذاك معظـم

وتلاه مسلم الذى خضعت لـه ... فى الحفظ أعناق الرجال وسلموا

فهما أصح الكتب فيما يجتلـى ... الا كتاب الله فهو مقـدم

قل للمخالف لا تعاند أنـه ... لا شك فى فضل البخارى مسلـم

رسم المصنف بالصحيح فكل ذى ... عقل غدا طوعا لما هو يرسـم

هذا يفوق بنقده وبفقهـه ... لاسيما التبويب حين يترجـم

وأبو الحسين بجمعه وبسـرده ... فالجمع بينهما الطريق الأقـوم (١)

ولم يقف به الأمر عند حد الاستيعاب للصحيح ولكل ما كتب حوله بل تخطى ذلك وبذل فيه جهودا موفوره ومشكوره نذكرها واحدا تلو الآخر بادئين بتعاليق الصحيح وهو المبحث الذى نحن بصدده وفيه عدة أمور - الأول تعريف التعليق - الثانى صيغ التعليق - الثالـث أنواع المعلقات وأحكامها والأسباب التى دعت البخارى الى ايراد التعليقات فى صحيحـه - الرابع وصل هذه التعاليق - فلنبدأ فى توضيح هذه الأمور على الترتيب المذكور فنقول -

أولا تعريف التعليق .

هو أن يحذف من أول الاسناد رجل فصاعدا معبرا بصيغة لا تقتضى التصريح بالسماع مثل قال وروى أو يروى ويذكر وما اشبه ذلك . (٢)

وكأنه مأخوذ من تعليق الجدار وتعليق الطلاق ونحوه لما يشترك فيه الجميع من قطع الاتصال (٣) غير أن ابن حجر يرى " أن أخذه من تعليق الجدار فيه بعد وأما أخذه من تعليق الطلاق وغيره فهو أقرب للتسميه لأنهما معنويان . (٤)

---

(١) ديوان ابن حجر ص ١٢/١/٦١ ، ٦/ ب (٢) ابن الصلاح المقدمه ص ٣٠ ابن حجر التعليق ص ٢
(٣) ابن الصلاح المقدمه ص ٣١ (٤) ابن حجر التعليق ص ٣ .

ثانيا ـ صيغ التعليق ...

وأما صيغ التعليق التي أوردها البخاري في صحيحه فهي نوعان .....

الأولى : تفيد القطع وتقتضي الجزم بصحة الحديث المعلق الى من علقه عنه البخاري مثل قال وفعل وذكر وأمر ولها حكم الصحيح .

الثانيه ... لا تقتضي الجزم بصحة الحديث المعلق الى من علقه عنه مثل يروى ويذكر وتسمى صيغ التمريض وهذه لا تفيد الصحة بل يتوقف فيها وسيأتي مزيد لذلك بعد قليل .(٢)

ثالثا : أنواع المعلقات وما دعا البخاري الى ايرادها في صحيحه .(٣)

على أن الاحاديث المعلقة التي أوردها البخاري في صحيحه نوعان

الأول : أحاديث مرفوعه ويقصد بها ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : أحاديث موقوفه ويقصد فيها ما أضيف الى الصحابه والتابعين .

فأما النوع الأول وهو الحديث المرفوع فله حالتان .

فتاره يذكره موصولا في مكان آخر غير المكان الذي علقه فيه وتاره لا يذكره الا معلقا فالحالـه الأولى : وهو أن يذكره في مكان ثم يذكره معلقا في مكان آخر لا يتصرف البخاري على هـذا النمط الا اذا كان هناك سبب يراه وعلة تقتضي هذا التعليق وذلك حيث يضيق به مخرج الحديث انا أنه لا يكرر الا لفائده فمتى ضاق المخرج واشتمل المتن على أحكام واحتاج الى تكريره يتصرف في الاسناد بالاختصار خوف التطويل .

الحالة الثانيه : هو أن لا يذكره الا معلقا وله صورتان .

الصوره الأولى : أن يذكره بصيغة الجزم مثل قال فيستفاد منها الصحة الى من علق عنـه وجوبا لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث فاما أن يكون ثقة وهو ما يلتحـق بشرطه ، أولا . وهو ما لا يلتحق بشرطه .

أما النوع الأول : وهو ما يلتحق بشرطه فتتلخص أسباب تعليقه له فيما يأتي :ـ

أولا : اما لكونه اخرج ما يقوم مقامه فاستغنى عن ايراده مستوفى السياق ولم يهمله بل أورده معلقا اختصارا .(١)

---

(١) أورد البخاري في كتاب الايمان في باب حسن اسلام المرء ـ هذا الحديث المعلق الذي لم يصله في مكان آخر قال مالك أخبرني زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار اخبره ان ابا سعيد الخدري اخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اسلم العبد فحسن اسلامه الحديث ولكنه اخرج في الباب أيضا ما يقوم مقامه من الاحاديث الموصوله وهو حديث أبي هريره اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنه يعملها تكتب له بعشر امثالها الحديث فاستغنى بالحديث الموصول عن ايراد هذا التعليق مستوفى السياق اختصارا .

(٢) النووي التقريب ص٤ .   (٣) القسطلاني المقدمه ص ٩ ، ١٠٠ مقدمة الفتح ص ١٤

ثانيا : واما لكونه لم يحصل عنده مسموعا أوسمعه وشك فى سماعه له من شيخه أوسمعه مذاكرة فما رأى ·أنه يسوقه مساق الاصل وغالب هذا فيما أورده عن مشايخة فمن ذلك على سبيل المثال أنه قال فى كتاب الوكالة قال عثمان بن الهيثم حدثنا عوف حدثنا محمد ابن سيرين عن أبى هريره رضى الله عنه قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة رمضان الحديث بطوله وأورده فى مواضع أخر منها فى فضائل القرآن وفى ذكر ابليس ولم يقل فى موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر أنه لم يسمعه منه وقد استعمل البخارى هذه الصيغه وهى قال فيما لم يسمعه من مشايخة فى عدة أحاديث فيوردها عنهم بصيغة قال فلان ثم يوردها فى موضع آخر بواسطة بينه وبينهم فعلى سبيل التمثيل أنه قال فى التاريخ الكبير قال ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف فذكر حديثا ثم قال حدثونى بهذا عن ابراهيم ولكن ليس ذلك مطردا فى كل ما أورده بهذه الصيغة على أنه سمعه من شيوخه ولا يلزم من ذلك أن يكون مدلسا عنهم فقد صرح الخطيب وغيره بأن لفظ قال لا يحمل على السماع الا عمن عرف من عادته أنه لا يطلق ذلك الا فيما سمع فاقتضى ذلك أن من لم يعرف ذلك من عادته كان الامر فيه على الاحتمال ·(١)

النوع الثانى

أنه أراد أن لا يسوقه مساق الأصل ليمتاز عنه

مالا يلتحق بشرطه والسبب فى تعليقه ايام واضح وهو كونه على غير شرطه ومع هذا فقد يكون صحيحا على شرط غيره(٢) كقوله فى كتاب الطهاره وقالت عائشه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه(٢) فانه حديث صحيح على شرط مسلم اخرجه فى صحيحه وقد يكون حسنا(٤) صالحا للحجه كقوله ايضا فى كتاب الطهاره وقال بهز بن حكيم عن ابيه عن جده والله احق أن يستحى منه من الناس فانه حديث حسن مشهور عن بهز أخرجه أصحاب السنن وقد يكون ضعيفا(٥) لا من جهه قدح فى رجاله بل من جهة انقطاع يسير فى اسناده كقوله فى كتاب الزكاه وقال طاوس قال معاذ بن جبل لاهل اليمن ايتونى بعرض ثياب خميص أولبيس فى الصدقة مكان الشعير والذره أهون عليكم وخير لأصحاب محمد صلى الله

(١) مقدمة الفتح ص ١٤
(٢) مقدمة الفتح ص ١٤
(٣) الحديث الصحيح ما اتصل سنده بعدول ضابطين بلا شذوذ ولا علة خفية قادحة
(٤) الحديث الحسن ما اشتهر رجاله [illegible] بالاتصال
(٥) الحديث الضعيف ما قصر عن درجة الصحيح وتتفاوت مراتبه فى الضعف بحسب بعده عن شروط الصحة

عليه وسلم فان اسناده الى طاوس صحيح الا أن طاوسا لم يسمع من معاذ (١) — الصوره الثانيه أن يذكر الحديث المعلق بصيغة التعريض مثل يذكر ويروى وهذه لا يستفاد منها بالصحة الى من علق عنه والحديث المعلق بصيغة التمريض نوعان صحيح وغير صحيح ٠

فالنوع الاول وهو الصحيح لم يوجد فيه ولا من يتحه ماهو على شرط المصنف الا مواضع يسيره جدا وقد راى المصنف فى هذه المواضع اليسيره التى يكون فيهـــا الحديث على شرطه أن لا يأتى بصيغه التعريض ويذكر الا حيث يورد ذلك الحديث المعلق بالمعنى من حفظه ولم يجزم به ويكون مسندا فى مكان آخر كقوله فى كتاب الطب ويذكـــر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرقى بفاتحة الكتاب فانه قد أسند الحديث فـــى موضع من طريق عبيد بن الاخنس عن ابن أبى مليكه عن ابن عباس أن نفرا من اصحاب النـــبى صلى الله عليه وسلم مروا بحى فيه لديغ فذكر الحديث فى رقيتهم للرجل بفاتحة الكتـــاب وأورده كذلك بالمعنى ولذلك لم يجزم به اذ ليس فى الموصول انه صلى الله عليه وسلـــم ذكر الرقيه بفاتحة الكتاب انما فيه أنه لم ينههم عن فعله فاستفيد من ذلك تقريره وقـــد يذكر الحديث معلقا بصيغة التعريض واختصارا وتحفظا مع كونه مسندا فى مكان آخـــر كقوله فى باب وجوب الصلاة فى الثياب من كتاب الصلاه — ويذكر عن سلمة بن الاكوع أن — النبى صلى الله عليه وسلم قال يزره ولو بشوكه فى اسناده نظر فهذا الحديث قد وصلـــه المصنف فى تاريخه وأبو داود وابن خزيمه وابن حبان واللفظ له من طريق الدراوردى عن موسى بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعه عن سلمه بن الاكوع قال قلت يارسول الله انى رجل أتصيد أفاصلى فى القميص الواحد قال نعم زره ولو بشوكه ورواه البخارى ايضا عن اسماعيل بن أبى أويس عن أبيه عن موسى بن ابراهيم عن ابيه عن سلمه زاد فى الاسناد رجلا ورواه ايضا عن مالك ابن اسماعيل عن عطاف بن خالد قال حدثنا موسى بن ابراهيم قال حدثنا سلمه فصرح بالتحديث بين موسى وسلمه فاحتمل أن يكون رواية ابن ابى اويس من المزيد فى متصل الاسانيد أو يكون التصريح بالتحديث فى رواية عطاف وهما فهذا وجه النظر (٢) ٠

---

(١) فتح البارى ج ١ أبواب ستره المصلى ٠

(١) مقدمة فتح البارى ج ١ ص ١٥ ص ٢٩٦

(٢) مقدمة الفتح ج ١ ص ١٥

فى اسناده " فتح الباري " ولذلك علقه اختصارا واحتياطا فاما اذا اورد الحديث معلقا بصيغة التعريض ولم يسنده فى موضع آخر فللحديث حينئذ حالات.

أما صحيح الا أنه ليس على شرطه كقوله فى باب الجمع بين السورتين فى ركعه من كتاب الصلاه ويذكر عن عبد الله بن السائب قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنون فى صلاة الصبح حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع وهو حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه فى صحيحه (١) من طريق ابن جريج قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول أخبرنى أبو سلمه ابن سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن المسيب العابدى كلهم عن عبد الله بن السائب قال صلى لنا النبى صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح بسوره المؤمنون حتى جاء ذكر موسى وهارون الحديث واختلف فى اسناده على ابن جريج فقال ابن عيينه عنه عن ابن ابى مليكه عن عبد الله بن السائب اخرجه ابن ماجه وقال أبو عاصم عنه عن محمد بن عباد عن أبى سلمه بن سفيان أو سفيان بن أبى سلمه وكأن البخارى علقه بصيغة ويذكر لهذا الاختلاف مع أن اسناده مما تقوم به الحجه أ هـ من مقدمه الفتح ومن الفتح. (٢)

واما حسن كقوله فى البيوع ويذكر عن عثمان بن عفان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :- اذا بعت فاكتل .... وهذا الحديث قد رواه الدارقطنى من طريق عبد الله بن المغيره وهو صدوق عن منقذ مولى عثمان وقد وثق عن عثمان وتابعه عليه سعيد بن المسيب ومن طريقه أخرجه أحمد فى المسند الا أن فى اسناده ابن لهيعه ورواه ابن أبى شيبه فى مصنفه من حديث عطاء عن عثمان وفيه انقطاع فالحديث حسن الى ما تقدم من ذلك. (٣)

واما ضعيف فرد الا أن العمل على موافقته كقوله فى الوصايا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدين قبل الوصيه وقد رواه الترمزى موصولا من حديث أبى اسحاق السبيعى عن الحارث الاعور عن على والحارث ضعيف وقد استغربه الترمزى ثم حكى اجماع اهل العلم على القول به. (٤)

(١) مقدمه الفتح ص ١٥
(٢) فتح الباري ج ٢
(٣) مقدمه الفتح ص ١٦
(٤) مقدمه الفتح ص ١٦

ـ اما ضعيف فرد لا جابر له وهو فى البخارى قليل جدا وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف بالتضعيف بخلاف ما قبله ومثاله قوله فى كتاب الصلاه ويذكر عن ابى هريره رفعه لا يتطوع الامام فى مكانه ولم يصح وهو حديث أخرجه أبوداود عن طريق ليث بن أبى سليم ضعيف وشيخ شيخه لا يعرف وقد اختلف عليه فيه وبعد فهذا تفصيل وبيان حكم ما فى البخارى من التعاليق المرفوعه بصيغتى الجزم والتمريض وما دعاه الى التعليق وقد اتضح أن جميع ما فيه صحيح باعتبار أنه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا .(١)

النوع الثانى من أنواع المعلقات الاحاديث والاثار الموقوفه ـ هذا النوع من الاحاديث تارة يذكره البخارى فى التراجم والابواب وهذا هو الغالب وتارة اخرى يذكره فى الشواهد والمتابعات وهى ليست من موضوع كتابه وانما يذكرها على سبيل الاستشهاد والاستئناس والتقويه لما يختاره من المذاهب فى المسائل التى فيها الخلاف بين الائمه وحيث ساقها فحكمها أنه لا يجزم فيها الا بما صح عنده ولم لم يكن على شرطه ولا يجزم بها فى اسناده ضعف أو انقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمجيئه من وجه اخر واما بشهرته عمن قاله أ . هـ (٢) بقى علينا فى هذا البحث أن نذكر أمثله لتعليق ابن حجر لهذه التعاليق وهذا ما سنتناوله فى الصفحات القليله القادمه .

وصل تعاليق الصحيح

تمهيد

لم يشر العلماء المتقدمون على ابن حجر فى تصانيفهم الى غير معنى التعليق وصيغة ولم يتجاوزوا هذا الحد ، أما ابن حجر فقد تعرض لذلك واوضحه ايما ايضاح وزاد عليه بل واضاف اليه جديدا ـ أنه بين أنواع المعلقات الموجوده فى الصحيح واحكامها والاسباب التى حملت البخارى وأدت به الى تعليق هذه الاحاديث وقد بينا ذلك كما كان له لمحه طيبه أخرى فى الصحيح لم يسبقه اليها سابق ولم يدركه فيها لاحق وهو أنه وصل هذه التعاليق الى من علقه عنه البخارى يقول ابن حجر نفسه مبينا السبب الذى حمله على القيام بهذا العمل العلمى الضخم

---

(١) مقدمه فتح البارى . ص ١٦ (٢) من مقدمه الفتح بتصرف . ص ١٦

وأنه لم يسبقه اليه أحد " ولما كان كتاب الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه قد اختص بالمرتبه العليا ووصف بأنه لا يوجد بعد كتاب الله مصنف أصح منه فى الدنيا " وبين الاسباب فى ذلك ثم قال وتأملت مايحتاج اليه طالب من شرح فوجدته ينحصر فى ثلاثة أقسام من غير رابع

الاول : فى شرح غريب الفاظه وضبطها واعرابها .

الثانى : فى فقه احاديثه وتناسب ابوابها .

الثالث : فى وصل الاحاديث المرفوعه والاثار الموقوفه المعلقه فيه .

وماأشبه ذلك من قوله تابعه فلان ورواه فلان وغير ذلك فبان لى أن الحاجه الآن الى وصل المنقطع منه ماسه وان كان نوعا لم يفرد ولم يجمع ومنهلا لم يشرع ولم يكرع وان كان صرف الزمان الى تحرير القسمين الاولين أولى وأعلى والمعتنى بهما هو الذى حاز القدح المعلى ولكن ملئت منهما بطون الدفاتر فلا يحصى كم فيهما من حلى وسبق الى تحريرهما من قصارى وقصارى غيرى أن ينسج نص كلامه فرعا واصلا فاستخرت الله فى جمع هذا القسم الى أن حصرته وتتبعت ما انقطع منه فكل ما وصلت اليه وصلته " وقد نقل ابن حجر عن الحافظ ابى عبد الله ابن رشيد مانصه بعد أن ذكر التعليق " واكثر ما وقع للبخارى من ذلك فى صدور الأبواب وهو مفتقر الى أن يصنف فيه كتاب يخصه يسند فيه تلك الاحاديث ويبين درجتها من الصحه أو الحسن أو غير ذلك من الدرجات وما علمت أحدا تعرض لتصنيف ذلك وانه لمهم لاسيما لمن له عناية بكتاب البخارى أما طريقته التى سار عليها ومنهجه الذى اتبعه فى وصل هذه التعاليق فقد أوضحه عبارته حيث يقول وتتبعت ما انقطع منه أى الصحيح ـ فكل ما وصلت اليه وصلته وسردته على ترتيب الاصل بابا ، بابا وذكرت من كلام الاصل مايحتاج اليه الناظر وكان ذاك صوابا وقال فى مكان آخر والتزمت فى وصل هذه التعاليق أن أسوق أحاديثه المرفوعه وآثاره الموقوفه باسنادى الى من علق عنه المصنف لا الى غيره الا أن يتكرر النقل من كتاب كبير هو عندى أو اكثره باسناد واحد الى مصنفه فانى احيل عليه غالبا ...[1] [2]

---

(١) ابن حجر التغليق ص ١ ، ٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢ .

فان علق الحديث فى موضع واسنده فى آخر نبهت عليه واكتفيت به الا أن يختلف لفظ المعلق ولفظ الموصول فانه حينئذ على من وصله بذلك واذا لم يسم احدا من الرواه بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كذا فانى اخرجه من اصح طرقه ان لم يكن عنده فى موضع آخر كما سبق وأما التبويب فانه يبوب كثيرا بلفظ حديث أو أثر ويسوقه فى ذلك الباب مسندا أو يورد معناه أو ما يناسبه كقوله فى كتاب الاحكام = باب الامراء من قريش وساق فى الباب حديث معاويه لا يزال وال من قريش واللفظ الاول لم يخرجه وهو لفظ حديث آخر فلم اتكلف لتخريج ذلك الا اذا صرح فيه بالرؤيه[1] · بالرواية[2]

وقال فى مكان آخر " واذا اخرجت الحديث من مصنف غير متداول فذلك لفائدتين احداهما أن يكون من مسموعى والثانيه أن يكون عاليا ومع ذلك فانه على من اخرجه من اصحاب الكتب المشهوره وعلى كيفية ما اخرجوه فى الغالب[3] " ·

ولا يفوتنا ونحن ما زلنا فى معرض التحدث عن وصل ابن حجر لتعاليق البخارى وأن هذا عمل له قيمته العلميه أن نشير الى نقطة لها صله وثيقه بما نحن بصدده وقد آثارها ابن حجر نفسه وأوردها فى صيغة اعتراض وجواب حيث يقوله ·—

" فان قيل قد قررت أن ما علقه بصيغة الجزم يفيد الصحه الخ · فما الفائده والحاله هذه فى تكليفك وصله باسانيده قلت فائده ذلك اقامة البرهان على ما قررته وادحاض حجة المخالف لهذه القاعده فان المخالف لها اذا رأى حديثا علقه البخارى ولم يوصل اسناده حكم عليه بالانقطاع لا سيما ان كان علقه عن شيوخ شيوخه أو عن الطبقه التى فوق فان قال له خصمه هذا معلق بصيغة الجزم فطلب منه الدليل على أنه موصول عند البخارى ما يكون جوابه ان اجاب بأن القاعده انه لا يجزم الا بما صح عنده قال له أنا لا التزم هذه القاعده بلا دليل لانها على خلاف الاصل وانما حكم بما ظهر لى من أن هذا السياق حكمه الانقطاع وأن البخارى لم يلق هذا الرجل المعلق عنه وأى فرق يبقى بين هذا وبين المنقطع وان اجابه بأن الامام فلان روى هذا الحديث فى تصنيفه مسندا متصلا كان ذلك ادعى لرجوعه واحصى لخصومه ولم

---

(١) المصدر السابق ص ٦

(٢) المصدر السابق ص ٦ ·

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧ ·

يبق الا التسليم يتعين علينا بعد ما قدمنا أن نورد نماذج تطبيقيه لما وصله ابن حجر(١) من هذه التعاليق على سبيل التمثيل لا الحصر فنقول وبالله التوفيق .

النموذج الأول .... من كتاب بدء الوحى .....

قوله فيه أى فى هذا الكتاب حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل بن شهاب عن عروة عن عائشه قالت أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقه الحديث وفيه فرجع الى خديجه يرجف فؤاده وقال عقبه تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح هو عبد الله بن صالح يعنى عن الليث عن عقيل ثم قال وتابعه هلال بن رداد عن الزهرى وقال يونس ومعمر يعنى عن الزهرى بوادره أ ه . أما متابعة عبد الله بن يوسف فأسندها أبو عبد الله فى احاديث الانبياء فى التفسير عنه مختصره وأما متابعة عبد الله بن صالح فقرأت على محمد بن محمد بن منيع المؤذب بسفح قاسيون اخبرنا أبو محمد عبد الله بن الحسن الانصارى اجازه ان لم يكن سماعا عن اسماعيل بن أحمد الصرامى أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبى بكر أبن عمر المدينى فى كتابه قال أن أبا على الحسن بن محمد الحداد اخبره أن أحمد ابن عبد الله بن أحمد حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مطلب بن شعيب الازدى املاء حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث فذكره بتمامه وروى يعقوب ابن سفيان فى تاريخه حدثنا أبو صالح وبن بكير قالا حدثنا الليث به ورواه الرويانى فى مسنده عن محمد بن اسحاق الصفار عن عبد الله بن صالح به فوقع لنا بدلا عاليا(١) وأما متابعة هلال بن رداد فقال أبو عبد الله محمد بن يحيى الزهلى فى جمعه لحديث الزهرى اخبرنى محمد بن مسلم الرازى حدثنى أبو القاسم بن هلال بن رداد الطائى حدثنا أبى وكان من كتبة هشام قال سمعت ابن شهاب(٢) واما رواية يونس فاسندها أبو عبد الله فى التفسير عن سعيد بن سليمان عن محمد بن عبد العزيز بن أبى رزق عن أبى صالح سلچويه عن عبد الله بن المبارك عن يونس بتمامه وقد رواها الطبرانى فى المعجم الكبير عن هارون بن كامل عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يونس واما

---

(١) ابن حجر التعليق ص٧
(٢) بن شهاب ص ٨ ، ٩

روايه معمر فاسندها أبو عبد الله ايضا فى التفسير عن شيخه عن عبد الله محمد الصنعانى عن عبد الرزاق عن معمر به (١) .

النمـــوذج الثانـــى :ـ

قوله فيه ـ أى فى هذا الكتاب عقب حديث شعيب بن أبى حمزه عن الزهرى عن عبد اللـــه ابن عبد الله عن ابن عباس عن ابى سفيان صخر بن حرب فى قصة هرقل الحديث بطوله رواه صالح ويونس ومعمر عن الزهرى أ . هـ وقد اسند احاديث الثلاثه فى الجامع أما حديث صالح فـــفى الجهاد . بتمامه عن ابراهيم بن حمزه عن ابراهيم بن سعد عنه وأما حديث يونس ففى الاستئذان من طريق ابن المبارك مختصرا وفى الجزيه من طريق الليث بن سعد كلاهما عنه .

وأما حديث معمر ففى التفسير من حديث هشام بن يوسف وعبد الرازق كلاهما عن معمر به (٢) أ هـ .

النمـــوذج الثالـــث من كتاب الايمان

قوله فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لـــم يستكملها لم يستكمل الايمان فان اعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها وان امت فما انا على صحبتكم بحريص أ هـ

أما الحديث المرفوع فأسنده فى الباب الذى بعده من حديث عكرمه ابن خالد عن ابن عمـــر وفى بعض النسخ أسنده فى الباب (٣) واما اثر عمر ابن عبد العزيز فأخبرنى عبد الله بن عمر بن علـــى فيما قرأته عليه أخبرنى يحيى ابن يوسف المقدسى اجازه ان لم يكن سماعا عن عبد الوهـــاب بن رواج الازرى أن عبد الواحد بن عسكرا لمخزومى اخبره قال اخبرنا أبو صادق مرشد ابن يحيـــى ابن القاسم المدينى قال أخبرنا أبو القاسم على بن محمد الفارسى حدثنا الحسن بن رشيق العسكرى حدثنا أبو جعفر بن محمد بن أحمد الوكيعى حدثنا أبو بكر بن أبى شيبه حدثنا أبو اسامه عن جرير بن حازم حدثنى عيسى ابن عاصم حدثنى عدى بن عدى قال كتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان للايمان فرائض ... قلت فذكره بحروفه وهو اسناد صحيح رجاله ثقات رواه أحمد بن حنبل فـــى

(١) المصدر السابق ص ٩ .

(٢) ص ٩ المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ص ٩ .

الايمان له عن وكيع عن جرير ابن حازم نحوه (١) .

النمــوذج الرابـــع ...... من كتاب الايمان .

قوله فيه . أى فى كتاب الايمان وقال معاذ اجلس بنا نؤمن ساعة اخبرنى أبوهريـــــره بن الحافظ أبى عبد الله الذهبى اجازه أن أبا الفتح محمد بن عبد الرحيم المخزومى أخبرهـــم سماعا عليه اخبرنا أبومنصور ظافر اخبرنا الحافظ أبوطاهر السلفى اخبرنا أبوالفضل محمـــد ابن عبد السلام اخبرنا الحسن بن أحمد بن ابراهيم الدورقى اخبرنا على ابن عبد الرحمـــن حدثنا أبواسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عمر القصار العبسى حدثنا وكيع عن الاعمش عن جامـــع ابن شداد عن الاسود ابن هلال قال قال لى معاذ بن جبل اجلس بنا نؤمن ساعة وقال . وكيع يعنى فذكر الله .

هذا موقوف صحيح رواه أبوبكر بن أبى شيبه فى كتابه عن وكيع عن الاعمش وحده فوافقنا بعلو درجه على طريقه وذلك لانه رواه من طريق آخر عن الاعمش ومسعر عن جامع بن شداد ورواه ايضا عن أبى أسامه عن الأعمش بلفظ كان معاذ بن جبل يقول للرجال من اخوانه اجلس بنا نؤمن من ساعــه فيجلسان فيذكر أن الله ويحمد أنه ورواه أحمد بن حنبل فى الايمان عن يحيى بن سعيد وعبـــد الرحمن ابن مهدى عن سفيان حدثنى جامع فذكر نحوه (٢) .

النموذج الخامـــس ..... من كتاب الايمــــان

قوله فيه أى كتاب الايمان — وقال ابن مسعود اليقين الايمان كله قال ابن أبـــــى خيثمه فى تاريخه حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد عن أبى ظبيان عن علقمه قال قال عبد الله ..... الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله واخبرنى بذلك أبوالمعالى — السعودى بقراءتى عليه بالقاهره عن زينب بنت الكمال المقدسيه عن عجيبه بنت أبى بكر البغداديه عن أبى الفرج مسعود بن الحسن بن القاسم ابن الفضل الثقفى أن المطهر بن عبد الواحد البزانـــى اخبرهم أن أبا عمر بن عبد الوهاب أخبرنا عبد الله بن عمر بن يزيد الزهرى أخبرنا عمى عبد الرحمن بن يزيد رسته الحافظ فى كتاب الايمان من تأليفه حدثنا أبوزهير هو عبد الرحمن بن مغرى اخبرنـــا

(١) المصدر السابق ص ١٠

(٢) ص ١٠ ، ١١

الاعمش عن أبي ظبيان ـ وأبو ظبيان اسمه حصين بن جندب متفق على الاحتجاج به وهذا موقوف صحيح رواه الحاكم في المستدرك من حديث الاعمش مختصرا ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن محمد بن علي بن زيد الصايغ عن سعيد بن منصور عن أبي معاويه عن الاعمش فوقع لنا عاليا .

النموذج السادس ..... من كتاب العلم .

قوله فيه أي في كتاب العلم وقال أبو العاليه عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه وقال أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه وقال أبو هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم أما حديث بن عباس فهو طرف من حديث أسنده المؤلف في التوحيد من طريق أبي العاليه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى الحديث بتمامه وأما حديث أنس فهو طرف من حديث أوله اذا تقرب العبد مني شبرا تقربت منه ذراعا وقد أسنده المؤلف في كتاب التوحيد من طريق شعبه عن قتاده عنه ورواه مسلم عن طريق همام عن قتاده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنه الحديث .

وأما حديث أبي هريره فهو طرف من حديث أوله لكل عمل كفاره والصوم لي وأنا اجزى به وقد اسنده المؤلف ايضا من طريق شعبه عن محمد بن زياد عن أبي هريره (1) اهـ

النموذج السابع

من كتاب البيوع ـ باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع وقال ابن أبي أوفى الناجش آكل الربا خائن ـ وهو الخداع باطل لا يحل قال النبي صلى الله عليه وسلم الخديعه في النار ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما قول ابن أبي أوفى فهو مسند عند المؤلف في باب قول الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا ... من كتاب الشهادات في آخر الحديث وأما حديث الخديعه في النار فرواه عن النبي صلى الله عليه وسلم "

قيس بن سعد بن عباده وأبو هريره وابن مسعود وأنس

---

(1) المصدر السابق ص ٣٢ و ٣٣

اما حديث قيس بن سعد فقال ابن عدى فى الكامل اخبرنا أبو العلاء الكوفى حدثنا هشام بن عمار
حدثنا الجراح بن مليح البهرانى حدثنا أبو راقع عن قيس بن سعد قال لولا أنى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المكر والخديعه فى النار لكنت من أمكر الناس وأما حديث
أبى هريره فرواه البزار فى مسنده واسناده ضعيف تفرد به عبيد الله بن أبى حميد عن أبى
المليح عن أبى هريره وله طرق اخرى اخرجها أبو الشيخ فى كتاب الترهيب له وفى اسناده جهاله
وقال اسحاق بن راهويه فى مسنده حدثنا كلثوم بن محمد بن ابى سدره حدثنا عطاء الخرسانى
عن أبى هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال المكر والخديعه فى النار فيه انقطاع بين عطاء
وأبى هريره واخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين عن عبدان بن محمد المروزى عن اسحاق به
وأورده ابن عدى فى ترجمة كلثوم وقال أنه روى احاديث لا يتابع عليها اخرجها عن على بن الحسين
ابن عبد الرحيم عن اسحاق به .

وأما حديث ابن مسعود فوقع لنا غاليا .... قرأت على مريم الاسديه عن على بن عمر
الوانى سماعا عليه أن عبد الوهاب بن رواج اخبرهم قال اخبرنا السلفى اخبرنا أبو عبد الله
الثقفى حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المعدل املاء حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد
أبى على حدثنا أبو خليفه ح وقرأت على الحافظ أبى الفضل بن الحسين أخبرنا عبد الرحيم
بن يوسف بن يحيى أخبرنا عمر ابن محمد أخبرنا أبو المواهب بن ملوك اخبرنا القاضى أبو الطيب
الطبرى اخبرنا أبو احمد الغطريف حدثنا أبو خليفه وقال الطبرانى فى المعجم الصغير حدثنا
أبو خليفه حدثنا عثمان بن الهيثم حدثنا أبى حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم " المكر والخديعه فى النار ومن غشنا فليس منا .....

ورواها بن حبان فى صحيحه عن أبى خليفه فوافقناه بعلو قال الطبرانى لم يروه عن عاصم
الا الهيثم تفرد به ابنه عنه قلت والهيثم والد عثمان روى عنه جماعه غير ابنه منهم أبو حذيفة وقال
أبو حاتم لم أرفى حديثه مكروها واما حديث انس فرواه الحاكم فى المستدرك من طريق سنان
ابن سعد عنه وزاد فيه والخيانه وفى اسناده مقال وقد وقع لى من طريق اخرى مرسلا قرأته على

فاطمه بنت محمد ابن عبد الهادى عن على بن يحى القطابى أن الرشيد اسماعيل بن أحمد العراقى اخبرهم عن الحافظ أبى طاهر السلفى أن جعفر بن أحمد السراج اخبره قال أخبرنا أبو محمد الجوهرى حدثنا محمد بن خلف حدثنا أبو بكر بن سيار حدثنا أبو صالح حدثنا الليث عن أبى غسان المدنى عن محمد بن سيرين قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المكر والخديعه فى النار أ هـ ٠

فان كان حديث انس محفوظا فيحتمل أن يكون محمد بن سيرين سمعه منه ورواه ابن المبارك فى البر والصله عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المكر والخديعه؟ فذكر مثله وأما حديث من عمل عملا الحديث فهو عند المؤلف من حديث القاسم عن عائشه وسيأتى الكلام عليه فى الصلح ...... لم نعثر عليه لأن التغليق لا يوجد منه نسخه كامله ٠

النموذج الثامن ...... من كتاب الشركة والرهن

قوله باب الرهن مركوب ومحلوب وقال مغيره عن ابراهيم تركب الضاله بقدر علفها وتحلب بقدر علفها فى الرهن مثله أما قول ابراهيم فى الضاله فقال سعيد بن منصور حدثنا هشيم اخبرنا مغيره عن ابراهيم فى الضاله قال تركب بقدر علفها وتحلب بقدر علفها واما قوله فى الرهن فقال سعيد بن منصور حدثنا هشيم حدثنا مغيره عن ابراهيم قال الدابه اذا كانت مرهونه تركب بقدر علفها واذا كان لها لبن يشرب منه بقدر علفها ورواه ابن أبى شيبه عن يحى بن آدم عن حسن ابن صالح عن مغيره بمعناه أ هـ ٠

النموذج التاسع ...... من كتاب العتق ......

قوله باب قول النبى صلى الله عليه وسلم العبيد اخوانكم فاطعموهم مما تأكلون هذا طرف من حديث اسنده فى الباب المذكور عن طريق ابى ذر بمعناه لكنه بلفظ الفرد فليطعمه مما يأكل ٠

النموذج العاشر ...... من كتاب الوصايا والوقف ......

قوله فيه عقب حديث مالك عن نافع عن ابن عمر ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبه عنده تابعه محمد بن مسلم عن عمرو ~~عن~~ ابن دينار عن ابن عمر قال الدارقطنى فى الافراد حدثنا المحاملى

حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا عمران بن ابان حدثنا محمد بن مسلم هو الطائفي عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قال الدارقطني تفرد به عمران عن محمد بن مسلم وقال ابن عدى لعمران بن ابان عن محمد غرائب كثيرة ولم أر له حديثا منكرا وبعد فهذه نماذج قدمناها على سبيل التمثيل يتضح منها أن ابن حجر قد بذل جهدا موفورا وسعى سعيا مشكورا في وصل هذه التعاليق باسناده الى من علق عنه البخاري تارة وبالاشارة الى من وصلها من أصحاب الكتب والمستخرجات تارة أخرى على أنه أحيانا لم يصل بعض هذه التعاليق باسناده الى من علق عنه البخاري كما لم يقف على من وصلها وقد أشار ابن حجر الى امكان وقوع مثل هذا حينما قال

" فاستخرت الله في جمع هذا القسم الى أن حصرته وتتبعت ما انقطع منه فكل ما وصلت اليه وصلته "[1] ومنطوق عبارته " فكل ما وصلت اليه وصلته " أنه قد وصل كل ما استطاع أن يصل اليه تارة باسناده هو الى من علق عنه البخاري وتارة بالاشارة الى من وصله من أصحاب الكتب والمستخرجات ومفهومها أن ما لم يستطع وصله ولم يقف على من وصله و تركه معلقا وهاك نماذج من ذلك .

— النموذج الأول : قال البخاري

في كتاب الايمان وقال ابن عمر لا يبلغ العبد حقيقة اليقين حتى يدع ما حاك في الصدر قال ابن حجر : لم أقف عليه ثم قال وفي الترمذي والحاكم من حديث عطيه السعدي معنى هذا مرفوعا ولفظه لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس .....

— النموذج الثاني —

قال البخاري في كتاب الأذان[2] وقال عثمان بن جبلة وأبو داود عن شعبة لم يكن بينهما الا قليل .

قال ابن حجر لم تتصل لنا رواية عثمان بن جبلة الى الآن وزعم مغلطاى ومن تبعه أن الاسماعيلى وصلها في مستخرجه وليس كذلك فان الاسماعيلى انما أخرجه من طريق عثمان بن عمر لا من طريق عثمان بن جبلة .

وكذا لم تتصل لنا رواية أبو داود وهو الطيالسي فيما يظهر لي وقيل هو الحضرمي وقد وقع لنا مقصود روايتهما من طر...

---

(١) ابن حجر تغليق التعليق ص ٢

(٢) باب كم بين الأذان والإقامة .

عن طريق عثمان بن عمر وابن عامر جميعا عن شعبه بلفظ وكان بين الاذان والاقامه قريب ....

النموذج الثالث :ـ

باب الابراد بالظهر فى شدة الحر بعد أن ذكر الحديث الموصول

قال البخارى فى كتاب مواقيت الصلاه :. تابعه سفيان ويحيى وابوعوانه عن الاعمش

قال ابن حجر بعد أن بين من وصل متابعة سفيان ويحيى .

وأما متابعة أبوعوانه فلم أقف على من وصلها عنه (١) .

النموذج الرابع :ـ

أبواب فى باب من أخف الصلاه من بكاء الصبى بعد أن ذكر الحديث الموصول

قال البخارى فى كتاب الجماعه تابعه بشر بن بكر وابن المبارك وبقية عن الاوزاعى .

قال ابن حجر بعد أن بين من وصل متابعة بشر بن بكر وابن المبارك .

وأما متابعة بقيه وهو ابن الوليد فلم أقف على من وصلها (٢) .

على أنه من خلال قراءتى وبحثى وقفت على حقيقة ثابته وهى أن ما فات ابن حجر من وصل هذه التعاليق أو الوقوف على من وصلها انما هو نذر يسير لا يقدح فى جهده ولا يقلل من قيمة ما قام به فى هذا الصدد كعمل علمى وتراث فكرى عظيم لم يصل اليه أحد ....

وقد جمع ابن حجر ما وصله من هذه التعاليق باسناده أو وقف على من وصله وضم بعضه الى بعض فى سفر ضخم سماه " تغليق التعليق واخفاه عن عيون معاصريه ممن اشتغلوا بفن الحديث

وعباره ابن حجر نفسه تشير الى ذلك حيث يقول :ـ

"وغيبته عن عيون النقاد الى أن اطلعته فى افق الكمال شهابا وسميته " تغليق التعليق " لأن أسانيده كانت كالابواب المفتحه فغلقت ومتونه ربما كان فيها اختصار " فكملت واتسقت " (٣) .

وهو أول تصانيفه كما يذكر صاحب الشذرات وقد فرغ منه كما يذكر هو نفسه سنة ٨٠٤ هـ (٤) ويقول السخاوى عن هذا المصنف " هو كتاب نفيس يشتمل على وصل التعاليق المرفوعه والاثار الموقوفه والمقطوعه الواقعه فى صحيح البخارى وله الفخر الكبير لكونه لم يسبق الى جمعه .

فى تأليف ولا يوجد التعرض لشىء منه الا فى النادر من التصنيف وقف عليه كبار مشايخة وشهدوا (١) بأنه لم يسبق الى وضع مثله وصرحوا بأن هذا النوع جدير بأن يفرد بالتصنيف وقد كمل تبيضه فى سنة ٨٠٧ هـ

---

(١) باب الابراد بالظهر فى شدة الحر

(٢) باب من اخف الصلاة من بكاء الصبى .

(٣) ابن حجر تغليق التعليق ص ٢

(٤) ابن حجر انتقاض الاعتراض ص ٢ .

(٥) السخاوى الجواهر ص ٨٦٢

(المبحث الثاني)

وفيه ثلاثة أمور .

الأمر الأول :

في بيان أسرار تكرار البخاري للحديث وذكره في عدة مواضع .

تمهيد :

يلمس من يطالع كتاب الصحيح أن البخاري يذكر الحديث ويكرره في عدة مواضع من كتابه وهذا المسلك من صاحب الصحيح لا يكون الا عن أسباب اقتضته ودواعٍ دعت اليه نوضحها فيما يلي :

أولا : منها أنه ربما أورد حديثا عنعنه راويه فيورده من طريق أخرى مصرحا فيها بالسماع على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن كقوله في كتاب الفتن حدثنا مسدد عن عبد الوارث عن الجعد عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من كره من أميره شيئا فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية" ورواه من طريق أخرى مصرحا فيها بالتحديث والسماع بدل العنعنة فقال حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد حدثني أبو رجاء العطاردي قال سمعت ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه " الحديث .

ثانيا : ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا في الاسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين كقوله في كتاب الوضوء حدثنا عثمان قال حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت انسانين يعذبان في قبورهما " الحديث .

ورواه من طريق أخرى فقال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن خازم قال حدثنا الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة " الحديث .

ففي الرواية الثانية زيادة رجل وهو طاوس بين مجاهد وابن عباس بخلاف الأولى فيحتمل أن مجاهدا سمعه من طاوس عن ابن عباس ثم لقي ابن عباس فسمعه منه أو العكس (١)

---

(١) ابن حجر مقدمة الفتح ص١٣

ثالثا : ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك كروايته فى كتاب الفتن من طريق معمر عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يارسول الله أيما هو قال القتل القتل " .

ورواه من طريق أخرى فقال حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى حدثنا الاعمش حدثنا شقيق قال جلس عبدالله وأبو موسى فتحدثا فقال أبو موسى قال النبى صلى الله عليه وسلم " ان بين يدى الساعة لأياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج والهرج القتل " .

وفى رواية جرير عن الاعمش عن أبى وائل فقال أبو موسى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم مثله والهرج بلسان الحبش القتل .

وفى رواية واصل عن أبى وائل عن عبدالله قال أبو موسى والهرج القتل بلسان الحبش ، فالرواية الاولى صريحة فى أن تفسير الهرج مرفوع والروايات الأخرى تدل على أنه موقوف فأورد البخارى الروايتين ليثبت أن الحكم فيهما كذلك .. (١)

رابعا : ومنها أحاديث يرويها بعض الرواة تامة وبعضهم يرويها مختصرة فيرويها كما جاءت ليزيل الشبة عن ناقليها .

كروايته فى كتاب العلم بالسند المتصل الى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم " لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها " .

ورواه أيضا فى فضائل القرآن من طريق أبى هريرة تاما بزيادة فقال رجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتيى فلان فعملت مثل ما يعمل " .

وكروايته عن أبى التياح عن أنس قال .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا "

ورواه من طريق أخرى عن شعبه عن قتادة عن أنس قال لأحدثنكم حديثا

---

(١) ابن حجر مقدمة الفتح ص ١٢ .

لايحدثكم به أحد بعدى .. سمعت رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول " من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد " .. (١)

خامسا : ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى وحدث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه اذا صحت على شرطه ويفرد لكل لفظة بابا مفردا كروايته فى كتاب الغسل حديث شعبه قال حدثنى أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبى صلى اللـه عليه وسلم فدعت باناء نحو أمن صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها ." الحديث .

وروى البخارى أيضا حديث حنظلة عن القاسم عن عائشة قالت " كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة دعا بشئ نحو الحلاب فأخذ بكفه فبدأ بشقه الايمن " الحديث .

ففى الرواية الاولى عبر أبو سلمة عن الاناء الذى اغتسلت منه عائشة بنحو صاع ولذا ترجم البخارى باب الغسل بالصاع ونحوه .

وفى الرواية الثانية عبرت عائشة عن الاناء بنحو الحلاب وهو يحتمل أن يكون نوعا من الطيب ولذا ترجم البخارى - باب من بدأ بالحلاب أو الطيب عند الغسل ٢"

سادسا : ومنها أنه صح على هذه القاعدة أحاديث يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورده فى كل باب من طريق غير الطريق الاولى .

كقوله فى كتاب الوضوء حدثنا على بن عبدالله قال حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال أخبرنى كريب عن ابن عباس قال " بت عند خالتى ميمونة ليلة فقام النبى صلى الله عليه وسلم من الليل " وفيه " فتوضأ رسول الله صلى اللـه عليه وسلم من شن معلق ثم صلى ما شاء اللـه .

---

(١) المصدر السابق صـ ١٢ ، ١٣ .

(٢) ابن حجر مقدمة الفتح صـ ١٣ المصدر السابق صـ ١٢ .

ورواه أيضا فى كتاب الوضوء عن طريق حخرمة بن سليمان عن كريب عن بن عباس ولكنه بلفظ " فصلى ركعتين ثم ركعتين " كرر ذلك ست مرات " ثم أوتر .

ورواه أيضا فى أبواب الوتر عن حجرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس وفيه هذا القدر من عدد الركعات .

ورواه فى التفسير عن طريق شريك بن أبى نمر عن كريب عن ابن عباس بلفظ " فصلى احدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين " .

وهذه الرواية تخالف الروايتين السابقتين لان فيهما أنه صلى ثلاث عشرة ركعة وهذا الاختلاف على كريب لا يقدح فى صحة الحديث بل الحديث صحيح .

لانه قد ورد من طريق أخرى عن شعبة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، بلفظ " فصلى أربع ركعات ثم نام ثم صلى خمس ركعات " وهذه الرواية أخرجها المصنف فى التفسير أيضا فبان بذلك أن حديث كريب عن ابن عباس صحيح ، ويجمع بين هذه الروايات بأى طريق من طرق الجمع المتعارف عليها (١) .

سابعا : ومنها أنه يخرج الحديث عن صحابى و يورده عن صحابى آخر والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حد الغرابة وكذلك يفعل فى أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرا الى مشايخه فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة .

فمثال روايته عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر كى يخرجه عن حد الغرابة قوله فى كتاب الفتن حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من حمل علينا السلاح فليس منا " ورواه أيضا عن بريد عن أبى برده عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " من حمل علينا السلاح فليس منا " .

ومثال روايته عن أهل الطبقة الثانية مكررا حتى يخرجه عن حد الغرابة قوله فى كتاب العلم حدثنا قتيبه قال حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبدالله ابن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم " الحديث .

---

(١) ابن حجر مقدمة الفتح ص ١٣ المصدر السابق ص ١٢ .

ومنها الحديث الغريب ما تفرد راو بروايته [illegible] أو بزيادة فيه عمن يجمع حديثه كالزهري وهو قسمان غريب صحيح كالأفراد المخرجة في الصحيح وإلى غريب ضعيف وهو الغالب

ورواه أيضا من طريق أبى نجيح عن مجاهد قال صحبت ابن عمر فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديثا واحدا قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال صلى الله عليه وسلم " أن من الشجر شجرة ... " الحديث بتمامه .

ومثال روايته مكررا عن شيوخه فمن فوقهم حتى يخرجه عن حد الغرابة .

قوله فى بدء الوحى — حدثنا الحميدى قال حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد الانصارى قال أخبرنى محمد بن ابراهيم التيمى أنه سمع علقمة بن أبى وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب على المنبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى " الحديث .

ورواه فى كتاب الايمان من طريق عبدالله بن مسلمة قال أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد الخ السند بلفظ " الاعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى "

فبان بهذه الرواية الثانية أنه قد رواه عن يحيى بن سعيد مالك وسفيان ولهذا فقد خرج عن حد الغرابة عن هذه الطبقة لأنه فرد مطلق من أول السند الى يحى بن سعيد وللبخارى فيه شيخين أيضا هما الحميدى وعبدالله بن مسلمة فخرج الحديث كذلك عن حد الغرابة فى شيوخه ... (١) .

ثامنا : ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الارسال فخرجها على أنه لاتأثير له عنده فى الوصل (٢) . ومثال ما ذكره فى كتاب

الأمر الثانى :

فى بيان تقطيعه للحديث وتفريقه على الابواب :

تمهيد :

ليس من الهين على من ينظر فى كتاب الجامع الصحيح أن يدرك قصد البخارى من تقطيع الحديث وتفريقه على الابواب تارة واقتصارة منه على بعضه تارة أخرى .

بل لا بد من أن يقف هنيهة يعمل فيها فكرة ويقلب صفحات الكتب وأمهات المراجع

---

(١) ابن حجر المقدمة صـ ١٢

(٢) المصدر السابق صـ ١٣

حتى يتبين الدواعي التي أدت بصاحب الصحيح وحملته على ما جرى عليه وسكوت هذه الدواعي فيما يلي فأقول وبالله التوفيق .

أولا : ان كان الحديث طويلا والمتن مشتملا على جمل متعددة لا تعلق لاحداها بالأخرى فانه يخرج كل جملة منها في باب مستقل فرارا من التطويل وربما نشط فساقه بتمامه .(١) .

مثال ذلك حديث ابن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش " الحديث فقد فرقه البخاري على الابواب .

فساقه في كتاب الايمان مقتصرا على جملتين منه وهما أن ابا سفيان أخبره أن هرقل قال لا سألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أنه لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد) .

وساقه أيضا في كتاب الحيض مقتصرا منه على جملة واحدة وهي أن أبا سفيان أخبره أن هرقل دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم " الاية .

وذكره كذلك في كتاب بدء الوحي تاما .

ثانيا : وان كان المتن قصيرا أو مرتبطا بعضه ببعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فانه يعيدة بحسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم اخلائه من فائدة حديثه كايراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك فيستفاد بذلك كثرة الطرق الحديثة (٢) .

فمثال المتن القصير المشتمل على حكمين فصاعدا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أعرابيا يبول في المسجد فقال دعوه حتى فرغ دعا بماء فصبه عليه " فلفظ الحديث أخرجه البخاري من طريق موسى بن اسماعيل مسندا الى أنس بن مالك في كتاب الوضوء ـ باب ترك النبي صلى الله عليه وسلم والناس الاعرابي يبول في المسجد وأخرجه أيضا من طريق أبو اليمان يسنده الى أبي هريرة في باب صب الماء على البول في المسجد بلفظ (وهريقوا عليه سجلا من ماء) .

---

(١) ابن حجر المقدمة ص ١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٣ .

ومثال المتن المرتبط بعضه ببعض وهو مشتمل على حكمين قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سأله أى الاسلام خير فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " .. الحديث أخرجه البخارى من طريق عمرو بن خالد بسنده الى عبدالله بن عمرو فى كتاب الايمان باب اطعام الطعام وأخرجه أيضا بلفظه من طريق قتيبة بسنده الى عبدالله بن عمر فى باب السلام من الاسلام وربما ضاق مخرج الحديث حيث لا يكون له الا طريق واحدة فيتصرف فيه حينئذ فيورده فى موضع موصولا وموضع معلقا .

مثاله ما رواه البخارى فى كتاب الجهاد من طريق طاوس عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية " .

وذكره معلقا فى كتاب الايمان باب ما جاء أن الاعمال بالنية بلفظ وقال النبى صلى الله عليه وسلم " ولكن جهاد ونية " فاختصره بالاضافة الى تعليقه اياه ويورده تاره تاما وتارة مقتصرا على طرفه الذى يحتاج اليه فى ذلك الباب .

ومثالهما أورده وأخرجه فى أبواب الكسوف من طريق عبدالله بن مسلمة بسنده الى ابن عباس قال انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراءة سورة البقرة وفيه " .. انى رأيت الجنة فتناولت فيها عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا وأريت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء " الحديث .

وساقه المصنف فى كتاب الايمان باب كفران العشير من طريق عبدالله بن مسلمة بسنده الى ابن عباس مقتصرا على طرفه الذى يحتاج اليه فى هذا الباب وهو " ورأيت النار فاذا أكثر أهلها النساء يكفرن " الحديث .

هذا ما يتعلق بتقطيعه للحديث وتفريقه له على الابواب ولا يفوتنا نحن لا نزال بهذا الصدد أن نسوق ما حكى عن بعض شراح البخارى من أنه قد وقع فى بعض نسخ البخارى فى أثناء الحج بعد باب قصر الخطبة بعرفة باب التعجيل الى الموقف قال أبو عبدالله يزاد فى هذا الباب حديث مالك عن ابن شهاب ولكنى لا أريد أن .. أدخل فيه معادا بجميع اسناده ومتنه وان كان وقع له من ذلك شىء فمن غير قصد

وهو قليل جدا وقد أشار ابن حجر الى غالب هذه المواضع وعدتها اثنان وعشرون كما ذكر القسطلانى فى مقدمته قال " وقد رأيت ورقة بخط الحافظ ابن حجر ، نصها نبذة من الاحاديث التى ذكرها البخارى فى موضعين سندا ومتنا — حديث عبدالله بن مغفل رمى انسان بجراب فيه شحم فى آخر الخمس وفى الصيد والذبائح حديث أنس أصيب حارثة فقالت أمه فى غزوة بدر وفى الرقاق وما ذكرناه من الحديثين انما هو على سبيل التمثيل لا الحصر خشية التطويل المؤدى الى السأم والملل على أن ابن حجر قد فاته قليل من هذه المواضع وقد أشار اليها القسطلانى فى مقدمته حيث يقول " ورأيت فى البخارى أيضا حديث أبى هريرة كان أهل الكتاب يقرأون التوراه بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فى باب لاتسألوا أهل الكتاب عن شىء من كتاب الاعتصام وفى تفسير سورة البقرة وفى باب ما يجوز من تفسير التوراة فى كتاب التوحيد أ هـ .

الثالث ... بيان اقتصاره على بعض الحديث .

ان من يقرأ الصحيح ويمعن يتضح له أن البخارى أحيانا — يسوق بعض الحديث ثم لا يذكر باقية فى موضع آخر ولا يقع له ذلك فى الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابى وفيه شىء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التى يحكم لها بالرفع ويحذف الباقى لأنه لاتعلق له بموضوع كتابه كما وقع له فى حديث هزيل بن شرحبيل عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال إن أهل الاسلام لا يسيبون وأن أهل الجاهلية كانوا يسيبون هكذا أورده وهو مختصر من حديث موقوف أوله جاء رجل الى عبدالله بن مسعود فقال انى أعتقت عبدا لى سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا فقال عبدالله ان أهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون فأنت ولى نعمته فلك ميراثه فان تأثمت وتحرجت فى شىء فنحن نقبله منك ونجعله فى بيت المال فاقتصر البخارى على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله إن أهل الاسلام لا يسيبون لانه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك الحكم واختصر الباقى لانه ليس من موضوع كتابه أهـ (١)

---

(١) ابن حجر مقدمة الفتح صـ ١٢

(المبحث الثالث)

شرح تراجم أبواب البخاري وتوضيحهـا

تمهيد :

ينبغي أن نشير الى أن البخاري تفقه على علماء بلده من أهل الرأى وحفظ تصانيف عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح .. وهما من أجل علماء الرأى — قبل خروجه لطلب الحديث كما لقى فى رحلته كثيرا من فقهاء المذاهب حتى اجتهد لنفسه بنفسه .

لذا لما ألف كتابه الجامع لم يكن قصده وكل همه الاقتصار على تخريج الاحاديث الصحيحة المتصلة فحسب ، بل أودع فيه من التاريخ والسيرة والتفسير حيث نظر فى آيات الاحكام وانتزع منها الدلالات البديعة وسلك الى تفسيرها السبل الوسيعة كما استنبط النكت الحكيمة والاحكام الفقهية من متون الاحاديث وفرقها على الابواب بحسب تناسبها مترجما بها لما يريده ويقصد اليه وقد تناول ابن حجر هذه التراجم فوضع لها ضوابط ونوعها وقسمها وأزال ما فى بعضها من خفاء وغموض حتى يتجلى غرض البخاري منها وسوف أشرع فى تفصيل ذلك فأقول الترجمة هى العنوان الذى جعله البخاري رمزا لما قصد اليه وأراده ثم يسوق تحتها الاحاديث[1] وهذه الترجمة نوعان : ظاهرة ، خفية .

فالظاهرة : أن تكون الترجمة دالة بطريق المطابقة على ما ساقه من الاحاديث التى تضمنتها كأن يقول هذا الباب الذى فيه كيت وكيت كناية عن الافعال أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلانى .

وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم له كقوله فى كتاب الجهاد — باب من جهز غازيا أو خلفه بخير فهذه الترجمة لفظ حديث الباب " من جهز غازيا فقد غزا " الحديث .

وكقوله فى كتاب الطب — باب ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء — فهذه الترجمة لفظ حديث الباب " ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء " .

وقد تكون ببعض ألفاظه كقوله فى كتاب العلم " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين فهذه الترجمة بعض حديث الباب وتمامه (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله) الحديث .

---

(١) شرح تراجم أبواب البخاري لشاه ولى الله الدهلوى ص ٢

وقد تكون بمعناه كقوله فى كتاب العلم — باب طرح الامام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم — وهذه الترجمة بمعنى حديث الباب ولفظه " ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانما مثل المسلم حدثونى ما هى) الحديث .

وهذا هو الغالب على تراجمه

وأما التنبيه : فهو أن يأتى فى الترجمة بلفظ عام ويكون المترجم له من الاحاديث خاصا . تنبيها منه على أن الحكم عام وأن الحديث وان كان خاصا فهو مراد به العموم وقد يكون الامر على عكس ذلك — أى أن الترجمة بلفظ خاص والمترجم له مسلم — فنبه بالترجمة على أن الحديث وان كان عاما الا أنه يراد منه الخصوص كقوله فى كتاب الوضوء — باب ما جاء فى غسل البول وقال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحب القبر كان لا يستتر من بوله ولم يذكر سوى بول الناس — وساق فيه حديث ابن عباس ولفظه مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما ليعذبان " الحديث " أما أحدهما فكان لا يستتر من البول " وقد أراد البخارى بقوله فى الترجمة — ولم يذكر سوى بول الناس — أن المراد بقوله فى رواية الباب " كان لا يستتر من البول " بول الناس لا بول سائر الحيوان فيحمل العام فى الحديث على الخاص فى الترجمة

وعلى هذا النمط فى المطلق والمقيد وشرح المشكل(١) وتفسير الغامض وتأويل الظاهر وتفصيل المجمل وهذا الموضع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب ولهذا اشتهر عن جمع من الفضلاء " فقه البخارى فى تراجمه " وأكثر ما يفعل البخارى ذلك اذا لم يجد حديثا على شرطه فى الباب ظاهر المعنى فى المقصد الذى ترجم به . وقد يفعل ذلك لغرض شحذ الاذهان فى اظهار مضمره واستخراج خبيئه .

وكثيرا ما يترجم بلفظ الاستفهام كقوله فى أبواب الكسوف — باب هل يقول كسفت الشمس أو خسفت — وذلك حيث لا يتجه له القطع بأحد الاحتمالين وغرضه لبيان أيثبت ذلك الحكم أو لم يثبت فيترجم على الحكم ومراده ما يتفسر بعد من اثباته أو نفيه أو أنه محتمل لهما .

وكثيرا ما يترجم بأمر ظاهره أنه قليل الجدوى ولكنه اذا حققه المتأمل كان كثير النفع — كقوله فى كتاب الوضوء — باب الاستنجاء بالماء — فانه قصد الرد على من كره ذلك أو نفى وقوعه من النبى صلى الله عليه وسلم وكقوله فى كتاب الصلاة — باب قول الرجل لم نصل ما صلينا — فانه أشار به الى الرد على من كره ذلك .

وكثيرا ما يترجم بأمر يختص ببعض الوقائع لا يظهر فى بادى الرأى كقوله — باب استياك الامام بحضرة رعيته — فانه لما كان الاستياك قد يظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يظن أن اخفاءه أولى مراعاة للمروءة فلما وقع فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم استاك بحضرة الناس دل على أنه من باب التطيب لا من الباب الاخر نبه على ذلك ابن دقيق العيد ويعقب ابن حجر على ذلك فيقول "ولم أر هذا فى البخارى فكأنه ذكره على سبيل المثال " .

وكثيرا ما يترجم بلفظ يوحى الى معنى حديث لم يصح على شرطه أو يأتى بلفظ الحديث الذى لم يصح على شرطه صريحا فى الترجمة ويورد فى الباب ما يؤدى معناه — تارة بأمر ظاهر وتارة بأمر خفى ومن ذلك قوله فى كتاب الوضوء — باب لاتقبل صلاة بغير طهور — فهذا حديث ليس على شرطه أخرجه مسلم وأبو داود وأورد فيه ما يقوم مقامه وهو " لا تقبل صلاة من أحد حتى يتوضأ " الحديث .

وكقوله باب اذا التقى الختانان — فهذا حديث ليس على شرطه أخرجه البيهقى وأورد فيه حديث " اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل " وربما اكتفى أحيانا بلفظ الترجمة التى هى لفظ حديث لم يصح على شرطه وأورد معها أثرا أو آية فكأنه يقول لم يصح فى الباب شىء على شرطه يقول ابن حجر وللغفلة عن هذه المقاصد الدقيقة اعتقد من لم يمعن النظر أنه ترك الكتاب بلا تبييض وبالجملة فتراجمه حيرت الافكار وأدهشت العقول والابصار ولقد أجاد القائل أعيا فحول العلم حل رموز ما أبداه فى الابواب من أسرار (١) .

ويلاحظ أن البخارى أحيانا يذكر الترجمة ولا يذكر تحتها حديثا وقد قال ابن حجر فى الفتح عن مثل هذا كأنه أراد أن يكتب حديثا فاخترمته المنية قبل ذلك .

كما يلاحظ أنه أحيانا أخرى يذكر لفظه باب فقط من غير أن يسوق بعدها ترجمة وقد أشار ابن حجر الى أن ذلك كالفصل من الباب قبله .

على أن ولى الله الدهلوى فى شرح تراجم أبواب البخارى رأى أن مثل هذا الاخير من البخارى بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة

---

(١) ابن حجر المقدمه ص ١١ ، ١٢

(المبحث الرابع)

تحقيقه للاحاديث التى انتقدها بعض الحفاظ فى كتاب الجامع الصحيح

تمهيد :

ليس هناك كتاب يجل عن أن تناله أقلام الباحثين بالنقد ويرتفع عن أن يسجلوا عليه مآخذهم الا كتاب الله تعالى ، فانه " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) .. " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٢) وما وراء ذلك من سائر الكتب والمؤلفات مهما بلغت درجته من الصحة وأيا كانت قيمته العلمية ففيه مجال للنظر معرض للنقد والمؤاخذه والتفنيد وكتاب الجامع الصحيح مع جلاله قدره وسمو منزلته بين كتب السنة واتفاق العلماء على أنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى قد سجل عليه بعض الحفاظ مآخذهم ووجهوا طعونهم وانتقاداتهم الى عدد من أحاديثه وقد أشار الى هذه الانتقادات بعض من له عناية بالصحيح من العلماء .

فابن الصلاح مثلا قال مصرحا بأن فى الجامع الصحيح أحاديث متنازع فى صحتها ولم تتلق بالقبول وعبارته فى هذا الصدد " الا مواضع يسيره انتقدها عليه الدارقطنى وغيره " ٣

والامام النووى أيضا أشار الى هذه الانتقادات فقال فى مقدمة شرح مسلم ما نصه " فصل قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطهما ونزلت عن درجة ما التزماه وقد ألف الدارقطنى فى ذلك وغيره وقد أجيب عن ذلك أو أكثره " ٢ .

وقد جاء من بعدهما الحافظ ابن حجر فتتبع هذه الانتقادات وحررها وقسمها وأجاب عنها وأظهر أن هذه المآخذ لا تؤثر فى أصل موضوع الكتاب الا فى القليل النادر وقد سلك ابن حجر فى تحقيق هذه الاحاديث والاجابة عنها طريقين - اجمالى وتفصيلى .." ٤ ".

---

(١) سورة هود آية رقم ١
(٢) سورة فصلت آية رقم ٤٢
(٣) مقدمة الفتح ص ٢٤٤

أما الاجمالى فيتلخص فيما يأتى :

لا ريب فى تقديم الشيخين على أئمة عصرهما ومن بعده فى معرفة الصحيح والمعلل وقد أشرنا عند الحديث على كتاب الجامع الصحيح ان البخارى قال " ما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى وثبتت صحته)

وروى الامام مسلم أنه قال " عرضت كتابى على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار الى أن له علة تركته " فاذا علم هذا وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث الا ما ليس له علة أو له علة الا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون كلامه معارضا بتصحيحهما ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة . (١)

ثانيا : الجواب التفصيلى وملخصه

أن الاحاديث التى انتقدت عليهما تنقسم الى ستة أقسام :

الاول ما تختلف الرواه فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد فان أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيده وعلله الناقد بالطريق الناقصة كما فى حديث ابن جريج اذ أخرجاه عن الزهرى عن عبد الرحمن ابن عبدالله عن ابيه وعمه عبيدالله بن كعب عن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد الحديث قال الدارقطنى وقد خالف فيه ابن جريج معمرا فقال عن الزهرى عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهرى عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر قال الدارقطنى ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه قال الحافظ ابن حجر قول معمر وغيره عن عبدالرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبه الى جده فتكون روايتهم منقطعة وهذا الجواب صحيح من الدارقطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لا يضر (٢) فهو تعليل مردود لان الراوى ان كان سمعه بالزيادة لا تضر لانه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه وان كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع كما فى حديث الاعمش عن مجاهد عن طاوس .

---

(١) ابن حجر المقدمه ص ٣٤٥

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٦٢، ٣٤٥ حديث رقم ٤٥

عن ابن عباس في قصته القبرين وأن أحدهما كان لا يستبرئ من بوله .. قال الدارقطني وقد خالفه منصور فقال عن مجاهد عن ابن عباس وأخرج البخاري حديث منصور على اسقاطه طاوسا وهذا الحديث أخرجه البخاري في الطهارة عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير وفي الادب عن محمد بن سلام عن عبيدة بن حميد كلاهما عن منصور به ورواه من طريق أخرى من حديث الاعمش وأخرجه باقي الائمة الستة من حديث الاعمش وأخرجه أيضا أبو داود أيضا والنسائي وابن خزيمة في صحيحه من حديث منصور أيضا وقال الترمذي بعد أن أخرجه رواه منصور عن مجاهد عن ابن عباس وحديث الاعمش أصح يعني المتضمن للزيادة .. قال الحافظ ابن حجر وهذا في التحقيق ليس بعلة لان مجاهدا لم يوصف بالتدليس وسماعه من ابن عباس صحيح في جملة من الاحاديث ومنصور عندهم أتقن من الاعمش مع أن الاعمش أيضا من الحفاظ فالحديث كيفما دار دار على ثقة والاسناد كيفما دار كان متصلا فمثل هذا لا يقدح في صحة الحديث اذا لم يكن راويه مدلسا وقد أكثر الشيخان من تخريج مثل هذا (١) والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لا يحل الصحيح (٢)

وان أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه البخاري فينظر ان كان ذلك الراوي صحابيا أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه ادراكا بينا أو صرح بالسماع ان كان مدلسا من طريق أخرى فان وجد ذلك اندفع الاعتراض به .

وان لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهر فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه انما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وعاضد أو ما حفته قرينه في الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع وذلك كحديث أبي مروان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اذا صليت الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون .

---

(١) مقدمه الفتح صـ ٢٤٨ حديث رقم (٢)

(٢) المقدمـه ص ٣٤٥ .

الحديث قال الدارقطني فهذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة ووصله مالك عن أبي الاسود وعن عروة كذلك في الموطأ .

قال الحافظ بن حجر حديث مالك عند المصنف في هذا المكان مقرون بحديث أبي مروان وقد وقع في بعض النسخ وهي رواية الاصيلي في هذا عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزي في الاطراف لكن معظم الروايات على اسقاط زينب وهو الصحيح المحفوظ من حديث هشام وانما اعتمد البخاري فيه رواية مالك التي أثبت فيها ذكر زينب ثم ساق معها رواية هشام التي سقطت منها حاكيا للخلاف فيه عن عروة كعادته مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس مستبعد (١)

الثاني ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الاسناد فان أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعا . فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك ـ أي الاسناد ـ متعادلين في الحفظ والعدد . (٢)

وذلك كما في البخاري في بدأ الخلق من حديث اسرائيل عن الاعمش ومنصور جميعا عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فنزلت والمرسلات الحديث قال الدارقطني لم يتابع اسرائيل عن الاعمش عن علقمة أما عن منصور فتابعة شيبان عنه وكذا رواه مغيره عن ابراهيم . اه(٢)

قال الحافظ ابن حجر وقد حكى البخاري الخلاف فيه وهو تعليل لا يضر (٢)

وان امتنع الجمع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متفاوتين في الحفظ والعدد . فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير اليها والتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح اذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف وحينئذ فينبغي الاعتراض عن هذا سبيله وفي البخاري في كتاب الجنائز من ذلك حديث الليث عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين قتلى أحد ويقدم أقرأهم قال الدارقطني .. رواه ابن المبارك

---

(١) مقدمه ص ٣٥٦ حديث رقم ٢٤ .

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٦٣ حديث رقم ٤٨ .

(٢) مقدمة الفتح ص ٢٤٦

عن الاوزاعى عن الزهرى مرسلا عن جابر ورواه معمر عن الزهرى عن ابن أبى صغيرة عن جابر ورواه سليمان ابن كثير عن الزهرى حدثنى من سمع جابرا وهو حديث مضطرب (١)

قال الحافظ بن حجر أطلق الدارقطنى القول بأنه مضطرب مع امكان نفى الاضطراب عنه بأن يفسر المبهم الذى فى رواية سليمان بالمسمى الذى فى رواية الليث وتحمل رواية معمر على أن الزهرى سمعه من شيخين وأما رواية الاوزاعى المرسلة فقصر فيها بحذف الواسطة فهذه طريقة من ينفى الاضطراب عنه وقد ساق البخارى ذكرا لخلاف فيه وانما أخرج رواية الاوزاعى مع انقطاعها لان الحديث عنده عن عبدالله بن المبارك عن الليث والاوزاعى جميعا عن الزهرى فاسقط الاوزاعى عبدالرحمن بن كعب وأثبته الليث وهما فى الزهرى سواء وقد صرحا جميعا بسماعهما له منه فقلب زيادة الليث لثقته ثم قال بعد ذلك ورواه سليمان بن كثير عن الزهرى عمن سمع جابرا وأراد بذلك اثبات الواسطة بين الزهرى وبين جابرا فيه أى فى السند المذكور فى الجملة وتأكيد رواية الليث بذلك ولم يرها البخارى علة توجب اضطرابا وأما رواية معمر فقد وافقه عليها سفيان بن عيينة فرواة عن الزهرى عن أبى صغيرة وقال ثبتنى فيه معمر فرجعت روايته الى رواية معمر ولا يخفى أن رواية الليث أرجح الروايات وأن البخارى لا يعل الحديث بمجرد الاختلاف أهـ (٢) .

الثالث : ما تفرد بعض الرواه بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به الا أن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع أما ان كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا أى لا تؤثر نعم ان صح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة فى المتن من كلام بعض رواته فيؤثر ذلك وفى الصحيحين من ذلك فى كتاب العتق حديث قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة من أعتق شقيصا وذكر فيه الاستسقاء من حديث ابن أبى عروة وجرير بن حازم قال الدارقطنى وقد روى هذا الحديث شعبة وهشام وهما أثبت الناس فى قتادة فلم يذكرا فى الحديث الاستسقاء

---

(١) هو أحد الشيخين المذكورين للزهرى وبهذا لا يكون اضطراب أصلا .

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٥٤ حديث رقم ١٧

ووافقهما وفصل الاستسقاء من الحديث فجعلـه من رأى قتادة لا من رواية أبي هريرة وهذا أولى بالصواب من حديث ابن عروبة وجرير بن حازم قال الحافظ ابن حجر تعقيبا على ما ذهب إليه الدارقطني وقد اختلفت فيه على همام وعلى هشام وأشبعت الكلام عليه في تقريب المنهج بترتيب المدرج أ هـ (١)

الرابع : ما انفرد به بعض الرواة ممن ضعف منهم وليس في صحيح البخاري من هذا القبيل غير حديثين في كتاب الجهاد وقد توبعا .

أحدهما / حديث أبي بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي الانصاري عن أبيه عن جده قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال لها اللحيف قال الدارقطني وأبي هذا ضعيف ضعفه أحمد وابن معين وقال النسائي ليس بالقوي . لكن تابعه عليه أخوه عبد المهيمن بن عباس وروى له الترمذي وابن ماجه (٢) .

ثانيهما : حديث اسماعيل بن أبي أويس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر استعمل مولى له يسمى هنيا على الحمى الحديث بطوله قال الدارقطني انما ذكر هذا الموضوع من حديث اسماعيل خاصة وأعرض عن الكثير من حديثه عند البخاري لكون غيره شاركه في تلك الاحاديث . وتفرد بهذا فان كان كذلك فلم يتفرد به بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية اسماعيل سواء .(٤)

الخامس : ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله فمنه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا وانما يرويه عن مثل هذا اعتمادا على كون ما رواه معروفا من رواية الثقات فلا يكون ذلك قادحا في صحة الحديث ومثاله حديث أبي مالك الاشعري عنه صلى الله عليه وسلم ليكون في أمتي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف الحديث وقد خالف في ذلك ابن حزم فزعم أن هذا الحديث وان أخرجه البخاري فهو غير صحيح لانه قال فيه هشام بن عمار وساقه باسناده فهو منقطع ومنه (٥) ما لا يؤثر كان يكون ضعف الضعيف المذكور طرأ بعد أخذه عنه باختلاط حديث عليه غير قادح فيما رواه قبل في زمن استقامته فان الثقة اذا خلط الاختلال ضبطه بهرم أو نحوه قبل حديث من أخذ عنه قبل الاختلاط .

السادس : ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا لا يترتب عليه قدح لامكان

---

(١) مقدمة الفتح ص ٣٥٩ حديث رقم ٣٤

(٢) مقدمة الفتح ص ٣٨٦

(٣) مقدمة الفتح ص ٣٦٠

(٤) المصدر ص ٣٦١

(٥) مقدمة القسطلاني ص ٩٤

الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح كحديث جابر في قصة جملة الذي اشتراه منه النبي صلى الله عليه وسلم فقد اختلفت الطرق التي فيها الاشتراط وعدمه ورجح الاولى على الثانية وروى كون الثمن غير أوقية وخرج كونه أوقية وحديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين حيث وقع فيه الاختلاف في التقديم والتأخير وتبديل بعض الالفاظ بأخرى ففي بعض الطرق أنسيت أم قصرت الصلاة وفي بعضها أقصرت الصلاة أم نسيت وفي بعضها كل ذلك لم يكن وفي بعضها لم أنس ولم تقصر الى غير ذلك من الاحاديث .

قال الحافظ بن حجر " فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها لانظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله الا النادر وعدة ما في البخاري من ذلك مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهما اثنان وثلاثون حديثا ومنها ما تفرد بتخريجه وهي ثمانية وسبعون حديثا وسوف نسوق فيما يأتي - زيادة على ماتقدم - نماذج من الاحاديث التي حررها ابن حجر وحققها على سبيل التمثيل لا الحصر حتى تظهر بوضوح وجلاء جهوده وتحقيقاته وسداد اجابته فنقول وبالله التوفيق . (١)

النموذج الأول : من كتاب الغسل

قال الدارقطني وأخرج البخاري عن أبي معمر عن عبد الوارث عن الحسين المعلم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عطاء بن يسار عن زيد بن خالد الجهني أنه سأل عثمان بن عفان عن الرجل يجامع أهله ولا يمني فقال عثمان يتوضأ ويغسل ذكره سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسألت عن ذلك عليا والزبير وطلحة وأبي بن كعب فأمروه بذلك قال يحيى بن أبي كثير وأخبرني أبو سلمة أيضا أن عروة أخبره أن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدارقطني وهذا وهم وهو قوله أن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أبا أيوب لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمعه من أبي بن كعب . (٢)

---

(١) المقدمة ص ٣٤٦

(٢) المقدمة ص

كذلك رواه هشام بن عروة عن أبيه وقد أخرجه البخاري من حديث هشام على الصواب أهـ وقد وافق البخاري مسلم على تخريجه على الوجهين .. وقال الخطيب قوله أن أبا أيوب سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم خطأ فان جماعة من الحفاظ رووه عن هشام عن أبيه عن أبي أيوب عن أبي بن كعب قال الحافظ بن حجر وغاية ما في هذا أن أبا سلمة وهشاما اختلفا فزاد هشام فيه ذكر أبي كعب ولا يمنع ذلك أن يكون أبو أيوب سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه أيضا من أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أن أبا سلمه أجل وأسن وأتقن من هشام بل هو من أقران عروة والد هشام فكيف يقضى لهشام عليه بل الصواب أن الطريقين صحيحان ويحتمل أن يكون اللفظ الذي سمعه أبو أيوب من أبي كعب غير اللفظ الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم لأن سياق حديث أبي كعب عند البخاري يقتضي أنه هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة فتضمن زيادة فائدة ، وحديث أبي أيوب عنده لم يسق لفظه بل أحال به على حديث عثمان كما ترى وعلى تقدير أن يكون أبو أيوب في نفس الامر لم يسمعه الا من أبي ابن كعب فهو مرسل صحابي وقد اتفق المحدثون على أنه في حكم الموصول وقد أخرج مسلم في صحيحه شبيها به ولم يتعقبه الدارقطني وهو حديث ابن عباس في قصة ارسال معاذ بن جبل الى اليمن قال في بعض الروايات عن ابن عباس عن معاذ وفي بعضها عن ابن عباس قال أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذا فلماذا يريد ابن حجر يريد أن يصف الدارقطني بالتحامل على البخاري أو أن يصفه بالغفلة عن مثل ما يعترض به ؟

على أن ابن حجر قد ذكر تعقبات أخرى على هذا الحديث لغير الدارقطني وحققها فقال وتعقب القاضي أبو بكر بن العربي حديث زيد بن خالد وزعم أن فيه ثلاث علل .

الاولى : أن مداره على حسين بن ذكوان المعلم ولم يصرح بسماعه له من يحيى ابن أبي كثير وانما جاء عن حسين قال قال يحيى بن أبي كثير .

الثانية :

أنه خولف فيه فرواه غيره عن يحيى بن أبي كثير موقوفا غير مرفوع .

الثالثة :

أن أبا سلمة قد خولف فيه فرواه زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن زيد بن [illegible]

خالــد موقوفــا عن جماعة من الصحابــة قال الحافــظ ابن حجــر والجــواب عن الاولــى أن ابن خزيمة والسراج والاسماعيلى وغيرهم رووا الحديث من طريق حسين بن المعلم مصرحاً فيــه بالاخبار ولفظ السراج بسنده الــى حسين أخبرنــا يحيــى ابن أبــى كثيــر أن أبا سلمة حدثــه الــخ .

وأما الجواب عن الثانيــة والثالــثــة فالتعليل المذكور بهما غير قادح لان روايــة حسين مشتملة علــى الرفع والوقف معا فاذا اشتمــل غيرها علــى الموقــوف فقط كانت هى مشتملة علــى زيادة لاتنافى الروايــة الاخرى فتقبــل من الحفاظ فتبين أن التعليل بذلك ليس بقادح ١٠ أ هـ (١)

النموذج الثانــى : من كتاب الصــلاة :

قال الدارقطنى وأخرجا جميعا حديث شعبة عن عمرو عن جابر اذا جاء أحدكم ، والامام يخطب فليصــل ركعتين ، وقد رواه ابن جريج وابن عيينه وحماد بن زيــد وأيوب وورقاء وحبيب ابن يحيــى كلهم عن عمرو أن رجــلا دخل المسجد فقال لــه صليت قال الحافظ ابن حجر هذا يوهم أن هــولاء أرسلوه وليس كذلك فقد أخرجــه الشيخان من روايــة حماد بن زيــد وسفيان بن عيينه ومسلم من حديث أيوب وابــن جريج كلهم عن عمرو بن دينار موصولا ، وانما أراد الدارقطنى أن شعبة خالف هولاء الجماعــة فى سياق المتن واختصــره وهم انما أوردوه علــى حكايــة قصــة الداخــل وأمــر النبى صلــى اللــه عليــه وسلم له بصلاة ركعتين والنبى صلــى اللــه عليه وسلم يخطب وهى قصــة محتمله للخصوص وسياق شعبة يقتضى العمــوم فــى حق كل داخل فهى مع اختصارها أزيد من روايتهم وليست بشاذة فقد تابعه روح بن القاسم عن عمرو بن دينار أخرجه الدارقطنى فى السنن فهــذا يدل علــى أن عمرو بن دينار حدث به علــى الوجهين واللــه أعلــم أ هـ (٢)

النموذج الثالــث : من كتاب الجنائــز :

قال الدارقطنى أخرج البخــارى حديث داود بن أبى الفرات عن ابن بريده عن أبــى الاسود عن عمر مر بجنازة فقال وجبت الحديث وقد قال علــى بن المدينــى ان ابن بريده انما يروى عن يحيى بن يعمــر عن أبــى الاسود ولم يقل فــى هــذا

---

(١) المقدمة ص ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٢) المقدمة ص ٢٥٢

الحديث سمعت أبا الاسود .

قال الدارقطني : قلت أنا وقد رواه وكيع عن عمر بن الوليد الشني عن ابن بريده عن عمر ولم يذكر بينهما أحداً أ هـ

قال الحافظ ابن حجر ولم أره الى الآن من حديث عبدالله بن بريده الا بالعنعنه فعلته باقية وهي التدليس من عبدالله بن بريده وهذا منتهى الامانة العلمية من ابن حجر حيث سلم بالطعن احقاقا للحق وانصافا للمعترض لكنه استدرك فقال الا أن يعتذر للبخارى عن تخريجه بأن اعتماده فى الباب انما هو على حديث عبدالعزيز بن صهيب عن أنس بهذه القصة سواء وقد وافقه مسلم على تخريجه وأخرج البخارى حديث أبي الاسود كالمتابعة لحديث عبدالعزيز بن صهيب فلم يستوف أى البخارى العلل عنه كما يستوفيها فيما يخرجه فى الاصول[1] وهذا اعتذار حسن من ابن حجر لكنه مستبعد

أولا : لان البخارى لم يصرح بالمتابعة اذا لو كان مراده ذلك لصرح بها فهذا دليل على أنه أخرجه فى الاصول .

ثانيا : إن المتابعات ليست موضوع الصحيح والدارقطني يدرك ذلك لذا لم يتعقبه فيها فتعقبه له فى هذا الحديث دليل على أن البخارى انما أخرجه فى الاصول ومبنى عليه الا كان الدارقطني عابثا فى تعقباته أ هـ .

النموذج الرابع : من كتاب الزكاة :

قال أبو مسعود الدمشقي أخرج البخارى حديث شعيب بن اسحاق عن الاوزاعى قال أخبرني يحيى بن أبي كثير أن عمرو بن يحيى بن عمارة أخبره عن أبيه أنه سمع أبا سعيد يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة الحديث وقد رواه ابن رشيد وهشام بن خالد عن شعيب عن الاوزاعى عن يحيى غير منسوب ورواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن عبدالرحمن ابن أبي عمرو عن يحيى بن سعيد ورواه عبدالوهاب بن نجدة عن شعيب عن الاوزاعى قال حدثني يحيى ابن سعيد أ هـ كلامه .

قال الحافظ بن حجر واقتضى كلامه أمرين أحدهما أن شيخ البخارى وهو

---

(1) مقدمة الفتح ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

اسحق بن يزيد وهم فى نسبة يحيى فقال ابن أبى كثير وانما هو يحيى بن سعيد بدليل ر.
رواية عبدالوهاب وأن داوود وهشام لم ينسباه .
ثانيهما أنه اختلف فيه على الأوزاعى مع ذلك بزيادة رجل فيه بينه وبين يحيى
ابن سعيد من رواية الوليد بن مسلم واذا تأملت ما ذكره لم تجد ما اختاره مستقيما
بل رواية الوليد بن مسلم تدل على أنه لم يكن عند الاوزاعى عن يحيى بن سعيد الا —
بواسطة وقد صرح شعيب عنه بأن يحيى أخبره فاقتضى ذلك أن رواية عبدالوهاب بن
نجده إما موهومة واما مدلسة ورواية اسحاق عن شعيب صحيحه وصريحة وقد وجدت
لاسحق فيه متابعا عن شعيب وذلك فيما أخرجه أبو عوانة فى صحيحه قال حدثنا أبو
ابراهيم الزهرى وكان من الأبدال حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبدالرحمن حدثنا
شعيب بن اسحاق حدثنا الاوزاعى قال أخبرنى يحيى بن أبى كثير فذكره سواء وهكذا أخرجه
الاسماعيلى فى مستخرجه من طريق سليمان بن عبدالرحمن ثم قال الحديث مشهور
عن يحيى بن سعيد رواه الخلق عنه وقد رواه داود بن رشيد عن شعيب عن الاوزاعى عن
يحيى بن سعيد قال ابن حجر وهو يدل لما قلناه أن رواية الاوزاعى له عن يحيى بن
سعيد مدلسة وعن يحيى بن أبى كثير مسموعة وكأنه كان عند شعيب بن اسحاق عن
الأوزاعى على الوجهين والله أعلم .(١)

النموذج الخامس : من كتاب التفسير :

قال الخطيب أخرج البخارى عن مسروق عن أم رومان رضى الله عنها وهى أم عائشة
طرفا من حديث الافك وهو وهم إذ لم يسمع مسروق من أم رومان لأنها توفيت
فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان لمسروق حين توفيت ست سنين قال وخفيت
هذه العلة على البخارى وأظن مسلما فطن لهذه العلة فلم يخرجه ولو صح هذا لكان
مسروق صحابيا لامانع له من السماع من النبى صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه مرسل
قال ورأيته فى تفسير سورة يوسف من الصحيح عن مسروق قال سألت أم رومان فذكره
قال وهو من رواية حصين عن شقيق عن مسروق وحصين اختلط فلعله حدث به بعد اختلاطه
وقد رأيته من رواية أخرى عن شقيق عن مسروق قال سئلت أم رومان فلعل قوله فى رواية

---

(١) مقدمة الفتح ص ٣٥٥

البخارى سألت تصحيف من مثلث وقال ابن عبد البر رواية مسروق عن أم رومان مرسلة وتبعه القاضى عياض وتبعهما جماعة من المتأخرين المقلدين للخطيب وغيره قال الحافظ ابن حجر وعندى أن الذى وقع فى الصحيح هو الصواب والراجح .. وذلك أن مستند هؤلاء فى انقطاع الحديث انما هو ما روى عن على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف أن أم رومان ماتت سنة ستة وأن النبى صلى الله عليه وسلم حضر دفنها وقد نبه البخارى فى تاريخه الأوسط والصغير على أنها رواية ضعيفة فقال فى فصل من مات فى خلافة عثمان رضى الله عنه قال على بن زيد عن القاسم ماتت أم رومان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم سنة ست قال البخارى وفيه نظر وحديث مسروق أسند سمع من أم رومان فى خلافة عمر وقال أبو نعيم الأصفهانى عاشت أم رومان بعد النبى صلى الله عليه وسلم دهرا ثم تابع الحافظ ابن حجر كلامه فقال ومما يدل على ضعف رواية على بن زيد بن جدعان ما ثبت فى الصحيح من رواية أبى عثمان النهدى عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء فذكر الحديث فى قصة أضياف أبى بكر وفيه قال : قال عبد الرحمن انما هو أنا وأمى وامرأتى وخادم بيتنا الحديث وأم عبد الرحمن هى أم رومان لأنه شقيق عائشة وعبد الرحمن إنما أسلم بعد سنة ست وذكر الزبير بن بكار من طريق ابن عيينة عن على بن زيدان أن اسلام عبد الرحمن كان قبل الفتح وكان الفتح فى رمضان سنة ثمانية فبان ضعف ما قال على بن زيد فى تقييد وفاة أم رومان مع ما اشتهر من سوء حفظه فى غير ذلك فكيف تعل به الروايات الصحيحة المعتمدة والله أعلم (١)

النموذج السادس : من كتاب الطلاق :

قال أبو على الغسانى قال البخارى حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام ابن يوسف عن ابن جريج قال : قال عطاء عن ابن عباس كان المشركون على منزلتين من النبى صلى الله عليه وسلم ... الحديث .

تعقبه أبو مسعود الدمشقى فقال ثبت هذا الحديث بهذا الاسناد سوى الحديث المتقدم فى التفسير من تفسير ابن جريج عن عطاء الخرسانى عن ابن عباس وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراسانى وانما أخذ الكتاب من ابنه عثمان ونظر فيه

---

(١) الجزء ص ٢٧١

قال أبو على الغسانى وهذا تنبيه بديع من أبى مسعود فقد روينا عن صالح بن أحمد ابن حنبل عن على بن المدينى قال سمعت هشام ابن يوسف يقول قال لى جريج سألت عطاء يعنى ابن أبى رباح عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال اعفنى من هذا قال هشام بعد اذ قال عطاء عن ابن عباس قال الخراسانى قال هشام فكتبنا ثم مللنا يعنى كتبنا أنه عطاء الخراسانى قال على بن المدينى كتبت أنا هذه القصة لان محمد بن ثور كان يجعلها عطاء عن ابن عباس فظن الذين حملوها عنه أنه عطاء بن أبى رباح قال على يعنى ابن المدينى — • وسألت يحيى بن القطان عن حديث ابن جريج عن جريج عن عطاء الخراسانى فقال ضعيف فقلت ليحيى انه يقول أخبرنا قال لاشىء كله ضعيف انما هو من كتاب دفعه اليه •

قال الحافظ ابن حجر ففيه نوع اتصال ولذلك استجاز ابن جريج أن يقول فيه أخبرنا لكن البخارى ما أخرجه الا على أنه من رواية عطاء ابن أبى رباح وأما الخراسانى فليس من شرطه لانه لم يسمع من عباس ثم استدرك الحافظ بعد ذلك فقال لكن لقائل أن يقول هذا ليس قاطع فى أن عطاء المذكور هو الخراسانى فان ثبوتهما فى تفسيره لا يمنع أن يكون عن عطاء بن أبى رباح أيضا فيحتمل أن يكون هذان الحديثان عن عطاء ابن أبى رباح وعطاء الخراسانى فهذا الجواب اقناعى وهذا عندى من المواضع العقيمة عن الجواب السديد ولا بد للجواد من كبوة (١)

النموذج السابع •• من كتاب الذبائح :

قال الدارقطنى أخرج البخارى حديث عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن كعب ابن مالك عن أبيه أن جارية لكعب بن مالك • وعن مالك عن نافع عن رجل من • الانصار عن معاذ بن سعد أو سعد ابن معاذ أن جارية لكعب وعن جويرية عن نافع عن رجل من بنى سلمة أخبر عبد الله أن جارية لكعب بن مالك •• الحديث فى الذبح بالمروة قال ورواه الليث عن نافع سمع رجلا من الانصار يخبر عبد الله وهذا اختلاف بين وقد أخرجه •

---

(١) الجزء ص ٤٢٧٢ ٢٧

قال الدارقطني وهذا قد اختلف فيه على نافع وعلى أصحابه اختلف فيه على عبيد الله وعلى يحيى بن سعيد وعلى أيوب وعلى اسماعيل بن أمية وعلى موسى بن عقبة وعلى غيرهم وقيل فيه عن نافع عن ابن عمر ولا يصح والاختلاف فيه كثير .

قال الحافظ ابن حجر الحديث كما قال الدارقطني وعلته ظاهرة والجواب عنه فيه تكلف وتعسف . (١)

النموذج الثامن : من كتاب الادب :

قال الاسماعيلي أخرج البخاري عن اسحاق عن أبي المغيرة قال حدثنا الاوزاعي قال حدثنا الزهري عن حميد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف منكم فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا اله الا الله ومن قال لصاحبه فقال (تعال) أقامرك فليتصدق قال ولم يقل فيه أحد عن الاوزاعي حدثني الزهري الا أبو المغيرة وقد رواه الوليد وعمر بن عبد الواحد عن الاوزاعي عن الزهري معنعنا ورواه بشر بن بكر عن الاوزاعي قال بلغني عن الزهري قال وأبو المغيرة وبشر بن بكر صدوقان الا أن بشرا كان يعرض عن مثل هذا .

قال الحافظ بن حجر وهذا من المواضع الدقيقة ولكن الحديث في الأصل صحيح عن الزهري وقد أخرجه البخاري من حديث معمر وعقيل عنه (٢)

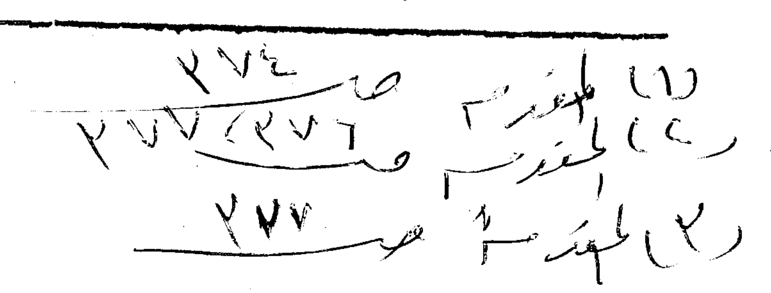
النموذج التاسع .. من كتاب الأدب :

قال الدارقطني ما ملخصه أن الشيخين أخرجا حديث الاعمش عن أبي موسى الاشعري المرء مع من أحب وأخرجاه من حديث الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله أيضا والطريقان محفوظان عن الاعمش .

قال الحافظ ابن حجر فلا معنى لاستدراكه . (٣)

النموذج العاشر .. من كتاب الرقاق :

قال الدارقطني أخرج البخاري حديث أبي غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يقاتل المشركين فقال هو من أهل النار الحديث وفيه أن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة وانه لمن أهل النار ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم قال وقد رواه ابن أبي حازم ويعقوب بن عبد الرحمن وسعيد الجمحي عن أبي حازم فلم يقولوا في آخره وانما الاعمال بالخواتيم .


(١) المقدمة ص ٣٧٤
(٢) المقدمة ص ٣٧٦، ٣٧٧
(٣) المقدمة ص ٣٧٧

قال الحافظ ابن حجر زاد أبو غسان وإنما الاعمال بالخواتيم وهو ثقة حافظ اعتمده البخاري[1] ومما تقدم يتضح أن بعض الانتقادات ضعيف من أساسه فلا معنى له كما في النموذج التاسع وبعضها الجواب عنه غير سديد وغير شافي كما في النموذج السادس وبعضها الجواب عنه بالتسليم كما في النموذج الثالث والاعتذار عن البخاري فيه وهن وما عدا هذه المواضع النادرة فمحقق ومحرر وأجوبته بحمد الله شافية وكافية وقد قال ابن حجر نفسه عقب استعراض هذه التعقبات وتحقيقها " هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الاسانيد المطلعون على خفايا الطرق وليست كلها من أفراد البخاري بل شاركه مسلم في كثير منها .. ثم قال .. وليست كلها قادحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف " أ هـ وبعد فهذا ما يتعلق بمبحث الانتقادات الموجهة الى المتن فالى مبحث الانتقادات والطعون الموجهة الى الرجال .

" المبحث الخامس "

تحقيقه ورده على ما وجه من الطعون الى رجال صحيح البخاري .

ذكرنا في المبحث السابق أن بعض الحفاظ والمحدثين انتقد على البخاري ، أحاديث أودعها في صحيحه ونود أن نشير هنا الى أنهم طعنوا عليه كذلك في عدد من الرجال الذين روى عنهم وأخذ منهم وتبلغ عدتهم عشرين غير أن هاتيك الطعون لا تؤثر في الصحيح ولا تقلل من قيمته العلمية في نظر العلماء ، ذلك أن المطعون فيهم غالبهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم فهو بهم وبأحوالهم أعرف ولهم أخبر يضاف الى ذلك أنه لم يكثر من تخريج أحاديثهم وقد انبرى الحافظ ابن حجر من بين حفاظ عصره بل وتقدم على من سبقه — فرد تلك الطعون وبين أسبابها وأجاب عنها فقال . ما ملخصه

ينبغي لكل مصنف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لاي راو كان مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته مع ما انضاف لذلك من اطباق جمهور الامة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في

---

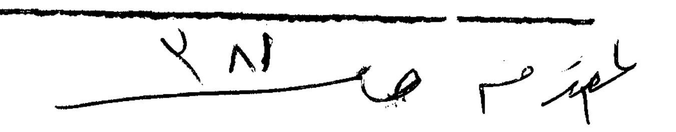
(١) هدي ص

الصحيحين فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا من خرج له فى الاصول أما من خرج له فى المتابعات والشواهد والتعاليق فدرجاتهم متفاوته فى الضبط والعداله وغير ذلك مع حصول اسم الصدق وحينئذ فاذا وجدنا لغيره طعنا فى أحدهم فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الامام بتخريجه له فلا يقبل الا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقا أو فى ضبطه لخبر بعينه لان الاسباب الحاملة للائمة على الجرح والقدح مختلفة ومتفاوته منها ما يقدح ومنها مالا يقدح فربما ظن ما ليس بقادح قادحا وقد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد فلا يعتد بذلك الا بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا فى أمر الدنيا فضعفوهم لذلك ولا أثر له مع الصدق والضبط وضعف بعضهم بعضا تحاملا كما حصل بين الاقران — وغير ذلك مما لاعبرة به ٠

من أجل هذا كله لا يقبل الطعن فى أحد منهم الا بقادح واضح لان أسباب القدح كما أشرنا اليه متفاوته ومختلفة ومدارها على خمسة أشياء أولا — البدعة ٠٠٠ ثانيا المخالفة ٠٠ ثالثا ٠٠ الغلط ٠٠ رابعا ٠٠٠٠ جهالة الحال ٠٠ خامسا ٠٠ دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى الراوى بأنه كان يدلس أو يرسل وهناك بيانها بالتفصيل ليتضح ويتبين ما يعد قادحا فى رجال الصحيح فيؤثر حينئذ ومالا يعد قادحا فلا أثر له فنقول وبالله التوفيق ٠

أولا ٠٠٠٠ جهالة الحال ٠٠٠ أما جهالة الحال فمندفعه عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لان شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه أنه معروف ولا شك أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا ممن يسوغ اطلاق اسم الجهالة عليه أصلا ٠

ثانيا : الغلط أما الغلط فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل فحيث يوصف بكونه كثير الغلط ينظر فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لاخصوص هذه الطريق وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس فى الصحيح من ذلك شىء ٠ (١)



وحيث يوصف بقلة الغلط كان يقال سيء الحفظ أوله أوهام أو له مناكير غير ذلك من العبارات فالحكم فيه كالحكم في الذي قبله الا أن الرواية عن هؤلاء في المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك .(١)

ثالثا . المخالفة ... أما المخالفة وينشأ عنها الشذوذ والنكارة فاذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه أو أكثر عددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ وقد تشتد المخالفة أو يضعف الحفظ فيحكم على ما يخالف فيه بكونه منكرا وهذا ليس في الصحيح منه الا نزر يسير وقد بين في الفصل السابق .

رابعا : دعوى الانقطاع .. وأما دعوى الانقطاع فمد فوعة عمن أخرج لهم البخاري لما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو ارسال أن تسبر أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة فان وجد التصريح فيها بالسماع اندفع الاعتراض والا فلا .

خامسا : البدعة .. وأما البدعة فاما أن يكفر الموصوف بها أو يفسق فالبدعة المكفرة بها لابد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الائمة كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الالهية في علي أو غيره أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة .

وأما البدعة المفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو وغيرهم من الطوائف المخالفين لأصول السنة ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله اذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا .

والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل حديث غير الداعية ويرد حديث الداعية وهذا المذهب هو الاعدل وصارت اليه طوائف من الائمة وادعى ابن حبان اجماع النقل عليه وفي ذلك نظر .

ثم ان القائلين بهذا التفصيل اختلفوا فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زاده تفصيلا فقال ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد بدعته ويزينها ويحسنها ظاهرا فلا تقبل وان لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعية فقال ان اشتملت روايته على ما ترد به بدعته قبل والا فلا قال الحافظ بن

---

(١) المقدمة ص ٣٨١

حجر وعلى هذا اذا اشتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال أبو الفتح القشيرى الى تفصيل آخر فيه فقال ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو اخمادا لبدعة واطفاء لناره وان لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع كونه صادقا متحرزا عن الكذب مشهورا بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة اهانته واطفاء بدعته ١٠ هـ (١)

وبعد ما قدمنا ينبغى لنا أن نورد نماذج من أسماء من طعن فيه من رجال الصحيح وحكاية ذلك الطعن وجواب ابن حجر عنه فنقول وبالله التوفيق

النموذج الاول :

أحمد بن صالح المصرى أبو جعفر بن الطبرى ... أحد أئمة الحديث الحفاظ المتقنين الجامعين بين الفقه والحديث أكثر عنه البخارى وأبو داوود واعتمده الذهلى فى كثير من أحاديث أهل الحجاز وثقه أحمد بن حنبل أو يحيى بن معين فيما نقله عنه البخارى وعلى بن المدينى وبن نمير والعجلى وأبو حاتم الرازى وآخرون وأما النسائى فكان سيء الرأى فيه ذكره مرة فقال ليس بثقة ولا مأمون أخبرنى معاوية ابن صالح قال سألت يحيى بن معين عن أحمد بن صالح فقال كذاب رأيته يخطيء فى الجامع بمصر اهـ

فاستند النسائى فى تضعيفه الى ما حكاه عن يحيى بن معين وهو وهم منه حمله على اعتقاده سوء رأيه فى أحمد بن صالح فنذكر أولا السبب الحامل له على سوء رأيه فيه ثم نذكر وجه وهمه فى نقله ذلك عن يحيى بن معين .

قال أبو جعفر العقيلى كان أحمد بن صالح لا يحدث أحدا حتى يسأل عنه فلما أن قدم النسائى مصر جاء اليه وقد صحب قوما من أهل الحديث الذى لا يرضاهم أحمد وشرع يشنع عليه وما ضره ذلك شيئا وأحمد ابن صالح امام ثقة وقال ابن عدى كان النسائى ينكر عليه أحاديث وهو من الحفاظ المشهورين بمعرفة الحديث ثم ذكر ابن عدى الأحاديث التى أنكرها النسائى وأجاب عنها ولبس فى البخارى مع ذلك منها شيء . وقال صالح جزرة لم يكن بمصر أحد يحفظ الحديث غير أحمد بن صالح وكان يذاكر بحديث الزهرى ويحفظه . وقال ابن حبان مارواه النسائى عن يحيى بن معين فى حق أحمد بن صالح فهو وهم وذلك أن أحمد بن صالح الذى تكلم فيه ابن معين هو رجل آخر غير ابن الطبرى وكان

---

(١) المقدمة ص ٣٨٢

يقال له الأشمونى وكان مشهورا بوضع الحديث وأما ابن الطبرى فكان يقارب ابن معين فى الضبط والاتقان ١٠ هـ

قال الحافظ بن حجر تعليقا على هذا وهو فى غاية التحرير ويؤيد ما نقلناه أولا عن البخارى أن يحيى بن معين وثق أحمد بن صالح بن الطبرى فتبين أن النسائى انفرد بتضعيف أحمد بن صالح بما لا يقبل حتى قال الخليلى اتفق الحفاظ على أن كلامه فيه تحامل وهو كما قاله وروى البخارى فى الصحيح أيضا عن رجل عنه وكذا الترمذى أ هـ (١)

النموذج الثانى :

أحمد بن عبدالملك بن واقد الحرانى وقد ينسب الى جده قال ابن نمير تركت حديثه لقول أهل بلده وقال الميمونى قلت لأحمد ان أهل حران يسيئون الثناء عليه فقال أهل حران قل أن يرضوا عن انسان يغشى السلطان بسبب ضيعة له قال الحافظ ابن حجر فأفصح أحمد بالسبب الذى طعن فيه أهل حران من أجله وهو غير قادح وقد قال أبو حاتم كان من أهل الصدق والاتقان روى عنه أحمد فى مسنده والبخارى فى الصلاة والجهاد والمناقب أحاديث شورك فيها عن حماد بن زيد وروى له النسائى وابن ماجه ٠ (٢)

النموذج الثالث :

إسرائيل بن يونس بن أبى اسحق السبيعى أحد الأثبات قال أحمد ثقة وتعجب من حفظه وقال مرة هو وابن معين وأبو داود كان أثبت من شريك وقال أيضا كان القطان يحمل عليه فى حال أبى يحيى القتات قال روى عنه مناكير وقال ابن معين هو أثبت فى أبى اسحاق من شيبان وقدمه أبو نعيم فيه على أبى عوانه وقدمه أحمد فى حديث اسحق على أبيه يونس بن أبى اسحق وكذا قدمه أبوه على نفسه وقال أبو حاتم ثقة صدوق من أتقن أصحاب أبى اسحق وقال ابن سعد كان ثقة وحدث عنه الناس حديثا كثيرا ومنهم من يستضعفه وقدم ابن معين وأحمد شعبة والثورى عليه فى حديث أبى اسحق وقدمه ابن مهدى عليهما وقال حجاج الأعور قلنا لشعبة حدثنا عن أبى اسحاق فقال سلوا اسرائيل فانه أثبت فيها منى وقال عيسى بن يونس سمعت اسرائيل يقول كنت أحفظ حديث أبى اسحق كما أحفظ السورة من القرآن ٠

---

(١) المقدمة ص ٣٨٢

(٢) المقدمة ص ٣٨٤

وقال العجلى ثقة صدوق متوسط فهذا ما قيل فيه من الثناء قال الحافظ ابن حجر وبعد ثبوت ذلك واحتجاج الشيخين به لايجمل من متأخر لا خبرة له بحقيقة حال من تقدمه أن يطلق على اسرائيل الضعف ويرد الاحاديث الصحيحة التى يرويها دائما لاستناده الى كون القطان كان يحمل عليه من غير أن يعرف وجه ذلك الحمل وقد بحثت عن ذلك فوجدت الإمام أبا بكر بن أبى خيثمة قد كشف علة ذلك وأبانها بما فيه الشفاء لمن أنصف قال ابن خيثمة فى تاريخه قيل ليحيى بن معين إن اسرائيل روى عن أبى يحيى القتات ثلثمائة وعن ابراهيم بن مهاجر ثلاثمائة يعنى مناكير فقال لم يؤت منه أتى منهما قلت وهو كما قال ابن معين فتوجه أن كلام يحيى القطان محمول على أنه أنكر الأحاديث التى حدثه بها اسرائيل عن أبى يحيى فظن أن النكارة من قبله وإنما هى من قبل أبى يحيى كما قال ابن معين وأبو يحيى ضعفه الأئمة النقاد فالحمل عليه أولى من الحمل على من وثقوه احتج به الأئمة كلهم أ هـ (١)

النموذج الرابع :

إسماعيل بن أبان الوراق الكوفى أحد شيوخ البخارى ولم يكثر عنه وثقه النسائى ومطين وابن معين والحاكم أبو أحمد وجعفر الصائغ والدارقطنى وقال فى رواية الحاكم عنه أثنى عليه أحمد وقال الجوزجانى كان مائلا عن الحق ولم يكن يكذب فى الحديث قال ابن عدى يعنى ما عليه الكوفيون من التشيع قال الحافظ ابن حجر — الجوزجانى كان ناصبيا منحرفا عن على فهو ضد الشيعى المنحرف عن عثمان والصواب موالاتهما جميعا ولا ينبغى أن يسمع قول مبتدع فى مبتدع وأما قول الدارقطنى فيه فقد اختلف ولهم شيخ يقال له اسماعيل ابن أبان الغنوى أجمعوا على تركه فلعله اشتبه به . أ هـ . (٢)

---

(١) المقدمة ص ٢٨٧

(٢) المقدمة ص ٢٨٨

النموذج الخامس :

اسماعيل بن أبى أويس عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى ابن اخت مالك بن أنس احتج به الشيخان الا أنهما لم يكثرا من تخريج حديثه ولا أخرج له البخارى مما انفرد به سوى حديثين وأما مسلم فأخرج له أقل مما أخرج له البخارى روى له الباقون سوى النسائى فإنه أطلق القول بضعفه روى عن سلمة بن شبيب ما يوجب طرح روايته واختلف فيه قول ابن معين فقال مرة لا بأس به وقال مرة ضعيف وقال مرة كان يسرق الحديث هو وأبوه وقال أبو حاتم محله الصدق وكان مغفلا وقال أحمد ابن حنبل لا بأس به وقال الدارقطنى لا أختاره فى الصحيح قال الحافظ ابن حجر وروينا فى مناقب البخارى بسند صحيح أن إسماعيل أخرج له أصوله وأذن له أن ينتقى منها وأن يعلم له على ما يحدث به ويعرض عما سواه وهو مشعر بأن ما أخرجه البخارى عنه هو من صحيح حديثه غير ما فى الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائى وغيره الا أن شاركه فيه غيره فيعتبر فيه أ هـ .(١)

النموذج السادس :

ثور بن زيد الديلى مولاهم المدنى شيخ مالك وثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائى وغيرهم وقال ابن عبدالبر صدوق لم يتهمه أحد وكان ينسب الى رأى الخوارج والقول بالقدر ولم يكن يدعو الى شىء من ذلك وفى الميزان للذهبى اتهمه ابن البرقى بالقدر ولعله اشتبه عليه بثور بن يزيد يعنى الذى بعد قال الحافظ ابن حجر لم يتهمه ابن البرقى ولم يشتبه عليه وإنما حكى عن مالك أنه سئل كيف رويت عن داود ابن الحصين وثور ابن زيد وذكر غيرهما وكانوا يرون القدر فقال كانوا لأن يخروا من السماء الى الارض أسهل عليهم من أن يكذبوا احتج به الجماعة .(٢)

النموذج السابع :

الحسن بن مدرك السدوسى أبو على الطحان قال النسائى فى أسماء شيوخه

---

(١) المصدر ص ٣٨٨

(٢) المصدر ص ٣٩٢

لا بأس به وقال ابن عدى كان من حفاظ أهل البصره وقال أبو عبيد الآجرى عن أبى داوود كان كذابا يأخذ أحاديث فهد بن عوف فيقلبها على يحيى بن حماد ...

قال الحافظ ابن الحجر إن كان مستنده أبي داوود فى تكذيبه هذا الفعل فهو لا يوجب كذبا لأن يحيى بن حماد وفهد بن عوف جميعا من أصحاب أبى عوانه فاذا سأل الطالب شيخه عن حديث رفيقه ليعرف ان كان من جملة مسموعه فحدثه به أولا — فكيف يكون بذلك كذابا وقد كتب عنه أبو زرعة وأبو حاتم ولم يذكرا فيه حرجا وهما ماهما فى النقد وقد أخرج عنه البخارى أحاديث يسيرة من روايته عن يحيى بن حماد مع أنه شاركه فى الحمل عن يحيى بن حماد وفى غيره من شيوخه وروى عنه النسائى وابن ماجه أ هـ(١)

النموذج الثامن :

خالد بن مخلد القطوانى الكوفى أبو الهيثم من كبار شيوخ البخارى روى عنه وروى عن واحد عنه قال العجلى ثقة فيه تشيع وقال ابن سعد كان متشيعا مفرطا وقال صالح جزرة ثقة الا أنه كان متهما بالغلو فى التشيع وقال أحمد بن حنبل له مناكير وقال أبو داود صدوق الا أنه يتشيع وقال الجوزجانى كان شتاما معلنا لسوء مذهبه أما التشيع فقد قدمنا أنه اذا كان ثبت الأخذ والاداء لا يضره لا سيما ولم يكن داعية الى رأيه وأما المناكير فقد تتبعها أبو أحمد بن عدى من حديثه وأوردها فى كامله وليس فيها شىء مما أخرجه له البخارى بل لم أر له عنده من أفراده سوى حديث واحد وهو حديث أبى هريرة من عادى لى وليا الحديث . وروى له الباقون سوى أبى داوود .... أ هـ(٢)

النموذج التاسع :

سالم بن عجلان الافطس الجزرى مولى بنى أمية وثقة أحمد والعجلى وابن سعد والنسائى والدارقطنى وغيرهم قال أبو حاتم صدوق نقى الحديث وكان مرجئا وقال الجوزجانى كان يخاصم فى الإرجاء داعية وهو فى الحديث متماسك وأفرط ابن حبان فقال كان مرجئا يقلب الأخبار وينفرد بالمعضلات عن الثقات اتهم بأمر سوء فقتل

---

(١) المقدمة ص ٢٤٥

(٢) المقدمة ص ٢٩٨

صبرا قال الحافظ ابن حجر قد ذكر ابن سعد أن عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس قتله لما غلب على الشام وذكر العجلي أنه كان مع بني أمية فلما قدم بنو العباس حران قتلوه وقال أبو داوود وكان ابراهيم الامام عند سالم الافطس محبوسا يعني فمات في زمن مروان الحمار فلما قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس حران دعا به فضرب عنقه أ هـ .

فهذا الأمر السوء الذي زعم ابن حبان أنه اتهم به وهو كونه ما لأعلى قتل ابراهيم وأما ما وصفه به من قلب الأخبار وغير ذلك فمردود بتوثيق الائمة له ولم يستطع ابن حبان أن يورد له حديثا واحدا وليس له عند البخاري سوى حديثين أحدهما حديثه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الشفاء في ثلاث الحديث .. والآخر بهذا الاسناد أي الاجلين قضى موسى ولكل منهما ما يشهد له وروى له أصحاب السنن الا الترمذي أهـ (١)

النموذج العاشر :

شيبان بن عبد الرحمن النحوي أحد الأثبات قال أحمد ابن حنبل ثبت في كل المشايخ وقال ابن معين هو أحب الي في قتادة من معمر وقال أيضا هو ثقة صاحب كتاب وقال أيضا ثقة في كل شيء ووثقه النسائي والعجلي وابن سعد والترمذي والبزار وقال الساجي صدوق عنده مناكير وأحاديث عن الاعمش تفرد بها وقرأت بخط الذهبي في الميزان قال أبو حاتم صالح الحديث لا يحتج به . قال الحافظ ابن حجر وهو وهم في النقل فالذي في كتاب ابن أبي حاتم عن أبيه كوفي حسن الحديث صالح يكتب حديثه وكذا نقل الباجي عنه وكذا هو في تهذيب الكمال وهو الصواب وأما قول الباجي فهو معارض بقول أحمد بن حنبل أنه ثبت في كل المشايخ ومع ذلك فلم أر في البخاري من حديثه عن الاعمش شيئا لا أصلا ولا استشهادا نعم أخرج له أحاديث من روايته عن يحيى بن أبي كثير ومنصور بن المعتمر وقتادة وفراس بن يحيى وزياد بن علاقة وهلال الوزان واعتمده الجماعة كلهم أ هـ . (٢)

---

(١) المقدمة ص ٤٠٢

(٢) المقدمة ص ٤٠٨

وبعد فهذه نماذج ممن طعن فيه من رجال الصحيح قدمناها بين يدى القارئ وقد اتضح فيها أن هذه الطعون عند التأمل لا تعد قادحة فى رجال الصحيح لأن أسباب القدح والطعن التى أوضحناها فى أول المبحث لم يتوفر واحد منها كما وأنه ليس هناك شيخ مجمع على الطعن فيه أيضا فان البخارى لم يكثر من أحاديث من طعن فيهم من الرجال وانما هى أفراد قلائل واذا ذكر هذه الأحاديث فلا بد من ذكر متابع وشاهد لها الامر الذى يحدونا الى أن نقول ان هذه الطعون لا تؤثر فيما أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح من الاحاديث وبذلك ظل كتابه فى أعلى درجات الصحة والسلامة من الطعون مجمع على تلقيه بالقول من العلماء ١٠ هـ (١)

" المبحث السادس "

تحريره عدد أحاديث الجامع الصحيح .

ذكر ابن الصلاح فى مقدمته علوم الحديث — أن عدد أحاديث الجامع سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون بالاحاديث المكررة وبغير المكرره أربعة آلاف وتبعه على ذلك النووى فى التقريب وزاد عليه أنه ذكرها مفصلة وبين السر فى ذلك فقال " ليكون — كالفهرسة لابواب الكتاب وتسهل معرفة فئات أحاديثه على الطلاب " ١ . . وظل عدد أحاديث الجامع كما ذكرها ابن صلاح والنووى ومن لف لفهما — مقررا عند الحافظ والمحدثين مسلما لديهم الى أن جاء الحافظ العراقى — المتوفى سنة ٨٠٦ هـ — فأبدى على ذلك ملاحظة طيبة حيث قال مشيرا الى ما ذكره النووى وابن الصلاح " هذا مسلم فى رواية الفربرى وأما رواية حماد بن شاكر فهى دون رواية الفربرى بمائتى حديث ورواية ابراهيم بن معقل دونهما بثلاثمائة ثم جاء من بعده تلميذه والحافظ ابن حجر وله عناية تامة بالصحيح فوقف عندما قال النووى وقفة ليست بقصيرة وناقشة فى كل ما قاله وحرره بابا بابا ويظهر مما كتبه ابن حجر أنه وافق النووى أحيانا فى عدد أحاديث بعض الابواب ونقص عنه حينا وزاد عليه أحيانا أخرى فمثال ما وافقه فى عدد أحاديثه كتاب العلم — ذكر النووى أن عدد أحاديثه خمسة وسبعون والتيمم خمسة عشر والحيض سبعة وثلاثون الى غير ذلك كل هذا وافقه ابن حجر فى عدد أحاديثه ومثال ما نقص عنه فى عدد أحاديثه أن النووى ذكر الاحاديث المتعلقة بانقضاء الصلاة سبعة عشر وابن

---

(١) مقدمة الفتح صـ ٤٦٥

(٢) مقدمة القسطلانى صـ ١٠١

(٣) المقدمة صـ ٤٦٦

حجر حجورها أربعة عشر وكذلك الاحاديث المتعلقة باجتناب أكل الثوم ذكرها النووى خمسة وابن حجر ذكرها أربعة — والأحاديث المتعلقة باقامة الصفوف فى الصلاة ذكرها النووى ثمانية عشر وابن حجر عدها أربعة عشر قال وقد حررتها وكررت مراجعتها وغير ذلك كثير ومثال مازاد عليه فى عدد أحاديثه أن النووى ذكر أحاديث الوحى خمسة (١) قال الحافظ ابن حجر مقصيًا عليه فى ذلك " بل هى سبعة وكأنه لم يعد حديث الأعمال ولم يعد حديث جابر أول ما نزل وبيان كونها سبعة أن أول ما فى الكتاب حديث عمر الأعمال الثانى حديث عائشة فى سؤال الحارث (بن هشام الثالث حديثها أول ما بدئ به الوحى الرابع حديث جابر وهو يحدث عن فترة الوحى وهو معطوف على إسناد عائشة وهما حديثان مختلفان لا ريب فى ذلك ، الخامس حديث ابن عباس فى نزول لاتحرك به لسانك ، السادس حديثه فى معارضة جبريل فى رمضان ، السابع حديثه عن أبى سفيان فى قصة هرقل ومضى (٢) ابن حجر على هذا النمط من التحرير الى آخر الكتاب وانتهى به الأمر الى أن ذكر عددا آخر غير ما ذكره النووى ومفاده كما قال " جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته وأتقنته سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وستون حديثا فقد زاد على ما ذكروه مائة حديث واثنين وعشرين والخالص من ذلك بلا تكرار ألفا حديث وستمائة وحديثان واذا ضم له المتون المعلقة المرفوعة التى لم يوصلها فى موضع آخر منه وهى مائة وتسعة وخمسون صار مجموع الخالص ألفى حديث وسبعمائة وواحد وستين حديثا (٤) ولكى يزداد اطمئنانا الى ما توصل اليه من عدد الاحاديث غير المكررة ذكر ما لكل صحابى فى الصحيح من الأحاديث موصولة كانت أو معلقة لم توصل فى مكان آخر ورتب أسماء الصحابة على حروف المعجم ثم ذكر من لا يعرف اسمه أو اختلف فيه وختم بذكر النساء وبعد أن انتهى ابن حجر من تحرير الأحاديث تماما قال " بين هذا العدد الذى حررته والعدد الذى ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كبير وما عرفت من أين أتى الوهم فى ذلك (٣) ثم تأولته على أنه يحتمل أن يكون العاد الأول الذى قلدوه فى ذلك كان اذا رأى الحديث مطولا فى موضع ومختصرا فى موضع آخر ظن أن المختصر

---

(١) المقدمة ص ٤٦٦

(٢) المقدمة ص ٤٦٥

(٣) المقدمة ص ٤٦٨

(٤) مقدمة القسطلانى ص ١٠١ ومقدمة الفتح ص ٤٧٨

غير المطول اما لبعد العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة ففى الكتاب من هذا النمط شىء كثير وحينئذ يتبين السبب فى تفاوت ما بين العددين (١)" على أن الذى قلده ، ابن صلاح والنووى وغيرهما انما هو عبدالله بن محمد بن حَمُّوية السرخسى المتوفى سنة ٣٨١ هـ فإنه كتب البخارى عن الفربرى وعد كل باب منه ثم جمع الجملة وقلده كل من جاء بعده نظرا الى أنه راوى الكتاب وله به العناية التامة " (٢)، ولم يفت ابن حجر كذلك أن يعرج على ما فى الصحيح من المعلقات والمتابعات وأن يحصيها فقال " وجميع مافى الكتاب أصول متونه مخرجة وليس فيه من المتون التى لم تخرج فى الكتاب ولو من طريق أخرى الا مائة وستون حديثا وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأحد وأربعون حديثا " .

ثم قال بعد ذلك " فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا خارجا عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات على التابعين فمن بعدهم " (٢) .

ومع هذا الجهد الموفور الذى بذله فى تحرير هذه الأحاديث كان متواضعا يرى أنه لم يقدم شيئا يستحق الذكر يشهد لذلك قوله " على أننى لا أدعى العصمة ولا السلامة من السهو ولكن هذا جهد من لا جهد له " "٣" .

ولكنه تواضع العالم الجهبذ المتمكن من نفسه وعلمه لذا نراه فى مكان آخر يقول معتزا بعمله الذى قدمه وقام به " هذا الذى حررته من عدة ما فى صحيح البخارى تحرير بالغ فتح الله به لا أعلم من تقدمني اليه (٤) .

وحيث كانت الأحاديث المختلف فى عددها ما هيتها ومسماها واحد وكلها ، ثابتة فى الصحيح الا أن ابن الصلاح ومن لف لفه اعتبر بعضها أحاديث مستقلة فعدها ولم يعتبر البعض الاخر وابن حجر كذلك مما ترتب عليه التفاوت بين العددين لذا أرى أن الخلاف بينهما فى العدد اعتباريا ولو نظر كل منهما الى ما نظر اليه الاخر وأخذ

---

(١) مقدمة القسطلانى صـ ١٠١ (٢) المقدمة صـ ٤٧٠

(٣) المقدمة صـ ٤٦٨ (٤) المقدمة صـ ٤٧٠

فى اعتباره واعتبره لا لتقيا معا ولما كان هناك خلاف أصلا

وأخيرا نود أن نشير الى أن نفرا من علماء المسلمين لم يذهب مذهب ابن حجر ولم ير رأيه فى عدد أحاديث الجامع بل خالفه ومال الى ما ذهب اليه ابن الصلاح وغيره وذكر فى ذلك عبارة مبهمة لم أستطع فهمها ولكن أمانة للعلم سوف أسوقها بنصها لعل الله يوفق غيرنا الى فهمها وحل رموزها وطلاسمها .

يقول " قد تتبعنا ما ذكر الحافظ ابن حجر واذا به وقع فيما حذر الناس منه اذ انه اعتبر المفردات أساسا مع أنه لو جمعها لوجدها تبلغ ستة آلاف وأربعة عشر فاذا أضيف اليها ما ذكر ابن حجر من الزيادة وهى سبعمائة واثنان وأربعون تبلغ سبعة آلاف وأربعمائة وستة وخمسون فاذا طرحنا منها ما أشار اليه الحافظ من أن النووى ذكره زيادة وهو مائة وستة وثمانون يبقى سبعة آلاف ومائتان وسبعون حديثا — وهى ما ذكره ابن الصلاح وغيره — الا خمسة أحاديث ربما نقصت من العدد .. ص ٢٧ منير الدمشقى مقدمه من صحيح البخارى طبع المنيرية ولا يغير ابن حجر ذلك لان المعترض ليس من المتخصصين فى الحديث حتى يعارضه وهو الذى قد فنى عمره فيه وأيضا فاننا قررنا قبل أن الخلاف بين الفريقين اعتبارى فلا مجال اذن لمناصرة فريق على آخر ولا داعى للتعصب بغير موجب "

أ هـ .

" المبحث السابع "

(١)
ايضاح ما فى الصحيح من الالفاظ الغريبة مع ضبطها .

يقع فى كتاب الصحيح كلمات وألفاظ غريبة يعسر فهمها وتحتاج معرفتها والوقوف على معانيها الى النظر فى معاجم اللغة العربية وكتبها وقد اعتنى شراح الصحيح قبل ابن حجر — بإيضاح هذه الالفاظ وبسط معانيها وتقريبها الى الافهام فى كتبهم حتى جعل الامام بدر الدين الزركشى ذلك من منهجه وخطته فى شرحه يقول فى مقدمة كتابه التنقيح " أما بعد فانى قصدت فى هذا الاملاء الى ايضاح ما وقع فى صحيح الامام الجليل أبى عبدالله محمد ابن اسماعيل البخارى من لفظ غريب واعراب غامض " .

---

(١) لا يستوى فى معرفتها العالم وغيره . الالفاظ الغريب هو الذى لا ينبو عنه السمع ولا النفس لندرته ... ولا يدرك الا بالتأمل

وقد ظلت هذه الألفاظ مفرقة فى كتبهم وشروحهم موزعة بحسب مواضعها من الأحاديث يحتاج من يريد الوقوف على شئ منها أن يبذل جهدا كبيرا وأن ينظر فى عدد من أجزاء الشرح الذى يطالعه ويقلب فى كثير من صفاته حتى يقف على حقيقة اللفظ أو الكلمة التى يبحث عنها وقد لا يهتدى الى شئ لأنه لاخبرة له بكتاب الصحيح ولا بترتيب أبوابه ولا بما أودع فى كل باب من الأحاديث ويضيع وقته سدى ويذهب جهده هباء فلما جاء الحافظ ابن حجر تتبع هذه الألفاظ وتلك الكلمات فى أماكنها وأحصاها وضم بعضها الى بعض فى مكان واحد ورتبها على حروف المعجم ثم شرحها وأبان معانيها وقد ذكر كثيرا من هذه الألفاظ على ظاهرها غير مراع الأصل تيسيرا للكشف عليها كما يقول وابن حجر كان مسبوقا بتوضيح هذه الألفاظ وشرح معانى تلك الكلمات الا أن الكيفية التى اتبعها والطريقة التى انتهجها — من تتبعه لهذه الكلمات وجمعها فى مكان وشرحها مرتبة على الحروف لم يسبق اليها أحد فهو بذلك قد يسر الوقوف على معانى تلك الكلمات لمن يريده كما وفر عليه وقته وجهده وقد أوضح ابن حجر ما حداه الى ذلك حينما قال (لتتم الفائدة فى موضع واحد) وهاكم نماذج من هذه الالفاظ .

(ماء آجن) أى متغير الريح (ولا يؤوده) أى ولا يثقله — يقال آده يؤوده اذا أثقله والأد بلا أيد القوة (حتى يثخن فى الارض) أى يبالغ وقيل يغلب والمراد المبالغة فى قتل الكفار يقال اثخنه المرض اذا أوهنه وقول عائشة حتى اتخذت عليها أى بالغت فى افحامها .

((الا ذخر)) بكر ثم سكون وبكسر الخاء المعجمة حشيشه معروفه طيبة الريح توجد بالحجاز .

"" أشخصه "" أى نقله من مكان الى مكان ومنه الإشخاص بكسر أوله وقد لاحظت أنه يستشهد بأقوال بعض العرب وأشعارهم الى ما يذهب اليه معنى اللفظ ففى بيانه معنى الأب .. قال ((الأب)) هو ما تأكله الانعام وقيل هو المتهيئ للرعى ومنه قول قس بن ساعدة معنى) وفى () لم يبتئر)) أى لم يدخر فسره قتادة ويؤيده قول الشاعر .

فان لم يبتئر رؤساء قريش　　　فليس لسائر الناس اجتئار

يقال بأوت الشىء اذا ادخرته والاسم البُؤة بوزن عظيمة ويجوز كسر أوله وسكون الهمزة

قال الشاعر :

فانك إن تبأر لنفسك بُؤرة ... تجدها اذا ما غيبتك المقابر

وفى معنى (بخ بخ) يقال للشىء اذا ارتقى وقيل اذا عظم وبوما لغات اسكان الخاء وكسرها منونا وبغير تنوين وبضمها منونا ونشد يدها مضموما ومنونا واختار الخطابى اذا كرر تنوين الاولى وتسكين الثانية ومن شواهد التسكين فيهما أثول الاعشى

بخ بخ لوالده وللمولود .. وهذه النماذج قل من كثر وقطر من بحر ، ومن يطالع الفصل الذى عقده من أجل هذا الغرض فى مقدمته أكبر هذا الرجل وأعظم عمله وقدر سعيه وجهوده ١٠ أ هـ .

" المبحث الثامن "

بيان المؤتلف والمختلف من أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم :

ينبغى لنا قبل كل شىء أن نوضح معنى المؤتلف والمختلف فنقول ...

المؤتلف والمختلف هو ما يتفق خطا ويختلف لفظا بحسب الحركات والسكنات والاهمال والاعجام وقد ألف فيه مصنفات من أجودها كتاب الاكمال .. لابن ماكولا وهو مما يقبح جهله بين معاصريه (١) .

وقد تتبع ابن حجر ما وقع من هذا النوع فى صحيح البخارى ممن له ذكر فيه أو رواية .. وبينه ووضحه وضبطه حتى لا يقع فيه لبس أو اشتباه ورتبه على حروف المعجم لتسهل معرفته والكشف عليه كما وأنه قد قسمه الى قسمين :

الاول : ما يقع فيه اللبس والاشتباه بغيره مما ذكر فى الكتاب خاصة .

والثانى : ما يقع فيه اللبس والاشتباه بغيره مما ذكر خارجا عن الكتاب فمن أمثلة القسم الاول النماذج التالية ..

النموذج الاول :

((الأحنف بالحاء المهملة والنون مقروف بالخاء المعجمة والياء المثناه من تحت ((مكرز بن حفص ابن الاخيف له ذكر فى الحديث الطويل فى قصه صلح الحديبية (٢)

ذكر البخارى فى باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب .

---

(٢) التدريب النووى ص ٤١ القسطلانى المقدمة ص ٦٨

(١) المقدمة ص ١٧ وما بعدها

(٢) المقدمة ص ٣٠٢

النموذج الثانـــي :

((أسيــد)) بفتح أوله وكسر السين أبو بصير عتبة ابن أسيد بن جارية الثقفى له ذكر فى قصة صلح الجديبية وعمرو بن أبى سفيان ابن أسيد بن جارية الثقفى من شيوخ الزهرى وقيل فيه عمر بضم السين وبضم الهمزة وفتح السين جماعة ٠ (١)

النموذج الثالث :

((بشـــار)) بالباء الموحـدة وتشديد الشين المعجمة والد بندار محمد بـن بشار البصرى شيخ البخارى والجماعة خرج فى الصحيح وبقية من فيه بهذه الصورة بالياء التحتانيـــة وتخفيف السين وبتقديم السين وتثقيل الياء التحتانية أبو المنهال سيار بن سلامة تابعى ٠ (٢)

النموذج الرابـــع : ((آل حارثـــة))

جماعة وبجيم وياء مثناة من تحت جد عبد الرحمن ومجمع ابن زيد بن جارية وجد عمـــرو ابن أبى سفيان بن أسيد بن جارية وأبو بصير بن أسيد بن جارية وجارية بن قدامة التميمى له ذكر بلا روايـــة ٠ (٣)

النموذج الخامـــس : ((الربيـــع))

كثير وبالضم وفتح الباء وتثقيل الياء الاخيرة امرأتان بنت معوذ بن عفراء صحابيـة لها رواية وبنت النضر عمة أنس بن مالك لها ذكر ووقع فى الجهاد أم الربيع بنت البراء والصواب أنها الربيع بنت النضر (٤)

النموذج السادس : ((حبـــان))

بالكسر وباء موحدة مثقلة حبان بن موسى وجد أحمد بن سنان بن حبان القطان وهمـا من شيوخ البخارى وأما حبان بن عطيه وحبان بن العرقة فلهما ذكر بـلا رواية وبفتـــح الحاء واسع بن حَبّان وابن أخيه محمد بن حَبّان وحَبّان ابن هلال ومن عدا هؤلاء بالياء المثناة من تحت وكل ما فيه أبو حَيان كنية فهو بالياء المثناة من تحت ٠ (٥)

النموذج السابع : ((حصيـــن))

بفتح الحاء وكسر الصاد المهملة كنية عثمان بن عاصم الأسدى ومن عداه بالضم وفتح الصاد ووهم أبو الحسن القابسى فقال فى الحصين بن محمد الانصارى أنه بالضاد ولم ٠ يخرج البخارى لحضين بن المنذر الذى يكنى أبا ساسان وهو بالضاد المعجمة وأما حضيـر

---

(١) المقدمة ص ٢٠٤
(٢) المقدمة ص ٢٠٤
(٣) المقدمة ص ٢٠٥
(٤) المقدمة ص ٢٠٧
(٥) المقدمة ص ٢٠٦

آخره راء مهملــــة فهو والد أسيد وقد لا يشتبه (١)

النموذج الثامــــن : ((حَمَّـــار))

كثير وبكسر الحاء وتخفيف الميم وآخــــره راء اسم واحد ذكر فى حديث ان رجلان صحابيا كان يلقب بذلك .(٢)

النموذج التاســـع : ((حُبَـــاب))

بضم الحاء وتخفيف الموحدة وهو ابن المنذر له ذكر وكنية عبدالله بن أبى بن سلول له ذكر وكنية سعيد بن يسار له رواية ومن عدا هؤلاء خَبَّاب بفتح الخاء المعجمة وتثقيــل الباء وليس فى الكتاب جناب بالجيم والنون .(٣)

(الحَرَامى) :

بتخفيف الراء فى نسب الانصارى ومن عداه بالزاى

(الحَرَّانى) :

نسبة الى حران كثير وبالضم والدال بدل الراء عقبة بن صهبان الحدانى ويحيى بـــن موسى ختنه فقط .(٤)

(خياط) :

اسم لا نسب خليفة بن خياط وفى الكتاب (اثنان ينسبان هذه النسبة أبو خلدة خالد بن دينار وحريث بن أبى مطر لكن لم يقعا فى الكتاب منسوبين وما عدا ذلك فهو الحنـــاط بالحاء المهملة والنـــــون .(٥)

(سريج) فى البخارى بهذه الصورة وبالجيم اسمان وكنية فالاسمان سريج ابن يونــس وسريج بن النعمان والكنية أحمد بن أبى سريج الرازى والثلاثة من شيوخه وبالشين المعجمة والحاء المهملة جماعـــــة .(٦)

(مُحْـــرِز)

باسكان الحاء المهملة وكسر الراء بعدها زاى صفوان ابن محرز تابعى وعبدالله ابن محرز له ذكر فى كتاب الاحكام وبالجيم المفتوحة وكسر الزاى بعدها زاى أخرى مُجَزِّز المدلجى

---

(١) المقدمة ص ٢٠٦ (٢) المقدمة ص ٢٠٦
(٣) المقدمة ص ٢٠٦ (٤) المقدمة ص ٢٠٦
(٥) المقدمة ص ٢٠٧ (٦) المقدمة ص ٢٠٧

صحابى ذكر فى حديث عائشة فى قصة أسامة بن زيد وحكى اسماعيل القاضى عن على ابن المدينى عن ابن عيينه أن ابن جريج صحفة محرز كالاول واختلف فى علقمة ابن محرز قال البخارى باب سرية عبدالله بن حذافة السهمى وعلقمة ابن محرز المدلجى ففى رواية ابن السكن وغيره كالاول وضبطه الدارقطنى وغيره كالثانى (١) ومن أمثلة القسم الثانى النماذج التاليه .

(أحمـد)

كل ما فيه فهو بالحاء والدال وليس فيه أجمد بالجيم ولا أحمر بالراء . (٢)

(الأيلى)

بفتح الهمزة بعدها ياء تحتانية ساكنة ثم لام جماعة فى الكتاب ينسبون الى أيلة وليس فيه بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام شىء (٣)

(دكين) بالضم وفتح الكاف وآخره نون أبو الفضل بن دكين وليس فيه بالراء المهملة شىء .

(زَوبر) والد سلم بفتح الزاء والكسر الراء بعدها ياء أخيره ثم راء أيضا سلمه بن زَوبر قال الأصيلى قرأ لنا أبو زيد المروزى زُوبر بضم الزاى والصواب الفتح .

(الزُّبيدى)

بضم الزاى نسبه الى قبيلة وليس فى الجامع من ينسب الى البلد وهى بالفتح (٢)

(يَسرة)

بفتح الياء والسين المهملة هو ابن صفوان شيخ البخارى وليس فى الجامع بالباء الموحدة المضمومة ولا المكسورة مع الشين المعجمة ولا المهملة شىء .

(يعفور) .

بالفاء والراء أبو يعفور الاكبر تابعى والأصغر من شيوخ بن عيينه (٤) ومن هذه النماذج التى سقناها يظهر بوضوح وجلاء أن ابن حجر قد بذل جهدا واسعا فى هذا الصدد وأنه أزال اللبس والاشتباه عما من شأنه أن يقع فيه ذلك على أننى لاحظت فى بعض الاحيان أنه يذكر ما قاله العلماء فى ضبط بعض الاسماء ويرجح قولا على آخر يشهد لذلك

---

(١) المقدمه ص ٢١١ (٢) المقدمه ص ٢١٢
(٣) المقدمه ص ٢١٤ (٤) المقدمه ص ٢١٦

أنه حينما ضبط اسم سلام وبينه قال

(سَلاَّم) بالتشديد كثير وبتخفيف اللام عبدالله بن سلام الصحابى فقط واختلف فى محمد بن سَلام شيخ البخارى والراجح أنه بالتخفيف وأحيانا أخرى يبين وهم بعض العلماء فيما ذهبوا اليه من ضبط الاسماء فحينما ضبط اسم العدوى ووضحه قال .

(العدوى)

كثير وبالذال المعجمة الساكنة والراء عبدالله بن ثعلبة بن صَعير العذرى رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير روى عنه الزهرى وقد نسبه أحمد ابن صالح فى حديث رواه عنه قال العدوى كالأول فصحفه وانما هو من بنى عذره بن زيد اللات بن رفيده بن قضاعة وأحيانا يذكر ما كتبه العلماء دون أن يعلق عليه بترجيح أو تضعيف . فحينما ضبط اسم محرز ووضحه قال .

(مُحْرز)

باسكان الحاء المهملة وكسر الراء بعدها زاى صفوان محرز تابعى عبدالله بن محرز له ذكر فى كتاب الاحكام وبالجيم المفتوحة وكسر الزاى بعدها زاى أخرى مجزز المدلجى صحابى ذكر فى حديث عائشة فى قصة أسامة بن زيد حارثة وحكى اسماعيل القاضى عن على بن المدينى عن ابن عيينة أن ابن جريج صحفه فقال محرز كالأول واختلف فى علقمة بن محرز قال البخارى باب سرية عبدالله بن حذافة السهمى وعلقمة بن محرز المدلجى ففى رواية بن السكن وغيره كالاول وضبطه الدارقطنى وعبدالغنى كالثانى ١٠ أهـ .

" المبحث التاسع "

تقييد المهمل وتوضيحه :

إن من يطالع كتاب الصحيح يظهر له بوضوح وجلاء أن البخارى روى فيه عددا من الأحاديث عن شيوخ له لا يزيد على تسميتهم أو تكنيتهم غير ناسب لهم الى آبائهم أو ذاكر الاسمائهم وهذا من شأنه أن يؤدى الى اللبس والاشتباه بين هؤلاء الشيوخ لاسيما إن شاركهم فى هذا الاسم أو تلك الكنية راو ضعيف وقد اعترض عليه العلماء بسبب ذلك .. (١) .

---

(١) مقدمة الفتح ص ٢١٧

وقد تكلم فى بيان بعض هذا وتوضيحه كثير من العلماء ممن له عناية بالصحيح
مثل الحاكم أبى عبدالله وأبو نصر الكلاباذى وابن السكن وأبى على الجيانى وغيرهم (١)
كالذهبى والمزى إلا أنهم لم يستوعبوه ولا أحصوه عددا وجاء على أثر هؤلاء جميعا
الحافظ ابن حجر فلم يفته وهو الذى وهب عمره وقصر حياته على دراسة كتاب الصحيح
— إن صح هذا التعبير — أن يقدح زناد فكره ويخط بقلمه ويدلى بدلوه هو الآخر
فى بيان هذا النوع وإيضاحه فتتبع كل الأسماء المهملة والكنى فى كتاب الصحيح ممن
هو من شيوخ البخارى — واستوعبها وضم بعضها الى بعض وبين جميعها وذكر أقوال
العلماء فيها ناسبا كل قول الى صاحبه منبها على ما فات بعضهم من ذلك باحثا
عن هذا كله فى كتب الرجال والمستخرجات ودواوين السنة وكتب الأطراف وسوف
أسوق فيما يلى نماذج [illegible] — لتكون خير شاهد على ما قام به ابن حجر
من عمل وما بذله من جهد فى تبيان هذا النوع وإيضاحه حتى أزال عنه كل لبس أو اشتباه
على أننى قد لاحظت أنه أحيانا يسوق ما قاله العلماء قبله فى توضيح المهمل وتبيانه
دون أن يعلق على ذلك بترجيح أو تضعيف وهاكم نموذج لذلك .

قال البخارى فى باب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام حدثنا اسحاق حدثنا عبدالرحمن
بن مهدى جزم أبو نصر الكلاباذى بأنه اسحق ابن ابراهيم الحنظلى ومال أبو على
الجيانى الى أنه اسحاق ابن منصور (٢) وأحيانا أخرى يقوى ما ذهب اليه بعضهم مدعما
ذلك بالأدلة وهاكم نموذج لذلك .

قال البخارى فى باب كيفية صلاة الليل وفى باب كم يقرأ القرآن حدثنا اسحق
حدثنا عبدالله قال الغسانى لم أجده منسوبا لأحد من رواة الكتاب وذكر الكلاباذى أنه
اسحاق الحنظلى يروى عن عبيد الله ابن موسى قال ابن حجر وقد أخرج أبو نعيم
الحديثين من مسند اسحاق بن راهويه الحنظلى (٢) فكون ابن حجر ذكر أن أبا نعيم
أخرج الحديثين من مسند اسحق بن راهويه دليل على أنه ارتضى ما ذكره الكلاباذى
وبرهن عليه واليكم نموذجا آخر من هذا النوع قال البخارى فى باب فضل صلاة الفجر

---

(١) المقدمة ص ٢١٧ (٢) المقدمة ص ٢٢٢
(٣) المقدمة ص ٢٢٢

وفى باب البيعات بالخيار اذا كان البائع بالخيار هل يجوز البيع وفى باب حديث أبى النضر وفى باب أجر الصابر فى الطاعون من كتاب الطب وفى باب الجعد من كتاب اللباس وفى باب المعاريض مندوحة عن الكذب وفى باب كانت يمين النبى صلى الله عليه وسلم وفى باب اذا أقر بالقتل مرة حدثنا اسحاق حدثنا حبان بن هلال قال أبو على الجيانى لم أجد اسحاق هذا منسوبا عن أحد من رواة الكتاب ولعله اسحاق ابن منصور فان مسلما قد روى فى صحيحه عن اسحاق بن منصور عن حبان بن هلال قال ابن حجر رأيته فى رواية أبى على محمد بن عمر الشبوى فى باب البيعان بالخيار قد قال فيه حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا حبان فهذه قرينة تقوى ما ظنه أبو على ويقوى ذلك أن اسحاق بن راهويه لا يقول حدثنا وانما يقول أخبرنا (١) . وأحيانا لا يرتضى ما ذهب اليه بعض العلماء وهاكم نموذجا لذلك .

قال البخارى فى كتاب اللباس فى باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن أبيه عن ثمامة عن أنس عن أبا بكر لما استخلف كتب له الحديث ثم قال وزادنى أحمد حدثنا الانصارى حدثنى أبى عن ثمامة عن أنس قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر قال ابن حجر ولم يذكر أبو على الجيانى أحمد هذا من هو وجزم المزى فى الاطراف فى ترجمة أنس عن أبى بكر أنه أحمد ابن حنبل وتبع فى ذلك الحميدى .

ثم قال ابن حجر لكن لم أر هذا الحديث من هذه الطريقة فى مسند أحمد فينظر فيه (٢) وأحيانا يضعف ما ذهب اليه العلماء ويبين وهمهم مدعما ذلك بالادلة وهاكم نموذجا لذلك .

قال البخارى فى باب وضع اليمين على اليسرى فى صفة الصلاة عقب حديث القعنبى عن مالك عن أبى حازم عن سهل بن سعد وقال اسماعيل ينمى ذلك ولم يقل ينمى ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر اسماعيل هذا هو ابن أبى أويس وزعم مغلطاى أنه اسماعيل ابن اسماعيل القاضى وأنه رواه عن القعنبى وفيما قاله نظر فان اسماعيل القاضى

---

(١) المقدمة ص ٢٢٢ (٢) المقدمة ص ٢١٩

لم يذكره أحد من شيوخ البخاري بل هو من أقرانه في الاخذ عن الضبي وعلى بن المديني وأمثالهما والبخاري أكبر منه في غير ذلك وقد وجدت الحديث من رواية اسماعيل ابن أبي اويس المذكور عن الضبي باللفظ الذي ساقه البخاري عنه أولا في المتفق للجوزقي فدل على أنه ليس هو المراد وتعين أنه ابن أبي أويس والله أعلم . (١)

وأحيانا يذكر قولا لنفسه على سبيل الاحتمال مقابل ما قاله العلماء وهاكم نموذجا لذلك .

قال البخاري في باب من باع نخلا قد أبرت قال لي ابراهيم أخبرنا هشام عن ابن جريج قال المزي ابراهيم هو ابن المنذر وهشام هو ابن سليمان المخزومي لان ابن المنذر لم يسمع من هشام بن يوسف قال ابن حجر ويحتمل أن يكون ابراهيم هو ابن موسى الرازي وهشام هو ابن يوسف وأحيانا يسوق قوله فقط اذا لم يجد لأحد من العلماء في ذلك مقال الا أنه يذكره تارة على سبيل الجزم وأخرى على سبيل الترجيح وهاكم نموذجا لكل منهما .

النموذج الأول :

قال البخاري في الطهارة وفي عدة مواضع حدثنا اسحاق حدثنا خالد . قال ابن حجر اسحاق هذا حيث أتى فهو ابن شاهين الواسطي وخالد هو ابن عبدالله الطحان وقد نسبه البخاري في عدة مواضع . (٢)

النموذج الثاني :

قال البخاري في باب افتراش الحرير حدثنا علي حدثنا وهب بن جرير قال ابن حجر علي لم أره منسوبا والظاهر أنه ابن المديني (٤) وهاكم نموذجا آخر لهذا النوع .

قال البخاري في باب أين يصلي الظهر يوم التروية من كتاب الحج حدثنا علي سمع أبا بكر بن عياش قال ابن حجر علي هذا لم أره منسوبا ويشبه أن يكون هو ابن المديني (٥) ومن هذه النماذج يتضح أن ابن حجر ما آل جهدا في تتبع هذا النوع وتوضيحه وذكر آراء العلماء فيه . مع ملاحظة أنه قد رتبه على حروف المعجم لتسهل معرفته والكشف عليه

(١) المقدمة ص ٢٢٦
(٢) المقدمة ص ٢٢٥
(٣) المقدمة ص ٢٢٠
(٤) المقدمة ص ٢٢٩
(٥) المقدمة ص ٢٢٩

" المبحث العاشر "

تسمية الكنى والأنساب والألقاب :

تمهيد

لم يقف الأمر بابن حجر عند حد التعريف بالمهمل من شيوخ البخاري وتوضيحه كما أسلفنا بل تجاوز ذلك فتتبع واستقرأ كل ما فى الصحيح من كنى وأنساب وألقاب مما من شأنه أن يؤدى الى اللبس والاشتباه والإبهام والغموض ووضحه وبينه بذكر أسماءهم وهاكم تفصيل لهذه الانواع .

النوع الاول الكنى :

الكنيه كما يقول علماء العربية ما صدرت بأب أو أم وقد وقع فى الصحيح كثير من اشتهروا بكنيتهم من غير شيوخ البخارى فتتبع ابن حجر هذه الكنى واستقرأها وذكر أسماء من اشتهروا بها وجمعها فى مكان واحد ليسهل الاطلاع عليها ومعرفتها ورتب ذلك على حروف المعجم وهذه نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر .(١)

أبو الاحوص التابعى — عوف ابن مالك — أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر اسمه كنيته

أبو الزناد عبدالله بن ذكوان المدنى

أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قيل اسمه عبدالله وقيل اسمه اسماعيل وقيل اسمه كنيته (٢) — أم الدرداء الكبرى اسمها خيرة بالمعجمة — أم الدرداء الصغرى المشهورة هجيمة .(٣) ويلتحق بهذا النوع من ذكر باسم أبيه أو جده أو نحو ذلك مثاله :

ابن أبزى عبدالرحمن ، ابن أخى الزهرى محمد ابن عبدالله بن مسلم (٤) ابن بكير المصرى — يحيى بن عبدالله بن بكير ينسب الى جده ، ابن أبى بكر — عبدالله بن محمد بن أبى بكر الصديق نسب الى جده .(٥)

ابن جريج عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج نسب الى جده ، ابن الحنفية محمد بن على ابن أبى طالب نسب الى أمه ، ابن علية اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم وعلية أمه وقيل جدته (٧) واسم أمه هو الذى كانت تسمى به فطولا (٦)

على أننى قد لاحظت أن ابن حجر يفرق بين المتشابهين فى الكنية أحيانا

---

(١) المقدمة ص ٢٢٧ (٢) المقدمة ص ٢٢٨ / ٢٢٩

(٣) المقدمة ص ٢٤١ (٤) المقدمة ص ٢٤١

(٥) المقدمة ص ٢٤٢ (٦) المقدمة ص ٢٤٢

(٧) المقدمة ص ٢٤٢

ب يذكر من وجوه فانه قال وذلك على سبيل التمثيل .

أبو المنهال عن أبي برزه سيار بن سلامه ـ أبو المنهال عن زيد بن أرقم والبراء عبد الرحمن بن مطعم المكي وأحيانا يفرق بينهما بالوصف من حيث الكبر والصغر فإنه قال أبو يعفور الأكبر التابعي وقدان وقيل واقد .

أبو يعفور الأصغر عبد الرحمن بن عبيد بن نسطاس . على أنه قد فاته تسمية بعض أصحاب الكنى فانه قال أبو قيس مولى عمرو بن العاص لا يعرف اسمه أبو كبشه .. السلولي لا يعرف لاسمه (١) على أن ما فاته انما هو نزر يسير لا يقدح فيما بذله من جهد بهذا الصدد ولا يقلل من قيمه عمله الذي قام به ويكفيه أنه قد وقع بذلك امكان توهم التعدد في رجال الصحيح فربما ذكر الراوي مرة باسمه وأخرى بكنيته فيظن من لا معرفة عنده أنهما اثنين مع كونهما واحد . (٢) .

الأنساب :

معرفة الأنساب مهمة خصوصا للمشتغلين بعلم الحديث ـ فكثيرا ما يكون النسب لقبيلة أو بلد أو صناعة أو مذهب أو غير ذلك مما هو مجهول عند العامة معلوم لدى الخاصة وربما يقع في كثير منه التصحيف ويكثر الغلط والتحريف لأنه قد ينسب الراوي الى نسبة من مكان أو ضيعة وليس الظاهر الذي يسبق اليه الفهم من تلك النسبة مرادا بل لعارض عرض من نزوله تلك القبيلة أو ذلك المكان أو غير ذلك وقد وقع في الجامع الصحيح عدد ليس بالكثير من الرواة الذين لا يزيد البخاري على نسبتهم دون أن يذكر أسماءهم وقد تتبع ابن حجر هذه الأنساب وأحصاها وجمعها في مكان واحد وضم بعضها الى بعض وذكر أسماء من اشتهر بهذه الأنساب وحررها بما يزيل عنها ما قد يقع من تصحيف أو نا .

---

١ ـ المقدمة ص ٢٣٧ الى ٢٤٣ (٢) مقدمة القسطلاني ص ٦٤

غلط أو تحريف وسوف نسوق نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر فيما يلي :

الأشجعي عبيد الله بن عبد الرحمن .. الأويسي عبد العزيز ابن عبد الله الانصاري

التيمي سليمان بن طرخان "١" وليس من تيم بل نزل فيهم .. الملائي أبو نعيم

الفضل بن دكين نسب الى بيع الملاء التي يلتحف بها النساء — المجمر نعيم بن

عبد الله .. قال صاحب حاشية القسطلاني — لكن لا يخفى أن هذا لقب له لا نسبة

والكلام في عداد المنسوبين بن ومجمر ليس من صيغ النسب ويمكن أنه أراد مطلق

~~أبو مسعود عقبة بن عمرو لا نسبه بدوا~~ وقد اختلف في ذلك الانتساب لشيء وهذا

منسوب للعنبر نسبة ما على أنني قد حصرت ما ذكره ابن حجر فبلغ خمسة وثلاثين

نسبا كلها محررة متقنة أهـ ولم يفته منها شيء .

البدري أبو مسعود عقبة بن عمرو اذ أنه لم ينتسب لشهوده بدرا عن قول الجمهور ،

وان عده البخاري ومسلم وبن الكلبي وآخرين فيمن شهدها بل كان ساكنا بها .

الألقـــاب :

اللقب كما يعرفه علماء العربية ما أشعر برفعة أو ذم وما كرهه الملقب من الألقاب

لا يجوز تلقيبه به وما لا يكرهه فلا "٢" ومعرفة ألقاب الرواه مهمة لأنها قد تأتي في سياق

الأسانيد مجردة عن الأسماء فيظن من لا يعرفها أنها أسامي فيجعل من ذكر باسمه في

موضع وبلقبه في موضع آخر شخصين "٣" كما وقع لجماعة من أكابر الحفاظ منهم

ابن المديني فقد فرقوا بين عبد الله بن صالح أخي سهل بن صالح وبين عباد ابن أبي

صالح فجعلوهما اثنين وانما عباد لقب لعبد الله باتفاق الائمة كما قاله النووي (٤) .

وقد ألف فيها تآليف عديدة ~~[illegible]~~ وقد

وقع في سياق أسانيد الجامع الصحيح بعض من هذه الألقاب مجردة عن أسمائها ،

فتعقبها ابن حجر وتتبعها وجمعها وضم بعضها الى بعض بعد أن كانت مفرقة

في ثنايا الصحيح وذكر أسماءها حتى لا يقع وهم أو اشتباه في أن لقب الراوي غير

١— مقدمة الفتح ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ مقدمة القسطلاني

٢— النووي التقريب ص ٤٠ ٣— المصدر السابق

٤— مقدمة القسطلاني ص ٦٤

اسمه وسوف نسوق نماذج من هذه الألقاب على سبيل التمثيل لا الحصر .

الأحول ... عاصم بن سليمان .. وقد وجدت فى مقدمة القسطلانى عامر بدل عاصم

الأزرق ... اسحاق بن يوسف .

الأعرج هو عبدالرحمن بن هرمز ... الأعمش هو سليمان ابن مهران (١) ولقد ،

أحصيت ما ذكره ابن حجر فبلغ خمسة وثلاثين لقبا كلها محررة متقنة لم يفته من ذكر

أسمائها شىء وبذلك فقد يسر ابن حجر على من يريد معرفة ألقاب رواة الصحيح ،

وأسلمهم الوقوف عليها من غير ما تعب أو نصب وأزال ما عسى أن يكون من توهم أن لقب

الراوى غير اسمه .

" المبحث الحادى عشر "

تبيين المتفق والمفترق وتسمية المبهمات :

أولا المتفق والمفترق : يجمل بنا أن نشير الى أن المتفق والمفترق هو ما اتفق خطاً ولفظاً(٢)

وافترق مسمى وهذا النوع كثيراً ما يقع فيه اللبس والاشتباه وعدم التمييز لاتفاق الاسمية

صورة ونطقا وقد وقع فى أسانيد الصحيح من هذا النوع مواضع قليلة جدا تتبعها ابن

حجر وأحصاها وميز بين مسمياتها وذكر آراء العلماء فيها وحدد المراد منها بقدر وسعه على أننى لاحظت

أن ابن حجر قد فرق ورفع الالتباس بين أفراد هذا النوع بذكر المفرقة تكون موضوعه واليكم نموذجا

على سبيل التمثيل .

أحمد ابن محمد عن ابراهيم عن أبيه فى باب حج النساء قال ابن عدى هو أحمد بن

محمد بن عون القواس ، وقال غيره هو أبو الوليد الأزرقى صاحب التاريخ قال ابن حجر

وهذا هو الصواب ... أحمد بن محمد حدثنا عبدالله ابن المبارك قال الدارقطنى

هو أحمد بن محمد بن ثابت يعرف بابن شبوية وقال الحاكم أبو عبدالله هو أحمد بن محمد

موسى المروزى معروف بمردويه ورجح المزى وغيره الثانى (٣)

---

١ ـ مقدمة الفتح ص ٢٤٤

٢ ـ التقريب للنووى ص ٤٣

٣ ـ مقدمة الفتح ص ٢٢٠

ثانيا المبهمات :

المبهم هو من أبهم ذكره ولم يسم ويكون فى المتن والإسناد ويتوصل لمعرفته بجمع طرق الحديث غالبا وبوروده مسمى فى بعض الروايات والنظر فى كتب السيرة والطبقات وقد وقع فى الجامع الصحيح متنا وسندا كثيرا من المبهمات فتتبعها ابن حجر موضعا موضعا وذكر أسماءها وأزال عنها ابهامها ولم يفته من ذلك الا قليل واليكم نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر .

النموذج الاول .. حديث علي بن أبى طالب كنت رجلا مذاء فأمرت رجلا أن يسأل هو المقداد الاسود من كتاب الغسل .

النموذج الثانى : حديث عائشة امرأة من الانصار قالت كيف أغتسل من الحيض فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم خذى فرصة من مسك فتطهرى بها — السائلة هى أسماء بنت يزيد بن السكن وفى رواية لمسلم أنها بنت شكل بفتحتين وادعى الدمياطى أنه تصحيف وأن الصواب السكن بالمهملة وأنها نسبت الى جدها وبه جزم ابن الجوزى وقبله قال ابن حجر وهذا رد للأخبار الصحيحة بمجرد التوهم والا فما المانع أن يكونا امرأتين وقد وقع فى مصنف ابن أبى شيبة كما فى مسلم فانتفى عنه الوهم وبذلك جزم طاهر وأبو موسى المدنى وأبو على الجيانى أهـ[1] على أن ابن حجر قد فاته تسمية قليل من هذه المبهمات واليكم نماذج مما فاته من كتاب الايمان .

حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار يعظ أخاه فى الحياء قال ابن حجر لم يسمها جميعا حديث المعرور لقيت أبا ذر بالربذه وعليه حلة وعلى غلامه حلة لم يسم الغلام من كتاب الوضوء

حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ قال رجل من حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة لم يعرف اسمه وقد تتبعت هذا فوجدته نذرا يسيرا جدا اذا ما قيس بباقى المبهمات للتى بينها على أن الرجل ما آل فى ذلك جهدا بل بحث عن هذه المبهمات فى دواوين السنة ومستخرجاتها وكتب الطبقات والسيرة حتى أوضحها لنا أيما ايضاح وما فاته لا ينقص من قيمة عمله ونود أن نختم هذا —

---

(١) — المقدمة ص ٢٥١ ، ٢٥٢ من كتاب الغسل .

المبحث بما قاله ولى الدين العراقى فى هذا الصدد قال ومن فوائد تبيين الأسماء المبهمة تحقيق الشيء على ما هو عليه فان النفس متشوقة اليه وأن يكون فى الحديث منقبة له فتستفاد بمعرفته فضيلته وأن يشتمل على فعل غير مناسب فيحصل بتعيينه السلامة من جولان الظن فى غيره من أفاضل الصحابة خصوصا اذا كان ذلك من المنافقين وأن يكون سائلا على حكم عارضه حديث آخر فيستفاد بمعرفته هل هو ناسخ أو منسوخ ان عرف زمن اسلامه وإن كان المبهم فى الاسناد فمعرفته تفيد ثقته أو ضعفه ليحكم للحديث بالصحة أو غيرها أ هـ انتهى بحروفه (١) وبعد فلم تكن هذه كل جهود ابن حجر فى كتاب الصحيح بل له جهود أخرى وله مؤلفات قيمة مستقلة منها أولها ٠ كتاب فوائد الاحتفال فى بيان أحوال الرجال المذكورين فى البخارى زيادة على ما فى التهذيب الكمال للمزى ٠

كتاب فى تهذيب المهمل من شيوخ البخارى ٠

كتاب فى عوالى البخارى وهى ما أخرجه عن شيخ يكون بين أحد الائمة الستة وبينه واسطه سماه بغية الدارى بابدال البخارى ٠

كتاب تقريب الغريب الواقع فى البخارى اختصره من كتاب القرطبى مع الزيادة عليه من الفوائد المهمة فرغ منه سنة ٨١٨ هـ (٢)

١ — ألف الحافظ عبد الغنى المقدسى كتاب الكمال أسماء الرجال وقد هذبه الحافظ المزى فى كتاب تهذيب الكمال وقد هذبه ابن حجر واختصره فى كتاب تهذيب التهذيب واختصر تهذيب التهذيب فى كتاب تقريب التهذيب ثم أختصره التقريب فى كتاب تقريب التقريب ٠

٢ — الغريب ما انفرد راو بروايته أو برواية زيادة فيه عمن يجمع حديثه كا الزهرى أحد الحفاظ وهو أنواع منها الصحيح ٠

وقد يقع فى الصحيحين أفراد من هذا النوع كتاب تقريب المنهج بترتيب المدرج تناول فيه تعريف المدرج وأقسامه وبين ما أدرج فى أحاديث الرسول صلى الله

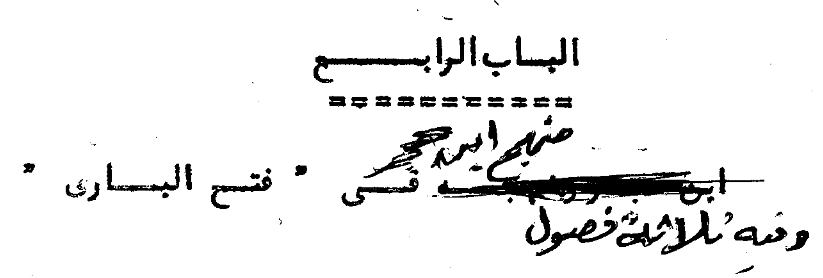
---

(١) من مقدمة القسطلانى صـ ٦٧

عليه وسلم من كلام غيره حتى لا يلتبس بها ومن بين ذلك .. بالطبع .. ما أدرج في صحيح البخاري على أنني قد بحثت ونقبت كثيرا عن هذه الكتب فلم يتيسر لي الوقوف عليها وما كتبته عنها إنما هي نبذة طفيفة أخذتها من كتاب الجواهر والدرر للحافظ السخاوي ~~وغيره كتب السيوطي~~ تلميذ ابن حجر وغيره من كتب السيوطي وابن حجر نفسه قد أشار الى كتاب تقريب المنهج عند الكلام على بعض الأحاديث التي انتقدها الدارقطني على البخاري وهو حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أرأيت اذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه " .

ولقد توج ابن حجر جهوده في الصحيح وختمها بشرحه له شرحا لم يسبق اليه في كتابه " فتح الباري " وهذا ما سنتناوله في الباب ~~الفصل~~ التالي ان شاء الله .

~~(١) المدرج كلام يذكر متصلا بالحديث يوهم أنه منه أو يكون عنده متنان بإسنادين غير ويهبط بأحدهما أو يسمع حديثا من جماعة مختلفين في اسناده أو متنه فيرويه عنهم على الاتفاق أو يسوق الاسناد فيعرض له عارض فيقول كلاما من قبل نفسه فيظن بعض من سمعه أن ذلك الكلام من متن الحديث فيرويه عنه كذلك ويكون في أول المتن وفي وسطه وفي آخره وكله حرام~~



الباب الرابع

ابن حجر في " فتح الباري "

منهج ابن حجر

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أشهر شروح البخارى قبل " فتح البارى "

تمهيد :

إن الكلام فى هذا المبحث ألصق بالباب الثالث وأليق به لأنه مرتبط أشد الارتباط بمبحث جهود العلماء حول الجامع الصحيح ولكننا أرجأنا الكلام عنه الى حين التحدث عن شرح ابن حجر لكتاب الصحيح حتى يحصل الترابط بين شروح الجامع — خصوصا ما له صلة وثيقة بشرح ابن حجر — وبناء على ذلك نقول :

لقد اعتنى الأئمة قديما وحديثا بشرح الجامع الصحيح وصنفوا له شروحا ذكر صاحب " كشف الظنون " أنها تنيف على أثنين وثمانين شرحا دبجها يراع الجهابذة من السلف والأذكياء من الخلف . وهذه الشروح ما بين كامل وناقص وقد اختلفت مشارب مصنفيها وتباينت مسالكهم فمنهم من مال الى الإجمال ومنهم من آثر التطويل فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بالمتن أو السند الا كتب عليها .

ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصرا على مالا بد منه فى فهم الأحاديث ، كما تنوعت مناهجهم فى تلك الشروح فمنهم من كان سبيله ومنهجه ايضاح الأحكام الفقهية وبيان مذاهب العلماء وآرائهم وما توصلوا اليه باستنباطهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من أتجه الى توضيح مفرداته وحل معضلاته وازالة مشكلاته الاعرابية والبيانية وضبط أسماء رواته ، ومنهم من جمع بين هذا وذاك وأضاف اليها الكثير من الفوائد الحديثيه وأول من مهد السبيل للشارحين وشرح " الجامع الصحيح " هو الامام

أبو سليمان حَمَد بن محمد ابن خطاب البُستى المتوفى سنة ٣٣٨ هـ .

وهو شرح لطيف قال عنه صاحب الكواكب الدراري فيه نكت متفرقات ولطائف على سبيل الطفرات جنح فيه صاحبه الى الاجمال وسماه "أعلام السنن" وذكر في أوله أنه لما فرغ من تأليف "معالم السنن" (١) بيلخ ساله أهلها أن يصنف شرحا على "صحيح البخاري" فأجاب (٢) .

ثم شرحه بعد أبي الخطاب البستي أبو الحسن علي بن خلف الشهير بابن بطال المغربي المالكي القرطبي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ . قال صاحب الكواكب الدراري تعليقا على هذا الشرح

انما هو غالبا في فقه الامام مالك رضي الله عنه — من غير تعرض لما هو الكتاب مصنوع له ومن الشراح أيضا جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وسمى شرحه شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح وكما هو ظاهر من تسميته شرح لمشكل اعراب الصحيح وهناك الحافظ علاء الدين مغلطاى بن قليج التركي المصرى الحنفى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ عمل على الجامع شرحا سماه التلويح بشرح الجامع الصحيح قال الكرماني عنه هو بكتب تتميم الأطراف أشبه وبصحف تصحيح التعليقات أمثل فكأنه من اخلاءه عن مقاصد الكتاب على ضمان ومن شرح الفاظه وتوضيح معانيه على أمان ومحمد بن يوسف الكرماني المتوفى سنة ٧٨٦ هـ عمل له شرحا سماه "الكواكب الدراري بشرح صحيح البخاري" قال في مقدمته بعد أن ذكر عن كتاب الجامع الصحيح نبذه يسيره :

" واني لم أر له شرحا مشتملا على كشف بعض ما يتعلق بمقاصد الكتاب فضلا عن كلها أو مستقلا بما يتعلق بالبحث عن عويصاته فضلا عن جليها مع ارتحالي الى بلاد كثيرة هي مظان وجدانه ولم أظفر بعد التفتيش والتنقيب الا على فقدانه والشروح التي شرحها الشارحون لا تشفي عليلا ولا تسقى غليلا — ثم ذكر شرح ابن بطال والقطب الحلبي

---

(١) شرح سنن أبي داود .

(٢) توجد نسخة خطية من هذا الشرح بمكتبة الأستاذ سيد احمد صقر كما أخبرني بذلك .

ومغلطاى وقال بعد أن عاب شروحهم ولا أقول ذلك غضا من مراتبهم الجليلة حاشا من ذلك وكيف واني مقتبس من لوامع أنوارهم الشارقات ملتمس من جوامع أنوارهم البارقات فهم القدوة وبهم الأسوة ( ) ثم قال وانما قصدت بذلك اظهار احتياج الكتاب الذى هو ثانى كتاب بعد كتاب الله تعالى الى شرح مكمل للفوائد شامل للعوائد عام المنافع تام المصالح جامع لشرح الألفاظ اللغوية الغريبة ووجه الأعاريب النحوية البعيدة وبيان الخواص التركيبية واصطلاحات المحدثين ومباحث الأصوليين والفوائد الحديثية والمسائل الخلافية الفقهية وضبط الروايات الصحيحة وأسماء الرجال وألقاب الرواه وأنسابهم وصفاتهم ومواليدهم ووفياتهم وبلادهم ومروياتهم والتلفيق بين الأحاديث المتنافية الظواهر والتوفيق بينها وبين التراجم المستوره عن أكثر الضمائر ( ) وقال فاستخرت الله تعالى واستعنت به فى تأليف شرح موصوف بالصفات وزيادة معروف بافادة ذلك ونعم الافاده مع اعترافى بالقصور وقلة البضاعة والفتور وقصر الباع فى هذه الصناعة (فتصديت لذلك وشرحت مفردات اللغة الغير واضحة وذكرت توجيه الاعرابات النحوية الغير اللائحة وتعرضت لبيان خواص التراكيب بحسب علم المعاني واظهار أنواع التصرفات البيانية من المجاز والاستعارة والكناية والاشارة الى ما يستفاد منها من القواعد الكلامية من أصول الفقه من العام والخاص والمجمل والمفصل وأنواع الأقيسه الخلافيه والخطابية والمسائل الفقهية والمباحث الفروعية ومن الآداب والرقائق ونحوها ولما يتعلق بعلوم الحديث واصطلاحات المحدثين من المتابعة والاتصال والرفع والارسال والتعليلات وغيرها وتصحيح الروايات واختلاف النسخ وترجيحها والتعريض لأسماء الرجال وتصحيح ألفاظها وتوضيح ملتبسها وتكشيف مشتبهها وتبيين مختلفها وتحقيق مؤتلفها وأنسابهم وألقابهم وبلادهم ووفياتهم الى آخر تراجمهم ولفقت بين الأحاديث التى ظاهرها متنافيه والأخبار التى بادىء الرأى مقتضياتها متباينة وبينت مناسبة الأحاديث التى فى كل باب لما ترجم عليه ومطابقتها

بما عقد له وأشير عليه وقال أيضا وسميت فيه في توضيح العبارات وكشف القناع عن المشكلات ولم أبال عن الاعادة في الافادة عند الحاجة الى البيان ولا في تعميم بعض الأسماء التي هي واضحة عند أهل الشأن لأني قصدت فيه النفع للمبتدئين والمنتهين والفائدة للمتقدمين والمتأخرين ... يقول ابن حجر معلقا على هذا الشرح " وهو شرح مفيد على أوهام في النقل لأنه لم يأخذ الا من الصحف . (١) " . ولبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ شرح سماه التنقيح لحل ألفاظ الجامع الصحيح قال في مقدمته أما بعد فاني قصدت في هذا الاملاء الى ايضاح ما وقع في صحيح الامام الجليل أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري من لفظ غريب أو اعراب غامض أو نسب عويص أو راو يخشى في اسمه التصحيف أو خبر ناقص نعلم تتمته أو مبهم علم حقيقته أو أمروهم فيه أو كلام مستغلق يمكن تلافيه أو تبيين مطابقة الحديث للتبويب ومشاكلته على وجه التقريب منتخبا من الأقوال أصحها وأحسنها ومن المعاني أوضحها وأبينها مع ايجاز العبارة والرمز بالاشارة فان الاكثار داعية الملال ثم قال وأرجو أن هذا الاملاء يريح من تعب المراجعة والكشف والمطالعة مع زيادة فوائد وتحقيق مقاصد ويكاد يستغنى به اللبيب عن الشروح لأن أكثر الحديث ظاهر لا يحتاج الى بيان وانما يشرح ما يشكل وسميته " التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح " ونود أن نختم هذا المبحث بنص لعبدالرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فانه يعطينا حكما على هذه الشروح يقول بعد أن تحدث عن جهود علماء السّنة في عصره وأنها لاتعدو الا أن تكون كلها عناية بأمهات الكتب الخمسة " فأما البخاري وهو أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا منحاه من أجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى امعان النظر في التفقه في تراجمه لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه

---

(١) ابن حجر الدرر الكامنه جـ ٥ ص ٧٧

لما تضمنه من المعنى الذى ترجم به الباب وكذلك فى ترجمة وترجمة الى أن يتكرر الحديث فى أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا يقولون شرح " كتاب البخارى " دين على الأمة ... يعنون أن أحدا من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار (١) " على أنه قد ألف بعد ابن خلدون شروح بلغت حد الإجادة والاتقان وذلك كفتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى وعمدة القارى للامام بدر الدين العينى والكوثر الجارى للكورانى والتوشيح للجلال السيوطى على أن أجل هذه الشروح وأجودها هو فتح البارى لابن حجر — فانه لايدانيه شرح ولا يحيط بجماله وصف وسوف نتحدث عن هذا الكتاب ومنهج ابن حجر فيه ومزاياه وما أخذ عليه وقيمة هذا الكتاب فى نظر العلماء فى الفصول التالية ان شاء الله .

المبحث الثانى : لمحات عن فتح البارى من الناحية الشكلية ..

لعل من الأوفق — قبل أن نتحدث عن منهج ابن حجر فى كتابه فتح البارى ، ونعنى بذلك دراسة الكتاب من الناحية الموضوعية — أن نتحدث عن الكتاب من الناحية الشكلية حتى يكون القارئ على علم وبصيرة بالكتاب من هذه الناحية قبل الخوض فى تفاصيله والتعرض لمباحثه ومسائله فنقول وبالله التوفيق ...

لقد شرح ابن حجر صحيح البخارى وسمى شرحه — فتح البارى — وكأنى بابن حجر يريد أن يطالع القارئ لأول وهلة عندما يقع نظره على عنوان الشرح بأن ما اشتمل عليه — هذا الشرح — انما هو مدد سماوى وفيض الهى وفتح ربانى ... ومن يك عطاؤه من فتح باريه كيف ينفذ .

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٧١

ومن الملاحظ أن الاسم — فتح الباري — الذي أطلقه ابن حجر على شرحه وارتضاه عنوانا له انما هو اسم لطيف وعلى السمع خفيف وهذه طبيعة ابن حجر فانه كما قال عنه تلميذه السخاوي " كان يسمى مؤلفاته بألطف الأسماء (١) " كما وأن هذا العنوان على ما يبدو عنوان مسجوع وهو النمط الذي كان يحرص عليه مؤلفو ذلك العصر تمشيا مع الأسلوب الأدبي الشائع آنذاك والمتبع في أيامهم وانني لأجد نفسي أمام سؤال يطرح نفسه ..

هل هذه التسمية من مبتكرات ابن حجر أم أنه مسبوق اليها فيكون مقلدا . الواقع أن المؤرخين الذين ترجموا لابن حجر لم يجمعوا أمرهم وتتفق اراؤهم ويعطونا جوابا شافيا عن هذا السؤال ..

فابن العماد الحنبلي يصرح جازما بأنه قد سبقه الى هذه التسمية ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ . حيث شرح صحيح البخاري وانتهى فيه الى كتاب الجنائز وسمى شرحه فتح الباري (٢) .

ومفاد هذا أن ابن حجر — يمكن أن يكون — ناقلا لهذه التسمية ومقلدا فيها غيره أما السخاوي تلميذ ابن حجر فيعرض هذه القضية بأسلوب الشك والتردد حيث يقول " وكذا سبقه فيما قيل الى التسمية بفتح الباري الحافظ الزين ابن رجب (٣) " ورواية السخاوي هذه ترجع أنها من مبتكراته وليس مقلدا فيها لأحد وهذا ما نميل اليه ونختاره وذلك لأن السخاوي مؤرخ معاصر فروايته أحق بالقبول أما ابن العماد فمتأخر وهذا من شأنه أن يقلل من قيمة روايته بهذا الصدد . وعلى فرض صحة رواية ابن العماد وهو أنه مسبوق الى هذه التسمية يمكننا أن نقول أن التسمية لكتابه ليست تقليدا ونقلا عمن سبقه وانما هي من باب توافق الأسماء لا من باب النقل والتقليد ويؤيد ذلك أن ابن حجر

---

(١) الجواهر ص ٣٧٦
(٢) شذرات الذهب جـ ٦ وفيات سنة ٧٩٥ ترجمة ابن رجب .
(٣) الجواهر ص ٨٧٥

نفسه صرح بأنه لم يطلع على كتاب ابن رجب [١] واذا كان الأمر كذلك فما بال ابن حجر ترجم لابن رجب ترجمة مستفيضة في كتابه أنباء الغمر وقال حينما عدد مصنفاته وشرح قطعة من البخاري [٢] وكذا نقل عنه في شرحه وذلك أنه حينما شرح حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ((مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية)) [٣]

ساق آراء العلماء في كلمة ((نقيه)) وأنها في بعض الروايات " طائفة طيبة " بدل نقية وفي بعضها ((بقعه)) ثم قال وقرأت في شرح ابن رجب أن في رواية بالموحدة بدل النون قال والمراد بها القطعة (الطيبة) كما يقال فلان بقية الناس . وهذا يدل على أن ابن حجر اطلع على شرح ابن رجب فكيف يصرح قبل ذلك بأنه لم يطلع عليه . والجواب على ذلك سهل وميسور فانه يمكن ان يقال ان ابن حجر أتم شرحه بعد أن سماه فتح الباري ولم يكن اطلع على شرح ابن رجب ثم اطلع عليه بعد واضاف منه الى شرحه ويساعدنا على ذلك أن السخاوي تلميذ ابن حجر صرح بأنه فرغ من شرحه في أول رجب سنة ٨٤٢ هـ [٤] سوى ما ألحق فيه بعد ذلك فلم ينته منه الا قبيل وفاته بيسير [٥] . أما الشوكاني فيصرح بأنه قد سبقه الى هذه التسمية شيخه صاحب القاموس المجد الفيروزبادي فانه وجد في أسماء مصنفاته أن من جملتها - فتح الباري - في شرح صحيح البخاري وكمل منه ربع العبادات [٦] وقد ذكر ابن حجر أنه اطلع على هذا الشرح ولم ينقل عنه لأن صاحبه قد ملأه بغرائب المنقولات من مقالات ابن عربي الشائعة بين علماء اليمن آنذاك [٧] . ومعنى هذا أن ابن حجر يمكن أن يكون أخذ تسمية شرحه للبخاري عن شيخه الفيروزبادي الذي لم يتم شرح البخاري كما لم يتم ابن رجب .

وقد نسب صاحب مفتاح السعادة الى السيوطي أنه صرح بأن ابن حجر أخذ تسمية شرحه للبخاري عن شيخه الفيروزبادي [٨] .

---

(١) الجواهر ص ٨٧٥ (٢) ابن حجر انباء الغمر ص ٤٦٠
(٣) من كتاب العلم - باب فضل من علم العلم وعلم .
(٤) أما البقاعي فيذكر أنه أكمل في آخر شعبان عنوان الزمان ص ٣٩
(٥) الجواهر ص ٨٧٥ (٦) البدر الطالع ج (١) م (١) ص ٨٩
(٧) المجمع المؤسس ص ٣١٨ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٢١
(٨) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٢١

لكن صاحب حاشية نيل الأماني على مقدمة القسطلاني يصرح بأن اسم الكتاب الذي ألفه الفيروز بادي انما هو — منح الباري — بالميم بدل الفاء (١) ولعله بعد هذا يترجح أن التسمية بفتح الباري التي سمي بها ابن حجر شرحه للبخاري من مبتكراته وليس ناقلا لها ولا مقلدا فيها لأحد .

وسواء لدينا أكانت التسمية — بفتح الباري — من مبتكرات ابن حجر أو أنه نقلها عن أسماء كتب السابقين له فهذا شيء ليس بذي بال وانما وقفنا عنده قليلا لنبين ما كتب في هذا الشأن وما سطر بهذا الصدد فالعبرة بمضمون الأشياء وما اشتملت عليه لأن التمايز بينها انما يكون من هذه الحيثية لاغير . ولا ريب أن مضمون — فتح الباري — لابن حجر وما اشتمل عليه وما ضمه بين دفتيه يتميز عن الكتب السابقة فهو شملها وزاد عليها وكل الصيد في جوف الفرى . وقد ألف ابن حجر مقدمة لفتح الباري سماها هدى الساري فرغ منها سنة ٨١٣ هـ . (٢)

ثم شرع عقب ذلك في شرح أطال فيه التفنين ومضى فيه قدما وكتب منه جزءا ثم اعتراه فتور وأدركه ملال وخشي أن يعجز عن اكماله على تلك الصفة التي ابتدأه عليها وعلى النسق الذي هو عليه من الطول فجنح الى كتابة شرح آخر متوسط وهو فتح الباري الموجود بين أيدينا الآن (٣) وابتدأ في تأليفه سنة ٨١٧ هـ على طريق الاملاء الا أنه غاير هذا المسلك بعد ذلك يقول ابن حجر " فلما كان بعد خمس سنين أو نحوها وقد بيض منه مقدار الربع على طريقة مثلى اجتمع عندي من طلبة العلم المهرة جماعة وافقوني على تحرير هذا الشرح بأن أكتب الكراس منه ثم يحصله كل منهم نسخا ثم يقرؤه أحدهم ويعارضه مع رفقته — في يوم من الأسبوع — مع البحث في ذلك والتحرير فصار السفر لا يكمل منه الا وقد قوبل وحرر ولزم من ذلك البطء في السير لهذه المصلحة الى أن يسر الله اكماله في شهر رجب سنة ٨٤٢ هـ . (٤) وظل ابن حجر بعد ذلك يلحق فيه حتى قبيل وفاته بيسير . (٥)

---

(١) مقدمة القسطلاني ص ١١٦

(٢) ابن حجر انتقاض الاعتراض ص ٢

(٣) الصدر السابق ص ٢ الجواهر ص ٨٧٥

(٤) انتقاض الاعتراض ص ٤

(٥) الجواهر ص ٨٧٥

وقد عمل ابن حجر ملخصا ومختصرا لفتح الباري - أسماه - النكت على صحيح البخاري وقد أشار السيوطي الى هذه الشروح حيث يقول في معرض سرد مؤلفات ابن حجر " ومن تصانيفه فتح الباري شرح صحيح البخاري وشرح آخر أكبر منه وآخر ملخص منه لم يتما وقد رأيت من هذا الملخص ثلاثة أجزاء من أوائله " (١).

وكان لابن حجر في فتح الباري مسلك بديع وطريقة فريدة حينما يعرض لشرح الأحاديث المكررة اذ كان يشرح كل حديث الشرح اللائق به في الباب الأنسب له وفي الموضع الذي يتعلق غرض البخاري بذكره فيه ثم يحيل عليه بعد ذلك مضيا واستقبالا ولذلك جاء شرحه متوسطا لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل . (٢)

وسوف نقدم بين يدى القارئ نماذج من هذه الحوالات سواء كانت على ما يستقبل من الشرح أو على ما مضى لتكون أمثلة تطبيقية وشواهد على ما ذكرناه .

واليك نماذج من الحوالات على ما يستقبل من الشرح وما سيأتي .

النموذج الأول : -

حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضي) قال ابن حجر (قوله ومنبرى على حوضي) سيأتي هذا الحديث بسنده ومتنه كاملا في أواخر فضل المدينه من أواخر كتاب الحج وسيأتي الكلام على المتن هناك ان شاء الله مستوفى (٣) .

النموذج الثاني : -

حديث قزعة مولى زياد قال سمعت أبا سعيد الخدرى رضي الله عنه يحدث بأربع عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعجبتني وآنقنني قال لا تسافر المرأة يومين الا ومعها زوجها أو ذو محرم ولا صوم في يومين : الفطر والأضحى ولا صلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب ولا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى) قال ابن حجر (قوله لا تسافر المرأة) سيأتي الكلام

---

(١) نظم العقيان ص٤٦ (٢) عنوان الزمان ص٤٠ الجواهر ص٩١٩
(٣) من أبواب التطوع - باب فضل ما بين القبر والمنبر .

عليه في الحج (قوله ولا صوم) سيأتي في الصوم — وأما باقي الحديث فهو من النوع الثاني وهو الحوالة على ما مضى من الشرح (١) .

النموذج الثالث : —

حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بينما أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتشي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى ولكن لا غنى لي عن بركتك) قال ابن حجر سيأتي الكلام على هذا الحديث في أحاديث الأنبياء (٢) .

النموذج الرابع : —

حديث معاوية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) قال ابن حجر هذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام أحدها فضل التفقه في الدين وثانيها أن المعطي في الحقيقة هو الله — وثالثها أن بعض هذه الأمة يبقى أبدا على الحق .. فالأول لائق بأبواب العلم . والثاني لائق بقسم الصدقات . والثالث لائق بذكر أشراط الساعة وسيأتي بسط القول فيه هناك وفي كتاب الاعتصام .. (٣)

هذا وأما عن الحوالات التي أحال فيها على ما مضى من الشرح فاليكم نماذج لها ايضا ..

---

(١) من أبواب التطوع — باب مسجد بيت المقدس .. جـ٣ ص ٧٠

(٢) كتاب الغسل — باب من اغتسل عريانا وحده في خلوته ..

(٣) كتاب العلم — باب من يرد الله به خير يفقهه في الدين ..

النموذج الاول :

حديث اسماء بنت ابي بكر – رضي الله عنها – قالت قلت يارسول الله ليس لي مال الا ما أدخل على الزبير فأتصدق قال – (تصدقي ولا توعي فيوعى عليك) [1] • قال ابن حجر قد تقدم شرحه في ابواب الزكاة – وقد راجعت ذلك فوجدته في باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها كما قال •

النموذج الثاني :

حديث حارثة بن وهب الخزاعي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (تصدقوا فسيأتي زمان يمشي الرجل بصدقته فيقول الرجل لو جئت بالامس لقبلتها) • قال ابن حجر قد تقدم الكلام عليه مستوفى في باب الصدقه قبل الرد من كتاب الزكاة على انني راجعت ذلك فوجدته كما قال • [2]

النموذج الثالث :

حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس فيما اقل من خمسة او سق صدقة ولا في أقل من خمسة من الابل الزود صدقة ولا في اقل من خمس اواق من الورق صدقة) كتاب الزكاة – باب ليس فيما دون خمسة او سق صدقة قال ابن حجر تقدم ذكره في باب زكاة الورق وقد راجعت ذلك فوجدته كما قال الا ان لفظ الحديث (ليس فيما دون خمس ذود) بدل (ليس فيما أقل)

النموذج الرابع :

حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة (فقال سبحان الله ما ذا انزل الليلة من الفتنة وماذا فتح من الخزائن ايقظوا صواحب الحجر رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) قال ابن حجر تقدم حديث ام سلمة والكلام عليه في باب العلم •• وفي ابواب التطوع •• باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل وقد راجعت ذلك فوجدته في باب العلم والعظه •

---

(1) كتاب الهبه – باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها اذا كان لها زوج فهو جائز •

(2) كتاب الزكاة – باب الصدقه باليمين •

من غير ايجاب بالليل كما قال الا أن لفظ الحديث (ماذا أنزل الليلة من الفتن) بدل الفتنة ولعل فيما قدمناه من النماذج كفاية وبرهان على ما ذكرنا من الحوالات الماضية والمستقبله ٠

على أنني لاحظت أن ابن حجر أحيانا قد أخل بما أخذه على نفسه وحاد عن الطريقة التي رسمها في شرح الأحاديث المكررة ٠٠ من أنه يشرح في كل موضع ما يتعلق بمقصود البخاري من ذكره فيه ٠٠ ويشرح الحديث ويستوفي شرحه ويستوعبه في مكان واحد وشاهد ذلك حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه متعلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) وهذا الحديث مذكور في أبواب الجماعة ٠ وكتاب الزكاة وكتاب الرقاق وكتاب الحدود ، وقد شرحه ابن حجر شرحا وافيا ضافيا واستوعب ما قيل فيه في باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاه وفضل المساجد من أبواب الجماعة وأحال شرح جميع المواضع على هذا المكان وقد اعترف ابن حجر نفسه بذلك حيث قال : (استوعبت شرح هذا الحديث هنا وان كان مخالفا لما شرطت لأن أليق المواضع به كتاب الرقاق) وساق اعتذاره عن ذلك فقال (لأن للأوليه وجها من الأولوية)- من أبواب الجماعة باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد)- على أن هذه الخطة التي ارتضاها ابن حجر وسلكها في شرحه للأحاديث المكررة كانت سببا في وهمه أحيانا وذلك أنه كان يحيل في شرحه على موضع بعينه ويقول انه ذكر فيه شرح هذه المسألة أو تلك ولكن لا يوجد في الموضع الذي أحال عليه أي شيء مما ذكر وقد أشار الى ذلك ابن حجر نفسه حيث قال : (أود لو تتبعت الحوالات التي تقع لي فيه فان لم يكن المحال به مذكورا أو ذكر في مكان آخر غير المحال عليه فينتهي اليه ليقع اصلاحه فما فعل ذلك فاعلمه) (1)

---

(1) الجواهر ص ٩٢٠

والخطب في ذلك يسير ولعل عذره راجع الى تكرار الحديث في مواضع كثيرة مما يؤدى الي عدم ضبط الموضع الذى سبق أن شرحه فيه أولا كما وأن طول الزمان الذى استغرقه الشرح من شأنه أن يفتح بابا للسهو والنسيان . وقد بذلت جهدى كي أقف على حوالة واحدة وهم فيها ابن حجر فما تيسر لى ولكن صاحب البيت أدرى بالذى فيه .

ولما أتم ابن حجر تأليفه عمل وليمة عظيمة بالمكان الذى بناه المؤيد المسمى بالتاج والسبع وجوه بين كوم الريش ومنية الشيرج خارج القاهرة في يوم السبت الثامن من شهر شعبان سنة ٨٤٢ هـ . وأنفق عليها نحو خمسمائة دينار وقل من تخلف عنها من العلماء والأمراء والطلاب والقضاه والولاه والأعيان وقرئ هناك المجلس الأخير وجلس المصنف مع القارئ على الكرسي وكان يوما مشهودا لم يعهد أهل العصر مثله (١) .. وجرت بين الأدباء في ذلك اليوم وبين مصنف الكتاب — ابن حجر — مطارحات شعرية بديعة شيقة فمن ذلك أن المقام الناصرى — محمد بن السلطان جقمق — قال يامولانا شيخ الاسلام هذا يوم طيب فلعل أن تتحفونا ببيت من مفرداتكم لعل أن نمشي خلفكم فيه ، فقال — ابن حجر — أخشى أن ابتدأت أن لايكون موافقا لما وقع في خاطركم والأحسن أن تبتدئ أنت فان مشينا خلفه فيها ونعمت والا رددنا سرورا فقال الناصرى :

هويتها بيضاء رعبوبة ... قد شغفت قلبي خود السودلح

فقال ابن حجر ...

سألتها الوصل فضنت به ... ان قليلا من الملاح السماح

فقال على العرساني ...

قد جرحت قلبي لما رنت ... عيونها السود المراض الصحاح (٢)

كما تبارى الشعراء في انشاد القصائد في مدح الشرح ومؤلفه فمن ذلك قصيدة تلميذه البرهان البقاعي ، ومطلعها ...

---

(١) الجواهر ص٩١٣ ، ٩١٤

(٢) الجواهر ص٩١٥

ما باله يرضى بخلع عــذارى ... ان كان لا يصغى لوسف عــذارى
ان الغرام له رجال دينهم ... تلف النفوس على هوى الأقــدار
خاضوا بحار العشق وقت هياجها ... اذ موجها كا الجحفل الجرار

الى أن قال :

شرح البخارى الذى فى سلكه ... نظمت علوم الشرع مثل بحــار
فى كل طرس منـه روض مزهر ... وبكل سطر منـه نهـر جار
قد حررت فيه مباحث من مضى ... وكلامهم أضحى بغير غبار
وبه زوائد من فوائد جمـة ... وفرائـد أعيـت على النظـار
شرح الحديث به فكم من مشكل ... فيـه انجلى للعين بالآثـار
يأتى الى طرق الحديث يضمها ... فاذا العيان مصدق الأخبـار

وهذه قصيدة طويلة تبلغ أكثر من ثلاثين بيتا كلها مدح وثناء فى الشرح ومؤلفه •
وألقى شمس الدين احمد بن كمال الدجوى الشاعر (١) فى ذلك اليوم قصيدة مطلعها :

بحمد الله نبدأ ما دحينـا ... حديث المصطفى والشارحينـا
بفتح البارىء أتضحت وبانـت ... مناهـل علمـه للـوارد ينـا
صحيح سد باب الطعن فيـه ... وفتـح من مسائلـه العيونـا
فكم قول يقـول بـه فـلان ... تـراه عنـده للقائلينـا
وفيه الواضحات وغامضـات ... فلا تبعـد بـه متفقهونـا
وأحكـام بمسعدك قد أضـاءت ... شوارعهـا طـريق السالكينـا (٢)

---

(١) عنوان الزمـان ص ٤٠
(٢) الجواهـر ص ٦٢٨ ، ٦٢٩

وكذا أنشد شهاب الدين احمد بن مبارك شاه الحنفي في ذلك اليوم قصيدة مطلعها

أتبرز خد اللمقبل أم يدا وتعطف قدا للمعانق اميدا

ومن عجب أني طليع صبابة وشوقي اليها لا يزال مجددا (١)

وكذلك أنشد شهاب الدين احمد الحجازي الشاعر قصيده أستهلها بقوله :

اذا نوه الحادي بذكرك أوحدا تيقنت أني صرت في الحب أوحدا

أيا شيخ الاسلام المعظم قدره ويا حاكما بالله أضحى مؤيدا (٢)

وكل هذه القصائد تتضمن بيانا لمزايا الكتاب وتعدادا لمناقب مؤلفه وجميعها مثبت في آخر جزء من الكتاب وقد انتشرت سمعة — فتح البارى — في الآفاق وذاع صيته في سائر البلدان وطارت شهرته كل مطار فلاعجب إذن أن طلبه الملوك بسؤال علمائهم لهم في ذلك وتهادوه فيما بينهم وحسبنا دليلا على ذلك أنه في سنة ٨٣٣ هـ • ورد كتاب من شاه رخ ملك المشرق يطلب من السلطان الأشرف برسباى هدايا من جملتها كتب في العلم منها فتح البارى فجهز له • ماكان ألف ثم في سنة ٨٣٩ هـ أعاد الطلب فأرسل اليه ما تم تأليفه ثم في أيام الظاهر جقمق جهزت له النسخة كامله وكان ذلك بعناية الشيخ شمس الدين الجوزرى •• وكذا أرسل سلطان المغرب عبد العزيز الحفصي يطلب الكتاب وذلك بعناية الأمام زين الدين عبد الرحمن البَرشكي فجهز له ما كمل منه على أن الذي أثار رغبة الملوك في طلبه وتحصيله قبل اكماله والفراغ منه هو اشتهار مقدمته فصار من يعرف فصولها يتشوق الى الأصل فيسارع في طلب الحصول عليه • (٣)

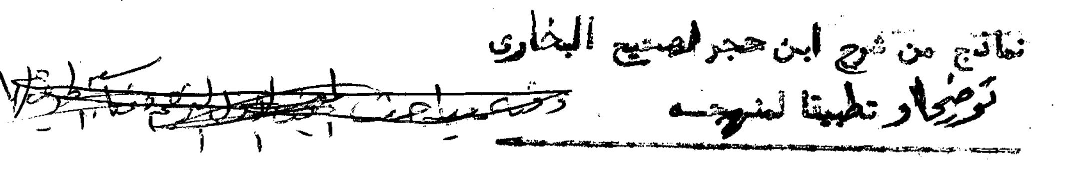
وبعد فهذه نبذة عن فتح البارى من الناحية الشكلية ، ولعلنا نكون قد وفقنا في عرضها وتقديمها • بقي علينا أن نتحدث عنه من الناحية الموضوعية وأعني بذلك منهجه وخطته التي سار عليها في شرحه وهذا ما سنتناوله في الفصل التالي ان شاء الله ••• فالى لقاء على صفحاته •••

---

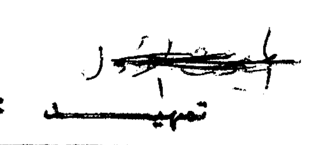
(١) عنوان الزمان ص ٤٢
(٢) عنوان الزمان ص ٤٤
(٣) الجواهر ص ٩٠٦ ، ٩٠٧

الفصـــل الثانـــى

نماذج من شرح ابن حجر لصحيح البخاري



توضيحا وتطبيقا لمنهجه



تمهيـــد :

لقد أستهل ابن حجر كتابه (فتح البارى) بمقدمة مختصرة قال فيها (أما بعد فقد آن الشروع فيما قصدت له من شرح الجامع على ما وعدت به في أول المقدمة وكنت عزمت على أن أسوق حديث الباب بلفظه قبل شرحه ثم رأيت ذلك مما يطول به الكتاب جـدا فسلكت الآن فيه طريقا وسطى أرجو نفعها كافله بما أطلقت عليه من ذلك إذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها وربما أعدت شيئا مما تقدم في المقدمة لمعنى يقتضيه اما لبعد العهد به أو لغير ذلك ولكن اعتمادى غالبا على الحوالة عليها وسميته (فتح البارى بشرح البخاري) وقد رأيت أن أبدأ الشرح بأسانيدى الى الأصل بالسماع أو بالاجازة ٠٠ ثم ذكر أسانيده وساقها وقال بعد أن فرغ منها (وقد انتهى الغرض الذى أردته من التوصيل الذى أوردته فليقع الشروع فى الشرح والأقتصار على أتقن الروايات عندنا وهى رواية أبى ذر عن مشايخه الثلاثة لضبطه وتمييزه لاختلاف سياقها مع التنبيه الى ما يحتاج اليه مما يخالفها)

وقد رسم ابن حجر لنفسه خطة سار عليها ومنهجا ترسمه لهذا الشرح ~~شأنه في ذلك شأن مؤلفي العصر~~ وقد وضح لى من تتبعى له في منهجه أنه ماحاد عنه فى شرحه وما ضل عن جزئية من جزئياته وسوف أقدم هذا المنهج على تلكم الصفحات منصلا مشفعا كل جزئية من جزئياته بما يدل عليها ويشهد لها في مبحث خاص فأقول وبالله التوفيق ...

المبحث الأول

تمهيد

الترجمة ومناسبة الحديث لها :

الترجمة هي العنوان الذى جعله البخارى رمزا لما قصد اليه وأراده ثم يسوق تحتها ماشاء من الأحاديث لعلاقة تجمعها ومناسبة بينهما — وقد حرص ابن حجر فى شرحه — كل الحرص على ابراز هذه العلاقة التى بين الحديث والترجمة واظهار وجه المناسبة بينهما حتى يكون هناك تجانس والتئام ومطابقة بين الترجمة وما ذكر تحتها من الأحاديث غير أن هذه المناسبة تارة تكون ظاهرة لاتحتاج الى أعمال ذهن وقدح فكر يستوى فى ادراكها العالم الجهبذ ومن عنده مسحة من العلم وليس لابن حجر عند هنا وقفة وتأمل وسوف نسوق لها نماذج فيما يلى ...

النموذج الأول :—

ترجم البخارى فى كتاب الجهاد (باب من جهز غازيا أو خلفه بخير) وساق فى هذا الباب حديث زيد بن خالد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا) ومناسبة هذا الحديث للترجمة ظاهرة واضحة لأن الترجمة هى متن الحديث لذا فقد سكت ابن حجر عن بيانها وايضاحها لأنها من الوضوح لاتحتاج الى ايضاح .

النموذج الثانى :—

ترجم البخارى فى كتاب الطب (باب ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء) وذكر تحت هذا الباب حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء) ومطابقة هذا الحديث للترجمة ظاهرة واضحة لأن الترجمة عين الحديث لذا نرى ابن حجر سكت عن ايضاحها وبيانها لأنها من الظهور لاتحتاج الى اظهار .

وما سقناه من النماذج إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر والا فالكتاب فيه الكثير والكثير .. وتارة أخرى تكون المناسبة خفية تحتاج الى أعمال ذهن وقدح زناد فكر وهى

ما تأملها ابن حجر ووقف عندها حتى أبرزها وجلاها وأزال ما فيها من خفاء وما اكتنفها من غموض . وابن حجر نفسه يصرح بذلك في مقدمته حيث يقول (فأسوق ان شاء الله الباب وحديثه أولا ثم أذكر وجه المناسبة بينهما ان كانت خفية) وسوف نسوق نماذج لهذا النوع فيما يلي ..

النموذج الأول : —

قال البخاري : كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وساق فيه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) الحديث بتمامه

قال ابن حجر متحدثا عن مناسبة هذا الحديث لبدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى المهلب أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب به حين قدم المدينة مهاجرا فناسب ايراده في بدء الوحي لأن الأحوال التي كانت قبل الهجرة كانت كالمقدمة لها لأن بالهجرة افتتح الأذن بقتال المشركين ويعقبه النصر والظفر والفتح أ هـ

ثم قال : وهذا وجه حسن الا أنني لم أر ما نقله أو ذكره من كونه صلى الله عليه وسلم خطب به أول ما هاجر منقولا وقد وقع في باب ترك الحيل بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يا أيها الناس انما الأعمال بالنية . في هذا ايماء الى أنه كان في أثناء الخطبة أما كونه كان في ابتداء قدومه المدينة فلم أر ما يدل عليه .. وقال ايضا وهو لا يزال يتحدث عن هذه المناسبة : وعن أبي عبد الملك البوني قال مناسبة الحديث للترجمة أن بدء الوحي كان بالنية لأن الله تعالى فطر محمدا على التوحيد وبغض اليه الأوثان ووهب له أول أسباب النبوة وهي الرؤيا الصالحة فلما رأى ذلك أخلص لله في ذلك فكان يتعبد بغار حراء فقبل الله عمله وأتم له النعمة .

النموذج الثاني : -

ترجم البخاري في كتاب الايمان (باب أي الاسلام أفضل)

وساق فيه حديث أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله أي الاسلام أفضل قال (من سلم المسلمون من لسانه ويده) قال ابن حجر في بيان مناسبة هذا الحديث للترجمة (واذا ثبت ان بعض خصال المسلمين المتعلقة بالاسلام أفضل من بعض حصل مرادا لمصنف بقبول الزيادة والنقصان .. أي في الأيمان اذ الايمان والاسلام عنده مترادفان . أ . هـ .

على أنني قد لاحظت هنا وفي مواضع أخرى أن ابن حجر لم يذكر وجه المناسبة بين الحديث والترجمة الا بعد أن يشرح الحديث ويستوفيه من جميع جوانبه وكان الأليق به أن يذكر وجه المناسبة بادىء ذي بدء قبل التعرض لشرح الحديث وبيان أي شيء مما يتعلق به خصوصا وأنه ذكر في مقدمته عندما تحدث عن منهجه - ما يشير الى هذا حيث يقول (فأسوق ان شاء الله الباب وحديثه أولا ثم أذكر وجه المناسبة بينهما ان كانت خفية ثم أستخرج ثانيا) وهذا يدل على أنه أخذ على نفسه أن يذكر وجه المناسبة بين الحديث والترجمة أولا ولكنه أخل بذلك .

ومن هذا القبيل أيضا حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتا بالمدينة غير بيت أم سليم الا على أزواجه فقيل له فقال (اني أرحمها قتل أخوها معي) ذكر البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد - في - باب من جهز غازيا أو خلفه بخير - ونرى ابن حجر هنا أيضا شرح الحديث واستوفاه ثم قال مبينا وجه مناسبة الحديث للترجمة ((تنبيه : قال ابن المنير مطابقة حديث أنس للترجمة من جهة قوله أو خلفه في أهله لأن ذلك أعم من أن يكون في حياته أو بعد موته والنبي صلى الله عليه وسلم كان يجبر قلب أم سليم بزيارتها ويعلل ذلك بأن أخاها قتل معه ففيه أنه خلفه في أهله بخير بعد وفاته وذلك من حسن عهده صلى الله عليه وسلم) ا . هـ .

النموذج الثالث :

ترجم البخاري في كتاب الأذان : باب كم بين الأذان والاقامة ومن ينتظر اقامة الصلاة .. وساق فيه حديث أنس بن مالك قال كان المؤذن اذا أذن قام ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبتدرون السواري حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم كذلك يصلون الركعتين قبل المغرب ولم يكن بينهما شيء)

قال ابن حجر بعد أن استوفى الكلام على الحديث مبينا مطابقته للترجمة (ومطابقة حديث أنس للترجمة من جهة الإشارة الى أن الصحابة اذا كانوا يبتدرون الى الركعتين قبل صلاة المغرب مع قصر وقتها فالمبادرة الى التنفل قبل غيرها من الصلوات تقع من باب الأولى . ولا يتقيد بركعتين إلا ما ضاهى المغرب في قصر الوقت كالصبح ... على أنني قد لاحظت أيضا أنه يورد بيان مناسبة الحديث للترجمة على صورة اعتراض وجواب عنه أحيانا كقوله فان[1] قلت ما مناسبة هذا الحديث للترجمة قلت مناسبته كذا وكذا . أ . هـ .

النموذج الرابع : —

ترجم البخاري في كتاب مواقيت الصلاة — باب قوله تعالى منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين ... وساق فيه حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل

(١) مثال ذلك حديث أبي سفيان في قصة هرقل قال ابن حجر في بيان مناسبة هذا الحديث لبدء الوحي : فان قيل ما مناسبة حديث أبي سفيان في قصة هرقل ببدء الوحي فالجواب أنها تضمنت كيفية حال الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الأبتداء ولأن الآية المكتوبة الى هرقل للدعاء الى الاسلام ملتئمة مع الآية التي في الترجمة وهي قوله تعالى : (اذا اوحينا اليك الآية) وقال تعالى شرع لكم من الدين الآية فبان أنه أوحى اليهم كلهم أن أقيموا الدين وهو معنى قوله تعالى (سواء بيننا وبينكم الآيه ..

اليك الا في الشهر الحرام فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو اليه من وراءنا فقال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الايمان بالله — ثم فسرها لهم شهادة أن لااله الا الله وأني رسول الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تؤدوا الى خمس ما غنمتم وأنهى عن الدباء والحنتم والمقير والنقير أ.هـ. قال ابن حجر موضحا وجه مطابقة الحديث للترجمة (ومناسبة الحديث للترجمة أن في الآية اقتران نفي الشرك باقامة الصلاة وفي الحديث اقتران اثبات التوحيد باقامتها) أ.هـ.

النموذج الخامس : —

ترجم البخاري في كتاب الاعتصام — باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف مالا يعنيه وقول الله تعالى لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وذكر فيه حديث زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليالي حتى اجتمع اليه ناس ففقدوا صوته ليلة فظنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج اليهم فقال (مازال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة) قال الحافظ ابن حجر في بيان مناسبة الحديث للترجمة (والذي يتعلق بهذه الترجمة من هذا الحديث ما يفهم من انكاره صلى الله عليه وسلم ما صنعوا من تكلف ما لم يأذن لهم فيه من التجميع في المسجد في صلاة الليل — ولعل فيما سقناه من النماذج كفاية للاستدلال على ما بذله ابن حجر من جهد في هذا الصدد هذا ونود أن نشير الى أن ابن حجر صرح بأنه يوجد أحاديث مناسبتها للترجمة فيها غموض — أي بالنسبة له — بل يذهب الى أبعد من ذلك فيصرح بأن بعض الأحاديث لاتوافق ما ذكرت تحته من التراجم — أي في نظره — وأليق بها أن تذكر تحت ترجمة اخرى وهذا منه — في نظري — يعتبر نقدا متواضعا هادئا لصاحب الصحيح في سياقه تلك الأحاديث تحت هذه التراجم وهاكم نموذجا من الأحاديث التي صرح ابن حجر بأن في مناسبتها للترجمة

غموضا - ترجم البخاري في كتاب التمني - باب ما يكره من التمني ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الى قوله إن الله كان بكل شيء عليما ..

وساق فيه حديث أنس قال : لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تمنوا الموت لتمنيت ..

وساق أيضا حديث قيس بن أبي حازم قال : أتينا خباب بن الأرت نعوده وقد اكتوى سبعا فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ... وساق كذلك حديث سعد بن عُبَيْد مولى عبد الرحمن بن أزهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايتمني أحدكم الموت اما محسنا فلعله يزداد واما مسيئا فلعله يستعتب ..

قال ابن حجر في بيان مناسبة هذه الأحاديث للترجمة (ذكر في هذا الباب ثلاثة أحاديث كلها في الزجر عن تمني الموت وفي مناسبتها للآية غموض الا ان كان أراد أن المكروه من التمني هو جنس ما دلت عليه الآية وما دل عليه الحديث وحاصل ما في الآية الزجر عن الحسد وحاصل ما في الحديث الحث على الصبر لأن تمني الموت غالبا ينشأ عن وقوع أمر يختار الذي يقع به الموت على الحياة . فاذا نهي عن تمني الموت كان أمرا بالصبر على ما نزل ويجمع الحديث والآية الحث على الرضا بالقضاء والتسليم لأمر الله تعالى .. أ.هـ.

واليكم أيضا نماذج لبعض الأحاديث التي صرح ابن حجر بأنها لاتوافق ما ذكرت تحته من التراجم وأليق بها أن تذكر تحت ترجمة أخرى ...

التموذج الأول :-

ترجم البخاري في كتاب الجهاد - باب المجن ومن يترس بترس صاحبه - وساق فيه حديث علي رضي الله عنه قال : ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفدي رجلا بعد سعد سمعته يقول : ارم فداك أبي وأمي ..

قال ابن حجر في بيان مناسبة هذا الحديث للترجمة (ودخول هذا الحديث هنا غير ظاهر لأنه لا يوافق واحدا من ركني الترجمة وله مناسبة بالترجمة التي بعده وهي — باب الدرق — من جهة أن الرامي لا يستغني عن شيء يقي به نفسه سهام من يراميه) .

النموذج الثاني : —

ترجم البخاري في كتاب الجهاد — باب الخدمة في الغزو — وساق فيه حديث أنس رضي الله عنه قال : صحبت جرير بن عبد الله — أي البجلي — فكان يخدمني وهو أكبر من أنس — قال ابن حجر في بيان مناسبة الحديث للترجمة (وهذا الحديث من الأحاديث التي أوردها المصنف في غير مظنتها وأليق المواضع بها المناقب) ..

وبعد ما قدمنا فلعله يكون قد وفقنا الى عرض ما يتعلق بالترجمة ومناسبة الحديث لها فالى مبحث آخر ...

المبحث الثاني متن الحديث ومدى الاهتمام به في شرح ابن حجر : —

المتن .. لغة ما صلب وارتفع من كل شيء .

واصطلاحا .. ما ينتهي اليه السند من الكلام ، فهو نفس الحديث الذي ذكر الأسناد له . وقد اعتنى ابن حجر عناية تامة بالمتن عند شرحه لأحاديث الجامع فشرح غريب مفرداته (١) وأوضح معاني لغوياته وبين ما فيه من النحو وأوجه الاعراب وكذلك جلى صوره البيانيه والبلاغيه (٢)

---

(١) وقد عقد لها فصلا مستقلا في مقدمته ..
(٢) بينا ذلك في المباحث التالية باسهاب مع التمثيل ..

وكشف عن مبهماته (١) . وما فيه من أدراج (٢) ولم يقف به الأمر عند ذلك بل استخرج — كما يقول هو — ما يتعلق به غرض صحيح من ذلك الحديث من الفوائد المتنية من تتمات وزيادات وكشف غامض .. وسوف نسوق نماذج يتضح بها استخرجه ابن حجر .. من الفوائد المتنية من المتن — من تتمات وزيادات الخ واليك البيان ...

(١) المبهم هو : من أبهم ذكره ولم يعين اسمه ويتوصل لمعرفته بجمع طرق الحديث غالبا ويكون في السند وفي المتن مثاله في السند : ما رواه أبو داود من طريق حجاج بن فرافصة عن رجل عن أبي هريرة — المؤمن غر كريم — هو يحيى بن كثير فقد رواه أبو داود أيضا والترمذي من حديث بشر بن رافع عنه عن أبي سلمه .. ومثاله في المتن ما رواه الشيخان عن عائشة أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من الحيض فالسائلة هي أسماء بنت يزيد بن السكن وفي رواية لمسلم بنت شكل .. بفتحتين وقد عقد ابن حجر لها فصلا في مقدمته وأشار اليها أثناء شرحه ..

(٢) المدرج : هو كلام يذكر متصلا بالحديث يوهم أنه منه أو يكون عنده متنين بإسنادين فيرويهما بأحدهما كرواية سعيد بن أبي مريم (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تنافسوا) أدرج ابن ابي مريم (ولا تنافسوا) .. ويكون في المتن تارة في أوله كحديث أبي هريرة أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم قال : (ويل للأعقاب من النار) فأسبغوا من قول أبي هريرة والباقي مرفوع .. وتارة في اثنائه كحديث عائشة أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحه وفيه (وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد) فقوله وهو التعبد هذا مدرج في الخبر من تفسير الزهري — كتاب بدء الوحي فتح الباري ج ١ ص ٢١

وتارة يكون في آخره كحديث ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر فإنهما يطمسان البصر ويستسقطان الحبل قال: عبد الله فبينما أنا أطارد حية لأقتلها ناداني أبو لبابه لا تقتلها فقلت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل الحيات فقال . انه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت وهي العوامر فقوله وهي العوامر من كلام الزهري ادرج في الخبر وقد بينه معمر عن الزهري . فساق الحديث وقال في آخره قال الزهري وهي العوامر وقد جمع ابن حجر كل ما في الصحيح من المدرج في كتابه تقريب المنهج بترتيب المدرج بعد أن أشار اليه في مواضعه من الشرح من كتاب بدء الخلق — باب قوله تعالى وبث فيها من كل دابة ج ٦ ص ٤١١ .

النموذج الأول : —

روى البخارى حديث عائشة ولفظه (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم) وفيه (وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله) وفيه (حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ) وفيه (فدخل على خديجه بنت خويلد فقال زملونى زملونى) وفيه (فقالت له خديجة كلا والله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل) وفيه (وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الإنجيل بالعبرانيه) وفيه (وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا) قال ابن حجر مبينا ما يتعلق بهذا الحديث من الفوائد المتنية — من زيادات وتتمات — وقوله فقالت له خديجه كلا الخ ٠٠)

وفى رواية المصنف فى التفسير من طريق يونس عن الزهرى من الزيادة وتصدق الحديث ٠٠ وفى رواية هشام بن عروة عن أبيه فى هذه القصه وتؤدى الأمانة ٠

(قوله فكتب من الأنجيل بالعبرانيه) وفى رواية يونس ومعمر ويكتب من الأنجيل بالعربيه ولمسلم فكان يكتب الكتاب العربى ٠ (قوله وان يدركنى يومك) زاد فى رواية يونس فى التفسير حيا ولابن اسحاق ان أدركت ذلك اليوم ٠ (1) ا ٠ هـ ٠

النموذج الثانى : —

روى البخارى حديث ابن مسعود ولفظه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس اذ قال بعضهم لبعض أيكم يجئ بسلى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبى صلى الله عليه وسلم ووضعه على ظهره بين كتفيه ٠٠ وفيه (فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله ساجد لايرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فطرحته عن ظهره فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم اذ دعا عليهم وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سمى اللهم عليك بأبى جهل) ٠٠٠ وفيه (قال

---

(1) كتاب بدء الوحى

فو الذى نفسى بيده ، لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى فى القليب قليب بدر) قال : ابن حجر مبينا ما يتعلق بهذا الحديث من الفوائد المتنية — من زيادات وتتمات — (قوله بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد) بقيته من طريق عبدان — راوى الحديث — وحوله ناس من قريش من المشركين ..

(قوله اذ قال بعضهم) زاد مسلم وقد نحرت جزور بالأمس .

(قوله فيضعه) زاد فى رواية اسرائيل فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها ثم يمهله حتى يسجد .. (قوله لو كانت لى منعة) زاد مسلم لطرحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ويحيل بعضهم على بعض) ولمسلم من رواية زكريا ويميل بالميم وكذا للمصنف من رواية اسرائيل ..

(قوله فاطمة) زاد اسرائيل وهى جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا (قوله فطرحته) زاد اسرائيل وأقبلت عليهم تشتمهم وزاد البزار فلم يردوا عليها شيئا ...

(قوله فرفع رأسه) زاد البزار من رواية زيد بن أنيسه عن أبى اسحاق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد اللهم ....

(قوله ثم قال) وعند البزار فرفع رأسه كما كان يرفع عند تمام سجوده فلما قضى صلاته قال : اللهم ولمسلم والنسائى نحوه (قوله ثلاث مرات) زاد مسلم وكان اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا ... (قول فشق عليهم) ولمسلم فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته .. قوله قال فوالذى نفسى بيده .. وفى رواية مسلم والذى بعث محمدا بالحق وللنسائى والذى أنزل عليه الكتاب .(1)

(قوله صرعى فى القليب) . فى رواية اسرائيل لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر . وزاد شعبه فى روايته الا أمية فانه تقطعت أوصاله لأنه كان بادنا . أ هـ.

(1) من كتاب الوضوء — باب اذا ألقى على ظهر المصلى قذرا أو جيفه ج 1 ص 301 ص 302 ، 303

النموذج الثالث :ـ

روى البخاري حديث جابر بن عبد الله ولفظه (بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة له فانطلقت ثم رجعت وقد قضيتها فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي فوقع في قلبي ما الله أعلم به) . قال ابن حجر مبينا ما في هذا الحديث من الفوائد المتنية ـ من زيادات وتتمات ـ (قوله بعثني النبي في حاجة) بين مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر أن ذلك كان في غزوة بني المصطلق ..

(قوله فلم يرد علي) في رواية مسلم المذكورة فقال لي بيده هكذا وفي رواية له أخرى فأشار الي [1] ..

وما قدمته إنما هو نماذج والا فالكتاب لا يوجد فيه حديث الا وقد كشف ابن حجر غامضه وجلا معناه وذكر ما فيه من زيادات وتتمات استمدها من كتب السنة ومسانيد ها ومستخرجاتها وأجزائها بشرط الصحة أو الحسن كما أشار هو الى ذلك في مقدمته [2] .

أ. هـ .

المبحث الثالث

الأسناد ولطائفه في شرح ابن حجر :ـ

تمهيد

قبل أن نتحدث عن اهتمام ابن حجر وعنايته بالأسناد في شرحه ، يجمل بنا أن نشير الى تعريف السند والاسناد ، فنقول ..

السند لغة .. المعتمد .. واصطلاحا الطريق الموصلة الى المتن أي الرواة الذين يتوصل بهم الى الحديث ..

أما الاسناد لغة : فهو مطلق الأخبار .. واصطلاحا الأخبار عن طريق المتن فهو مشترك مع السند في اعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليه ولذا قال ابن جماعة

(١) كتاب الصلاة ـ باب لا يرد السلام في الصلاة جـ ٣ ص ٦٧
(٢) المقدمه ص ١٦

المحدثون يستعملون السند والاسناد لشئ واحد [١] . والإسناد منة من الله وفضيلة خص بها هذه الأمة يقول ابن حزم نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال فضيلة خص الله بها هذه الأمة دون سائر الملل وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لايقربون من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا . وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق . [٢] . وعن طريق البحث والنظر في الاسناد ورجاله يتبين غث الحديث من سمينه وصحيحه من سقيمه وينكشف ما هو مدخول موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم لذا قال ابن المبارك لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء [٣] . وقد اعتنى علماء الحديث وحفاظ السنة منذ العصور الأولى بحفظ الأسانيد فصانوا بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من الضياع وعصموها من أهل الالحاد والمبتدعة أن يضيفوا اليها ما ليس منها ..

يقول الحاكم أبو عبد الله - لولا كثرة طائفة المحدثين على حفظ الأسانيد لدرس منار الاسلام ولتمكن أهل الالحاد والمبتدعة من وضع الأحاديث وقلب الأسانيد [٤] . وقد اهتم ابن حجر عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح بالإشارة الى لطائف الأسناد ورجاله فيذكر مواليدهم ووفياتهم أحيانا وبلدانهم وألقابهم وكناهم واسماءهم وضبط ما يشكل منها لذلك وسوف نسوق نماذج / فيما يلي ...

---

(١) حاشية مقدمة القسطلاني ص ١٣

(٢) فهرس الفهارس ج ١ ص ٥٠

(٣) حاشية القسطلاني ص ٣٩

(٤) حاشية القسطلاني ص ٦

النموذج الأول :

قال البخاري حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، قال أخبرني محمد بن ابراهيم التيمي أنه سمع علقمة ابن وقاص الليثي يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انما الأعمال بالنيات) قال ابن حجر في بيان رجال اسناد هذا الحديث ولطائفه ..

(قوله حدثنا الحميدي) هو أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى منسوب الى حميد بن أسامة بطن من بني أسد بن عبد العزى بن قصي رهط خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في قصي وهو امام كبير منصف رافق الشافعي في الطلب عن ابن عيينة وطبقته وأخذ عنه الفقه ورحل معه الى مصر ورجع بعد وفاته الى مكة الى أن مات بها سنة ٢١٩ هـ .

(قوله حدثنا سفيان) هو ابن عيينه بن أبي عمر والهلالي ابو محمد المكي أصله ومولده الكوفة وقد شارك مالكا في كثير من شيوخه وعاش بعده عشرين سنة وكان يذكر أنه سمع من سبعين من التابعين . (قوله عن يحيى بن سعيد الأنصاري) اسم جده قيس ابن عمرو وهو صحابي ويحيى من صغار التابعين وشيخه محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي من أوساط التابعين وشيخ محمد علقمة بن وقاص الليثي من كبارهم ففي الأسناد ثلاثة من التابعين في نسق وفي المعرفه لابن منده ما ظاهره أن علقمة صحابي فلو ثبت لكان فيه تابعيان وصحابيان وعلى رواية أبي ذر — وهي التي ارتضاها ابن حجر — يكون قد اجتمع في هذا السند أكثر الصيغ التي يستعملها المحدثون وهي التحديث والأخبار والسماع والعنعنه والله أعلم اهـ . (١)

النموذج الثاني :

قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم الحديث) ..

---

(١) كتاب كيف كان بدء الوحي — فتح الباري ج ١ ص ٧

قال ابن حجر ، فى معرض ذكر رجال الأسناد فى هذا الحديث قوله (حدثنا يحيى بن بكير) هو يحيى بن عبد الله بن بكير نسبا الى جده لشهرته بذلك وهو من كبار حفاظ المصريين وأثبت الناس فى الليث ابن سعد الفهمى فقيه المصريين وعقيل بالضم على التصغير وهو من أثبت الرواة عن ابن شهاب وهو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الفقيه نسبا الى جد جده لشهرته • الزهرى نسبا الى جده الأعلى زهره بن كلاب وهو من رهط آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم اتفقوا على فضله وامامته (١)

النموذج الثالث :

قال البخارى حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال : حدثنا أيوب عن أبى قلابه عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان الحديث) قال ابن حجر فى بيان رجال اسناد هذا الحديث ولطائفه •

(قوله حدثنا محمد بن المثنى) هو أبو موسى العنزى بفتح النون بعدها زاى قال : حدثنا عن الوهاب هو ابن عبد الحميد حدثنا أيوب هو ابن أبى تميمة السختيانى بفتح السين المهملة على الصحيح وحكى ضمها وكسرها عن أبى قلابة بكسر القاف وباء موحدة وهذا الأسناد كله بصريون • (٢)

النموذج الرابع :

قال البخارى حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى أبو ادريس عائذ الله ابن عبد الله أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وكان شهد بدرا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال وحوله عصابة من أصحابه بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا الحديث) ••

---

(١) فتح البارى ج ١ ص ٤١ كتاب بدء الوحى •
(٢) فتح البارى كتاب الأيمان — باب حلاوة الايمان — ج ١ ص ٥٦ ، ٥٨ •

قال ابن حجر في بيان لطائف هذا الاسناد ورجاله .

(قوله عائذ الله) هو اسم علم أي ذو عياذه بالله وأبو عبيد الله بن عمرو الخولاني صحابي وهو من حيث الرواية تابعي كبير وقد ذكر في الصحابة لأن له رؤية ومولده عام حنين والاسناد كله شاميون . (١)

النموذج الخامس :

قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمه عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قال : ابن حجر في بيان لطائف الاسناد ورجاله ..

(قوله عن أبيه) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي صعصعة فسقط الحارث من الرواية واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري ثم المازني هلك في الجاهلية وشهد ابنه الحارث أحدا واستشهد باليمامة ..

(قوله عن أبي سعيد) اسمه سعد على الصحيح وقيل سنان بن مالك بن سنان — استشهد أبوه بأحد وكان هو من المكثرين وهذا الاسناد كله مدنيون وهو من أفراد البخاري عن مسلم .(٢) .

النموذج السادس :

قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا أبو روح الحرمي بن عمارة قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد قال : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة . الحديث) قال ابن حجر في معرض ذكر رجال هذا الحديث ولطائف اسناده :

---

(١) كتاب الايمان — باب حلاوة الايمان جـ ١ ص ٦٠ فتح الباري.
(٢) كتاب الايمان — باب من الدين الفرار من الفتن — فتح الباري جـ ١ ص ٦٥

(قوله حدثنا عبد الله بن محمد) زاد ابن عساكر المسندي وهو بفتح النون قال حدثنا أبو روح هو بفتح الراء ..

(قوله الحرمي) هو بفتح المهملتين وللأصيلي حرمي وهو اسم بلفظ النسب تثبت فيه الألف واللام وتحذف .. وقال الكرماني أبو روح كنيته واسمه ثابت والحرمي نسبته كذا قال وهو خطأ من وجهين أحدهما في جعله اسمه نسبته والثاني في جعله اسم جده اسمه وذلك أنه حرمي بن عمارة بن أبي حفصة واسم أبي حفصة ثابت وكأنه رأى في كلام بعضهم واسمه ثابت فظن أن الضمير يعود على حرمي لأنه المتحدث عنه وليس كذلك بل الضمير يعود على أبي حفصه لأنه الأقرب وأكد ذلك عنده وروده في هذا السند الحرمي بالألف واللام وليس هو منسوبا الى الحرم بحال لأنه بصري الأصل والمولد والمنشأ والمسكن والوفاة .

(وقوله عن واقد بن محمد) زاد الأصيلي يعني زيد بن عبد الله بن عمر فهو من رواية الأبناء عن الأباء وهو كثير لكن رواية الشخص عن أبيه عن جده أقل وواقد هنا روى عن أبيه عن جد أبيه وهذا الحديث غريب الأسناد تفرد بروايته شعبة عن واقد قاله ابن حبان وهو عن شعبة عزيز تفرد بروايته عنه حرمي هذا وعبد الملك بن الصباح وهو عزيز عن حرمي تفرد به عنه المسندي وابراهيم بن محمد بن عرعرة ومن جهة ابراهيم أخرجه أبو عوانه وابن حبان والاسماعيلي وغيرهم وهو غريب عن عبد الملك تفرد به عنه أبو غسان مالك بن عبد الواحد شيخ مسلم فاتفق الشيخان على الحكم بصحته مع غرابته .. (١)

النموذج السابع :

قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا بشر بن السري حدثنا نافع عن ابن عمر عن ابي مليكة قال : قالت أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) كتاب الايمان — باب فان تابوا وأقاموا الصلاة — فتح الباري ج ١ ص ٧٠ ، ٧١

أنا على حوضى أنتظر من يرد على فيؤخذ بناس من دونى فأقول أمتى . الحديث .

قال ابن حجر فى بيان لطائف هذا الاسناد وذكر رجاله ..

(قوله حدثنا بشر بن السرى) هو بكسر الموحدة وسكون المعجمة وأبوه بفتح المهملة وكسر الراء بعدها ياء ثقيلة وبشر بصرى سكن مكة وكان صاحب مواعظ فلقب الأفوه وهو ثقة عند الجميع الا أنه تكلم فى شئ يتعلق برؤية الله فى الآخرة فقام عليه الحميدى فاعتذر وتنصل فتكلم فيه بعضهم حتى قال ابن معين رأيته بمكة يدعو على من ينسبه لأبن جهم وقال ابن عدى له أفراد وغرائب قلت وليس له فى البخارى سوى هذا الموضع وهو متابعة . (1)

النموذج الثامن :

قال البخارى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الزبير بن عدى قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما يلقون من الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم .

قال ابن حجر فى معرض ذكر رجال الاسناد ولطائفه ..

(قوله سفيان) هو الثورى (والزبير بن عدى) بفتح العين بعدها دال وهو كوفى همدانى بسكون الميم ويكنى أبا عدى وهو من صغار التابعين وليس له فى البخارى سوى هذا الحديث .. (2)

النموذج التاسع :

قال البخارى حدثنى عبد الله بن الصباح حدثنا محبوب بن الحسن حدثنا خالد عن حميد ابن هلال عن أبى بردة عن أبى موسى أن رجلا أسلم ثم تهود فأتاه معاذ بن جبل وهو عند أبى موسى الحديث ...

---

(1) كتاب الفتن — باب ما جاء فى قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ج ١٣

(2) كتاب الفتن — باب لا يأتى زمان الا الذى بعده شر منه ج ١٣

قال ابن حجر فى بيان لطائف هذا الاسناد ورجاله " قوله محبوب " بمهملة وموحدتين ابن الحسن بن هلال بصرى واسمه محمد ومحبوب لقب له وهو به اشهر وهو مختلف فى الاحتجاج به وليس له فى البخارى سوى هذا الموضع وهو فى حكم المتابعة لانه تقدم فى استتابة المرتدين من وجه آخر عن حميد بن هلال " قوله حدثنا خالد " هو الحذاء اهـ[1]

على أننى لاحظت ان ابن حجر لم يتوسع فى الحديث عن رجال الاسناد وما يتعلق بهم بل يكتفى بما يكشف عن احوالهم وقد اشار الى ذلك ابن حجر نفسه حيث قال " وما أعتمده فى هذا الفتح ان لا اطيل بتراجم الرواة اعتناء بالكتب المؤلفه فى ذلك لكن ان اتفق التباس الراوى بغيره بينته وكذا من ليست له رواية فى البخارى الا فى موضع او موضعين وكذا من ذكروا بالتضعيف فاعتنى بالبحث فى ذلك ويرتفع اللوم عن أورد حديثه فى الصحيح " [2]

كما لاحظت أيضا انه عند ذكر لطائف الاسناد لم يكن مرتبا ولا منسقا فتارة يتحدث عنها فى اول الكلام على الحديث واخرى بعد ان يفرغ من شرحه وبسط كل ما يتعلق به اهـ

كذلك اشار اثناء حديثه على الاسناد ولطائفه الى تصريح كل مدلس بسماع لينفى عنه تهمة التدليس . [3]

كما اشار الى غرائب الصحيح [4] وثلاثياته [5] وافراده عن مسلم [6] — وفى ذلك كله ابلغ دليل على انه قد بذل فى ابراز لطائف الاسناد والحديث عن رجاله جهدا موفورا لا يسع منصف الا ان يحمده عليه وحسبنا فى ذلك قول استاذه الفيروز بادى

جلا بشهاب فضله عن وجه الاسناد لنا كل مشكل بهيم [7]

---

(١) كتاب الاحكام — باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه ج ١٣ .

(٢) ابن حجر انتقاض الاعتراض ص ٥٧ ، ٥٨

(٣) مثل حديث شعبه عن قتاده عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن حسين المعلم قال حدثنا قتادة عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه " قال ابن حجر ورواية المتن هى رواية شعبة وقد صرح احمد والنسائى فى روايتهما بسماع قتادة له عن انس فانتفت تهمة تدليسه — كتاب الايمان — باب من الايمان ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

(٤) مثل حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم " من اخذ من الارض شيئا بغير حق " الحديث . كتاب المظالم — باب اثم من ظلم شيئا من الارض .

(٥) مثل حديث سلمه بن الاكوع عن النبى صلى الله عليه وسلم " من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثه " الحديث . كتاب الاضاحى — باب ما يؤكل من لحوم الاضاحى .

(٦) مثل حديث ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم " يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال " الحديث كتاب الايمان — باب من الدين الفرار من الفتن .

المبحث الرابع

العام والخاص فى شرح ابن حجر ..

تمهيد

يجمل بنا أن نشير الى تعريف العام والخاص ونورد شيئا مما يتعلق بهما قبل أن نتعرض لذكرهما فى شرح ابن حجر فنقول وبالله التوفيق ...

العـــام :-

لغة مأخوذ من العموم وهو الشمول والاحاطة ..

وفى اصطلاح الأصوليين لفظ وضع وضعا واحدا لكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له . ومثاله لفظ (السارق) فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ولفظ " المطلقات " فى قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء .. ولفظ " أولادكم " فى قوله تعالى " يوصيكم الله فى أولادكم " فجميع هذه الألفاظ تفيد العموم لأنها وضعت لكثير غير محصور من الأفراد وهى تستغرق جميع هذه الأفراد وتشملها دفعة واحدة وليس على سبيل البدل فلفظ (السارق) يشمل كل سارق ولفظ " أولاد " يشمل جميع الأولاد ..

الخـــاص :-

لغة مأخوذ من الخصوص وهو الانفراد يقال اختص فلان بكذا اذا انفرد به ولم يشاركه غيره فيه ..

وفى اصطلاح الأصوليين .. لفظ وضع لواحد أو لكثير محصور والواحد قد يكون واحدا بالذات كزيد أو بالنوع كرجل أو بالجنس كانسان وأما الكثير المحصور فكأسماء الأعداد والمثنى [1] . وما دمنا بصدد العام والخاص فينبغى أن نشير الى معنى التخصيص والمخصص فنقول ..

---

(1) أصول الفقه جـ ٢ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ حسين حامد

التخصيـــص :ـ

قصر العام على بعض أفراده بدليل لفظي مقارن • ومعنى هذا بيان أن العام لم يكن شاملا لهذه الأفراد ابتداء ولنوضح ذلك بالمثال الاتى :

قال الله عز وجل " اقتلوا المشركين " دل هذا القول على جواز قتل كل مشرك ظاهــرا فاذا جاء قوله تعالى " وان أحداً من المشركين استجارك فأجره " عرفنا أن لفظ المشركين في الآية الأولى كان مرادا منه غير طالب الإجارة والأمان • فالتخصيص بيان للعام وتفسير له بمعنى أن ما أخرجه الدليل المخصص من العام لم يكن داخلا فيه ابتداء وبهذا يفــارق التخصيص النسخ لأن المنسوخ كان مرادا ابتداء ثم اقتضت المصلحة نسخه ••

المخصـــص :ـ

هو الدليل الذى يخرج بعض أفراد العام وذلك بإثبات حكم ما تناوله العام ومثاله قوله تعالى " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا " فان هذه الآية دلت بعمومها على أن كل متوفى عنها زوجها تعتد بأربعة أشهر وعشرة أيام وذلك يشمل المتوفى عنها اذا كانت حاملا ـ ثم جاء النص القرآنى بأثبات حكم للمتوفى عنها الحامل يخالف الحكم الذى ثبت لها بمقتضى النص العام اذ جعل عدتها بوضع الحمل وهذا النـص قوله تعالى " وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن " فإنه يفيد أن كل ذوات الأحمال بما فيهن المتوفى زوجها تعتد بوضع الحمل •• والقول بالتخصيص هنا اخرج المتوفى عنهــا الحامل من حكم النص العام وقصره على غير الحامل على أن يثبت فى الحامل حكم النص الخاص ••

هذا ومن أراد الوقوف على شرح التعريفين السابقين للعام والخاص والأخراج بالمحترزات وألفاظ العموم ودلالة هذه الألفاظ هل هى ظنية أم قطعية وشروط التخصيص وأدواته فليراجع كتب الأصول فان فيها خير غناء • ويجوز تخصيص الكتاب بالكتاب وبالسنة المتواترة علـــى

خلاف فى السنة الفعلية وبخبر الواحد على رأى الجمهور وتخصيص السنة بمثلها وبالكتاب، وفى كل ذلك خلاف محله كتب الأصول ويجوز تخصيصهما بالقياس القطوع وبالمظنون إن استدل إلى نص خاص .

ولعلنا بما قدمناه نكون قد ألقينا ضوءا يكشف عن حقيقة [1] العام والخاص وما يتعلق بهما ..

ولقد حرص ابن حجر حرصا تاما عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح على أن يبين العام وما يخصصه وسوف نسوق نماذج من ذلك فيما يلى ..

النموذج الأول :-

روى البخارى حديث أبى أيوب الأنصارى ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبله ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا)

وروى أيضا حديث ابن عمر ولفظه (لقد أرتقيت يوما على ظهر بيت لنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على لبنتين مستقبلا بيت المقدس لحاجته وقال لعلك من الذين يصلون على أوراكهم فقلت لا أدرى والله)

قال ابن حجر فى بيان العام وما يخصصه ..

وهذا الحديث العام - أى حديث أبى أيوب - قد خصص بحديث ابن عمر ثم تابع كلامه فقال :

فدل حديث ابن عمر على تخصيص ذلك بالأبنيه وحديث أبى أيوب عام فى الأبنيه وغيرها والعمل بالدليلين أولى من الغاء أحدهما . وقد جاء عن جابر فيما رواه أحمد وابن خزيمه

---

(1) حاشية البنانى ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وغيرهم تأييد ذلك ولفظه عند أحمد " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نستدبر القبلة أو أن نستقبلها بفروجنا اذا هرقنا الماء ثم رأيته قبل موته بعام يبول مستقبل القبلة " .

ثم استدرك فقال : والحق أنه ليس بناسخ لحديث النهى بل هو محمول على أنه رآه فى بناء ونحوه لأن ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته فى التستر ورؤية ابن عمر له كانت عن غير قصد ..

هذا كلام ابن حجر ويؤيده أن ابن عمر صرح بذلك فى رواية أخرى حيث قال " ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام " . ثم قال : ابن حجر بعد ذلك وكذا رواية جابر أى أن رؤيته للنبى كانت عن غير قصد كذلك ودعوى خصوصية ذلك بالنبى لا دليل عليها اذ الخصائص لاتثبت بالاحتمال (١) اهـ .

النموذج الثانى : —

روى البخارى حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه .. " فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر " .

وروى أيضا حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه " ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة "

قال ابن حجر فى توضيح العام وما يخصصه ..

فحديث ابن عمر بعمومه ظاهر فى عدم اشتراط النصاب وفى ايجاب الزكاة فى كل ما يسقى بمؤونة وبغير مؤونة ولكنه عند الجمهور مختص بالمعنى الذى سيق لأجله وهو التمييز بين ما يجب فيه العشر أو نصف العشر بخلاف حديث أبى سعيد فانه مساق لبيان جنس المخرج منه وقدره فأخذ به الجمهور عملا بالدليلين .

---

(١) كتاب الوضوء — باب لا تستقبل القبله ببول ولا غائط ، وباب من تبرز على لبنتين — و باب التبرز فى البيوت .

وقال في مقام آخر : ان فيما سقت — وهو حديث ابن عمر — عام يشمل النصاب ودونه وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة — وهو حديث أبي سعيد — خاص بقدر النصاب ..

النموذج الثالث :—

روى البخاري حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " لاتسبو الأموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا "

وروى أيضا حديث أنس أنهم مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر رضي الله عنه ما وجبت قال: هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض ، قال : ابن حجر في بيان العام والخاص ...

ولفظ الخبر — وهو حديث عائشة — مضمونه النهي عن السب مطلقا وعمومه مخصوص بحديث أنس السابق حيث قال صلى الله عليه وسلم عند ثنائهم بالخير وبالشر وجبت وأنتم شهداء الله في الأرض ولم ينكر عليهم .(١)

ومن باب العام والخاص أيضا العام المراد به الخصوص وذلك كحديث ابن عمر تصدق بمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ثمغ وكان نخلا ..

قال ابن حجر" قوله تصدق بمال "

هو من اطلاق العام على الخاص لأن المراد بالمال هنا الأرض التي لها غلة وهي التي تسمى ثمغ ..(٢) .

---

(١) كتاب الجنائز — باب ثناء الناس على الميت ، باب ما ينهى عن سب الأموات .

(٢) كتاب الوصايا — باب ما للوصي أن يعمل في مال اليتيم ...

طبعت المرسى

مهيد

المطلق والمقيد في شرح ابن حجر :

ينبغي قبل أن نتعرض لذكر المطلق والمقيد في شرح ابن حجر أن نعرف ما هو المطلق وما هو المقيد ونذكر شيئا مما يتعلق بهما فنقول - وبالله التوفيق -

عرف بعض الأصوليين المطلق بأنه ما دل على الماهية من غير قيد ..

والمقيد ما دل على الماهية مع قيد زائد .(١)

فالمطلق عند هؤلاء كل لفظ يدل على الماهية والحقيقة دون ملاحظة أي قيد معين .

ومثال ذلك لفظ بقرة في قوله تعالى " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " فان بقرة لفظ يدل على الماهية والحقيقة دون ملاحظة قيد أو صفة أما لفظ " بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين " فانه مقيد لأنه دل على الحقيقة والماهية مع ملاحظة صفات وقيود معينة ..

والمطلق عند هؤلاء مغاير للنكره .(٢)

وعرف البعض الآخر المطلق بأنه ما دل على فرد شائع من أفراد جنسه "

والمقيد بأنه ما دل على صفة معينه من هذا الجنس ..

فالمطلق مثل لفظ " رقبة " في قوله تعالى في كفارة اليمين " أو تحرير رقبة "

والمقيد كلفظ (رقبة مؤمنه) في قوله تعالى في كفارة القتل " ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة " فلفظ رقبة دل على فرد شائع من أفراد الرقبة أي فرد كان مما يصدق عليه لفظ الرقبة أما لفظ " رقبة مؤمنة " فانه دل على رقبة من الرقاب وهي الرقاب المؤمنة دون الكافرة

---

(١) حاشية البناني ص ٣٠ ، جـ ٢

(٢) أصول الفقه / ص ٤٥٨ حسين حامد

وعلى هذا التعريف فالمطلق مرادف للنكرة لأنها ما دل على فرد شائع من أفراد جنسه .[١]
ويجوز تقييد الكتاب بالكتاب وبالسنة والسنة بالسنة وبالكتاب وتقييدهما معا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره .[٢] وان اتحد المطلق والمقيد في الحكم والموجب السبب — وكانا مثبتين وتأخر المقيد عن وقت العمل بالمطلق فالمقيد ناسخ للمطلق .. وإن تأخر عن وقت الخطاب بالمطلق دون العمل أو تأخر المطلق عن المقيد مطلقا أو تقارنا أو جهل تاريخهما حمل المطلق على المقيد جمعا بين الدليلين .. وقيل المقيد ناسخ للمطلق أن تأخر عن وقت الخطاب كما لو تأخر عن وقت العمل به بجامع التأخر ..

وقيل يحمل المقيد على المطلق ويلغى القيد لأن ذكر المقيد ذكر لجزئى من المطلق فلا يقيده ..

وان كان المطلق والمقيد منفيين أو منهيين ، فالقائل بحجيه مفهوم المخالفة يقيد المطلق بالمقيد فى ذلك ، وذلك نحو لاتعتق مكاتبا لاتعتق مكاتبا كافرا لايجزئ عتق مكاتب كافر .[٣]

وان كان أحدهما أمرا والآخر نهيا ، فالمطلق مقيد بضد الصفة فى المقيد نحو أعتق رقبه لاتعتق رقبة كافرة ، أعتق رقبة مؤمنة لا تعتق رقبة . فالمطلق مقيد بالايمان فى المثال الأول ومقيد بالكفر فى المثال الثانى .[٤] ولعل فيما أوردناه كفاية ومن أراد استيفاء جميع ما يتعلق بهذا الموضوع فليراجع كتب الأصول ..

وقد عنى ابن حجر عناية تامة عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح أن يوضح ويبين المطلق وما يقيده وسوف نسوق نماذج من ذلك فيما يلى : —

---

(١) حاشية البنانى ص ٣٠ جـ ٢ أصول الفقه ص ٤٥٨
(٢) جـ ٢ ص ٣٢ حاشية البنانى
(٣) المصدر السابق ص ٣٣
(٤) ص ٣٣ ، ٤٤

النموذج الأول : -

ذكر البخاري حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " سبعة يظلهم الله تحت ظله - وفيه - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " الخ ..

وروى أيضا حديث حارثة بن وهب الخزاعي ولفظه " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فيقول الرجل لو جئت بهما بالأمس لقبلتها منك "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد ..

ويحمل المطلق في هذا - أي الحديث الثاني - وهو قوله يمشي الرجل بصدقته - على المقيد في ذلك - أي الحديث السابق عليه وهو قوله فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . وذلك لأنه اذا كان حاملا لها بنفسه كان أخفى لها فكان في معنى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ومن هنا حمل المطلق على المقيد .. (١)

النموذج الثاني : -

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن إنك ستأتي قوما أهل كتاب " وفيه " فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد ..

قال ابن العربي الا أن هذا الحديث وان كان مطلقا فهو مقيد بالحديث الآخر أن الداعي على ثلاث مراتب " اما أن يعجل له ما طلب واما أن يدخر له أفضل منه واما أن يدفع عنه من السوء مثله وهذا كما قيد مطلق قوله تعالى .. يجيب المضطر اذا دعاه .. بقوله تعالى " فيكشف ما تدعون اليه ان شاء " (٢)

---

(١) كتاب الزكاة - باب الصدقة باليمين .

(٢) كتاب الزكاة - باب أخذ الصدقة من الأغنيا . وترد على الفقراء ..

النموذج الثالث : -

ذكر البخاري حديث ابن عباس ولفظه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال يا أيها الناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام " وأورد أيضا حديث أبي بكرة ولفظه " خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال أتدرون أي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم " الحديث ، قال ابن حجر في توضيح المطلق والمقيد

وليس في شئ من أحاديث الباب التصريح بغير يوم النحر وهو الموجود في أكثر الأحاديث كحديث الهرماس بن زياد وأبي أمامه كلاهما عند أبي داود وحديث جابر بن عبد الله عند أحمد خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر ثم تابع كلامه فقال :

وأما قوله في حديث ابن عمر أنه قال ذلك بمنى فهو مطلق فيحمل على المقيد فيتعين يوم النحر ا ه . (١)

النموذج الرابع : -

روى البخاري حديث سعد بن أبي وقاص ولفظه " جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها ، قال : يرحم الله ابن عفراء قلت : يا رسول الله أوصي بما لي كله قال : لا قلت : فالشطر قال : لا قلت : الثلث قال : فالثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس " الحديث .

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد

وفي هذا الحديث تقييد مطلق القرآن بالسنة لأنه سبحانه وتعالى قال : " من بعد وصية يوصى بها أو دين " فأطلق وقيدت السنة الوصية بالثلث . (٢)

---

(١) كتاب الحج - باب الخطبة أيام منى .

(٢) كتاب الوصايا - باب الوصايا .

النموذج الخامس :ـ

روى البخاري حديث عبد الله بن مسعود ولفظه " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو يوعك وعكا شديدا ، قلت ان ذلك بأن لك أجرين قال : أجل ما من مسلم يصيبه أذى الا حاث الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد

و ظاهر الحديث تعميم جميع الذنوب لكن الجمهور خصوا ذلك بالصغائر للحديث الذي تقدم في أوائل الصلاة ..

" الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر "

فحملوا المطلقات الواردة في التكفير على هذا المقيد .(1)

النموذج السادس :ـ

روى البخاري حديث أسماء بنت أبي بكر ولفظه ..

" أتتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أخرى عنها قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ، "

قال ابن حجر في تبيان المطلق والمقيد

قال الطيبي الذي تحرر أن قولها راغبة ان كان بلا قيد . فالمراد راغبة في الاسلام لاغير واذا قرنت بقولها مشركة أو في عهد قريش فالمراد راغبة في صلتي ..

ثم تابع ابن حجر كلامه فقال :ـ

وان كانت الرواية راغمة بالميم فمعناها كارهة للاسلام أما التي بالموحدة فيتعين حمل المطلق فيه على المقيد فانه حديث واحد في قصة واحدة ويتعين القيد من جهة أخرى وهي أنها لو جاءت راغبة في الاسلام لم تحتج أسماء أن تستأذن في صلتها لشيوع التألف على

---

(1) كتاب المرضى ـ باب شدة المرض .

الاسلام من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأمره فلا يحتاج الى استئذانه في ذلك .[1]

النموذج السابع :—

روى البخاري حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " انكم تحرصون على الأمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة "

قال ابن حجر في بيان المطلق والمقيد ..

وهذا المطلق مقيد بما أخرجه الطبراني في حديث زيد بن ثابت رفعه ، نعم الشيء الامارة لمن أخذها بحقها وحلها وبئس الشيء الامارة لمن أخذها بغير حقها تكون عليه حسرة يوم القيامه ..

ويقيده ايضا ما أخرجه مسلم عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله الا تستعملني قال انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامه خزى وندامة الا من اخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها ...

وهذا قل من كثر وقطرة من بحر قصدنا به أن ننوه الى جهد ابن حجر في هذا الصدد فالى مبحث آخر ...

---

(١) كتاب الأدب — باب صلة الوالد المشرك .

المبحث الأول
تمهيد

الناسخ والمنسوخ فى شرح ابن حجر :

إن من دعائم التشريع الاسلامى أن تساير أحكامه مصالح الناس وتسد حاجاتهم وتحقيقا لهذا فان الشارع قد سن وشرع بعض الأحكام ثم ابطلها ونسخها لما اقتضت المصلحة ذلك بحكم آخر ..

والحكم الأول يسمى منسوخا والثانى ناسخا وهو الذى يحقق هدف الشارع وغرضه بعد ان يكون الشارع قد اعد الناس ووطد نفوسهم لقبوله وما دمنا بصدد الحديث عن الناسخ والمنسوخ فجدير بنا أن نشير الى ماهية النسخ وحقيقته ، فنقول : —

النسخ : —

فى اصطلاح الفقهاء .. رفع الحكم الشرعى لدليل شرعى متأخر (١) والغرض منه مراعاة مصالح العباد وارشادهم فى أمور دنياهم ولم يخالف فى وقوعه الا أبو مسلم الاصفهانى (٢)

وقد اتفق الفقهاء على جواز نسخ القرآن والسنة بالقرآن ونسخ السنة بمثلها من السنة أما نسخ القرآن بغير القرآن والمتواتر من السنة بغير المتواتر فقد منعه جماعة واجازه آخرون (٣) وقد حرص ابن حجر عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح على بيان الناسخ والمنسوخ .

واليكم نماذج من هذا النوع حتى يتضح ما بذله ابن حجر من جهد فى هذا الصدد ..

---

(١) حاشية البنانى على شرح جمع الجوامع جـ ٢ ص٤٩
(٢) المدخل للفقه الاسلامى ص١٧
(٣) المدخل للفقه الاسلامى ص ١٧ ، حاشية البنانى على شرح جمع الجوامع ص٥٢ ، ٥٣

النموذج الأول : —

روى البخارى حديث عبد الله بن مسعود ولفظه " كنا نسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال : " ان فى الصلاة شغلا " .

وروى أيضا حديث زيد بن أرقم ولفظه " ان كنا لنتكلم فى الصلاة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت حافظوا على الصلوات .. الآيه .. فأمرنا بالسكوت "

قال ابن حجر مبينا ما فى هذين الحديثين من النسخ ..

" قوله فى الحديث الثانى حتى نزلت حافظوا ظاهر فى ان نسخ الكلام فى الصلاة وقع بهذه الآية فيقتضى ان النسخ وقع بالمدينة لأن الآية مدنية باتفاق . ثم تابع كلامه فقال :

فيشكل ذلك على قول ابن مسعود إن ذلك لما رجعوا من عند النجاشى وكان رجوعهم من عنده الى مكة وذلك ان بعض المسلمين هاجر الى الحبشة ثم بلغهم أن المشركين أسلموا فرجعوا الى مكة فوجدوا الأمر بخلاف ذلك واشتد الأذى عليهم فخرجوا اليها أيضا فكانوا فى المرة الثانية أضعاف الأولى وكان ابن مسعود مع الفريقين ثم قال ابن حجر بعد ذلك ..

واختلف فى مراده بقوله فلما رجعنا هل أراد الرجوع الأول أو الثانى .

فجنح القاضى أبو الطيب الطبرى وآخرون الى الأول وقالوا كان تحريم الكلام بمكة وحملوا حديث زيد على أنه وقومه لم يبلغهم النسخ وقالوا لامانع أن يتقدم الحكم ثم تنزل الآية بوفقه . وجنح آخرون الى الترجيح فقالوا يترجح حديث ابن مسعود بأنه حكى لفظ النبى صلى الله عليه وسلم بخلاف زيد بن أرقم فلم يحكه .

وقال آخرون انما أراد ابن مسعود رجوعه الثانى وقد ورد أنه قدم المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم يتجهز الى بدر ..

وفي مستدرك الحاكم من طريق أبي اسحاق عن عبد الله بن عتبه ابن مسعود عن ابن مسعود

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ثمانين رجلا فذكر الحديث بطوله وفي

آخره فتعجل عبد الله ابن مسعود لشهد بدرا ، وفي السيرة لابن اسحاق أن المسلمين بالحبشة

لما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة رجع منهم سبعة وتوجه الى المدينة

اربعة وعشرون رجلا فشهدوا بدرا ، فعلى هذا كان ابن مسعود من هؤلاء فظهر أن

اجتماعه بعد رجوعه كان بالمدينة والى هذا الجمع نحا الخطابي ولم يقف من تعقب كلامه

على مستنده ، ويقوى هذا الجمع رواية كلثوم الخزاعي عند النسائي فانها ظاهرة في أن كلا من

ابن مسعود وزيد بن أرقم حكى أن الناسخ قوله تعالى وقوموا لله قانتين وأما قول ابن حبان

كان نسخ الكلام بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين قال : ومعنى قول زيد بن أرقم كنا نتكلم كان قومي

يتكلمون لأن قومه كانوا يصلون قبل الهجرة مع مصعب بن عمير الذى كان يعلمهم القرآن فلما

نسخ جواز الكلام بمكه بلغ ذلك أهل المدينة فتركوه ..

وتوجيهه

فمتعقب بأن الآية مدنية باتفاق وبأن اسلام الأنصار وتوجهه اليهم انما كان قبل

الهجرة بسنة واحدة وبأن في حديث زيد بن أرقم كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذا أخرجه الترمذى فما نتفى أن يكون المراد الأنصار الذين كانوا يصلون بالمدينة قبل

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم .

وأجاب ابن حبان في موضع آخر بأن زيد بن أرقم أراد بقوله كنا نتكلم من كان يصلي

خلف النبي صلى الله عليه وسلم بمكة من المسلمين وهو متعقب أيضا بأنهم ما كانوا بمكة يجتمعون

الا نادرا . وبما روى الطبراني من حديث أبي أمامه قال : كان الرجل اذا دخل المسجد

فوجدهم يصلون سأل الذى الى جنبه فيخبره بما فاته فيقضي ثم يدخل معهم حتى جاء معاذ يوما

فدخل في الصلاة ... الحديث بتمامه .

وهذا كان بالمدينة قطعا لأن أبا أمامة ومعاذ بن جبل انما أسلما بها • ثم

استطرد ابن حجر فى ذكر ما يتعلق بهذا الموضوع فقال : وقيل ليس فى هذه القصة نسخ

لأن اباحة الكلام فى الصلاة كان بالبراءة الأصلية والحكم المزيل لها ليس نسخا •

واجيب بأن الذى يقع فى الصلاة ونحوها مما يمنع أو يباح اذا قرره الشارع كان حكما

شرعيا فاذا أورد ما يخالفه كان نسخا وهو كذلك هنا [1] اه

النموذج الثانى : —

ذكر البخارى حديث ابن عباس ولفظه " كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين

فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما

السدس وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع "

قال ابن حجر فى تبيان ما فى هذا الحديث من النسخ •

قال جمهور العلماء كانت هذه الوصية فى أول الاسلام واجبة لوالدى الميت وأقربائه

على ما يراه من المساواة والتفضيل ••

ثم نسخ ذلك بآية الفرائض ••

وقيل كانت للوالدين والأقربين دون الأولاد فإنهم كانوا يرثون ما يبقى بعد الوصية ••

وأغرب ابن شريح فقال : كانوا مكلفين بالوصية للوالدين والأقربين بمقدار الفريضة

التى فى علم الله قبل أن ينزلها — واشتد انكار امام الحرمين عليه فى ذلك وقيل إن الآية

مخصوصة لأن الأقربين أعم من أن يكونوا وارثا وكانت الوصية واجبة لجميعهم فخص منها من

ليس بوارث بآية الفرائض وبقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وبقى حق من لا يرث من

الأقربين من الوصية على حاله قاله طاووس وغيره • ثم تابع ابن حجر مقالته فقال •

---

(١) من أبواب العمل فى الصلاة — باب ما ينهى من الكلام فى الصلاة ج ٣ ص ٥٦ ، ٥٧

واختلف فى تعيين ناسخ آية الوصية للوالدين والأقربين [١] فقيل آية الفرائض [٢] وقيل الحديث المذكور [٣] وقيل دل الاجماع على ذلك وإن لم يتعين دليله [٤]

النموذج الثالث : —

روى البخارى حديث جابر بن عبد الله ولفظه " كنا لا نأكل من لحوم بدننا فوق ثلاث منى فرخص لنا النبى صلى الله عليه وسلم فقال كلوا وتزودوا فأكلنا وتزودنا "

وروى أيضا حديث أبى سعيد ولفظه " أنه كان غائبا فقدم فقدم اليه لحم قالوا هذا من لحم ضحايانا فقال أخروه لا أذوقه قال : ثم قمت فخرجت حتى أتى أخى أبوا قتاده — وكان أخاه لأمه — فذكر ذلك له فقال : إنه قد حدث بعدك أمر .

وروى أيضا حديث سلمة بن الأكوع ولفظه " قال النبى صلى الله عليه وسلم من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثه وبقى فى بيته منه شئ فلما كان العام المقبل قالوا يارسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضى قال : كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها "

قال ابن حجر فى بيان ما فى هذه الأحاديث من النسخ .

وقد جزم الشافعى فى الرسالة فى آخر باب العلل فى الحديث فقال ما نصه . فاذا دفت الدافة ثبت النهى عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث وان لم تدف دافة فالرخصة ثابتة بالأكل والتزود والادخار والصدقة قال الشافعى ويحتمل أن يكون النهى عن امساك اللحوم بعد ثلاث منسوخا فى كل حال.

ثم تابع ابن حجر كلامه فقال ..

---

(١) آية الوصية هى قوله تعالى " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين — الآيه .

(٢) آية الفرائض " يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الآية "

(٣) قوله صلى الله عليه وسلم " لا وصية لوارث "

(٤) كتاب الوصايا — باب لا وصية لوارث.

وبهذا الثانى أخذ المتأخرون من الشافعية فقال الرافعى الظاهر أنه لا يحرم اليوم بحال وتبعه النووى فقال فى شرح المهذب الصواب المعروف أنه لا يحرم الادخار اليوم بحال ، وحكى فى شرح مسلم أنه من نسخ السنة بالسنة قال والصحيح نسخ النهى مطلقا وأنه لم يبق تحريم ولا كراهة فيباح اليوم الادخار فوق ثلاث والأكل الى متى شاء وانما رجح ذلك لأنه يلزم من القول بالتحريم اذا دفت الدافة إيجاب الإطعام وقد قامت الأدلة عند الشافعية أنه لا يجب فى المال حق سوى الزكاة .

ونقل ابن عبد البر ما يوافق ما نقله النووى فقال : لا خلاف بين فقهاء المسلمين فى اجازة أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث وأن النهى عن ذلك منسوخ كذا أطلق وليس بجيد .

فقد قال القرطبى حديث سلمة وعائشة نص على أنه المنع كان لعلة فلما ارتفعت ارتفع لارتفاع موجبه فيتعين الأخذ به ويعود الحكم لعود العلة فلو قدم على أهل بلد ناس محتاجون فى زمن الأضحى ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا ، تعين عليهم ان لا يدخروها فوق ثلاث . وقد حكى الرافعى عن بعض الشافعية ان التحريم كان لعلة فلما زالت زال الحكم لكن لا يلزم عود الحكم عند عود العلة قلت واستبعدوه وليس ببعيد لأن صاحبه قد نظر الى أن الخلة لم تسد يومئذ الا بما ذكر فأما الآن فان الخلة تسد بغير لحم الأضحية فلا يعود الحكم الا لو فرض أن الخلة لا تسد الا بلحم الأضحية وهذا فى غاية الندور .

وحكى البيهقى عن الشافعى ان النهى عن أكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث كان فى الأصل للتنزيه قال : وهو كالأمر فى قوله تعالى " فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر "

وحكاه الرافعى عن أبى على الطبرى احتمالا وقال المهلب انه الصحيح لقول عائشة وليس بعزيمة . اهـ .

ويفيد هذا الحديث نسخ الأثقل بالأخف لأن النهي عن ادخار لحم الأضحية بعد ثلاث مما يثقل على المضحين والإذن في الادخار أخف منه .

وفيه رد على من يقول ان النسخ لا يكون الا بالأثقل للأخف اهـ .

وبعد ... فهذا قليل من كثير قصدنا به الاستشهاد على ما نحن بصدده وليس الاستقصاء .(١)

..

النحو والأعراب في شرح ابن حجر

المبحث السابع
تمهيد

لاجدال بين علماء العربية في أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو وقواعده وسبب ذلك أن ابنته قالت له يوما ما أحسن السماء برفع أحسن واضافة السماء اليها فقال لها نجومها فقالت اني لم أرد هذا وانما أتعجب من حسنها فقال لها اذن فقولي فما أحسن السماء ووضع مبادئ النحو من ساعتها .. وكان أول ما رسم منه باب التعجب ..(٢)

وتأسست بعد ذلك بالبصرة أول مدرسة نحوية وكان لها منهج خاص في استنباط قواعد النحو وأصوله وتلتها مدرسة الكوفة وكان لها أيضا منهجها وعن طريق هاتين المدرستين تكونت مدرسة بغداد والأندلس وعلى الرغم من أنهما تأثرتا بمدرسة الكوفة والبصرة الا أن كل واحدة منهما كانت لها قواعد نحوية جديدة ومن هنا كثرت الآراء والتخريجات النحوية التي حاول بها كل فريق أن يبطل بها حجة الآخر — وكثرت أوجه الاعراب وتعددت المعاني فلكل اعراب معنى(٣) وقد حرص ابن حجر حرصا تاما عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح ان يستعرض مذاهب هؤلاء النحويين وتخريجاتهم وأن يشير الى خلافاتهم في الاعراب وغرضه من ذلك أن يكشف معاني الأحاديث وأن يجليها وسوف نسوق نماذج يتضح منها جهد ابن حجر في هذا الباب فيما يلي :—

---

(١) من كتاب الأضاحي — باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها .
(٢) ابن الانباري نزهة الألباء في طبقات اللغويين والأدباء ص ١٢
(٣) من رسالة الزميل القصبي زلط ص ١٧٨

النموذج الأول : —

روى البخاري حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه " إن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على .. وفيه — وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول " الحديث .

قال ابن حجر في بيان ما في الحديث من النحو والاعراب ..

" قوله يتمثل لي الملك رجلا " رجلا منصوب بالمصدرية أى يتمثل مثل رجل أو بالتمييز أو بالحال والتقدير هيئة رجل (١) .. أ . هـ .

النموذج الثاني : —

روى البخاري حديث عائشة ولفظه " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم "

وفي الحديث حكاية عن ورقة بن نوفل أنه قال " يا ليتني فيها جذع " قال ابن حجر في توضيح ما في الحديث من النحو والاعراب ..

" قوله يا ليتني فيها جذع " كذا في رواية الأصيلي وعند الباقين بالنصب جذعا — على أنه خبر كان المقدرة قاله الخطابي وهو مذهب الكوفيين في قوله تعالى " انتهوا خيرا لكم "

وقال ابن بري يا ليتني جعلت فيها جذعا .. وقيل النصب على الحال اذا جعلت فيها خبر ليت والعامل في الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار (٢).

النموذج الثالث : —

روى البخاري حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .. الحديث "

---

(١) من كتاب بدء الوحي ..
(٢) من كتاب بدء الوحي ..

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من النحو والاعراب : —

قوله " ثلاث " هو مبتدأ والجملة الخبر وجاز الابتداء بالنكرة لأن التنوين عوض عن المضاف اليه فالتقدير ثلاث خصال ويحتمل فى اعرابه غير ذلك .. " قوله كن " أى حصلن فهى تامة لاتحتاج الى اسم وخبر " قوله أحب اليه " منصوب لأنه خبر يكون ..(١)

النموذج الرابع :—

روى البخارى حديث ابن عمر ولفظه " كان الرجل فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى الى النار فاذا هى مطوية كطى البئر واذا لها قرنان " الحديث

قال الحافظ فى بيان ما فى الحديث من النحو والاعراب .

" قوله واذا لها قرنان " هكذا للجمهور وحكى الكرمانى أن فى نسخة قرنين فأعرابها بالجر أو بالنصب على أن فيه شيئا مضافا حذف وترك المضاف اليه على ماكان عليه وتقديره فاذا لها مثل قرنين وهى كقراءة من قرأ " تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة " بالجر أى يريد عرض الآخرة أو ضمن اذا المفاجأة معنى الوجدان أى فاذا بى وجدت لها قرنين .(٢)

النموذج الخامس :—

روى البخارى حديث أبى سلمة ولفظه " حدثنى معيقيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال ان كنت فاعلا فواحدة "

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من النحو والاعراب .

" قوله فواحدة " بالنصب على اضمار فعل أى فامسح واحدة أو على النعت لمصدر محذوف ويجوز الرفع على اضمار الخبر أى فواحدة تكفى أو اضمار المبتدأ أى فالمشروع واحدة(٣) اهـ

---

(١) كتاب الايمان باب حلاوة الايمان .. ج ٢ ص ٦
(٢) كتاب الصلاة — باب فضل قيام الليل ..
(٣) كتاب الصلاة — باب مسح الحصا فى الصلاة . ج ٢ ص ٧٩

النموذج السادس : ـ

روى البخارى حديث عائشة ولفظه " ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم " قال الحافظ فى بيان مافى الحديث من النحو والاعراب ..

" قوله ان كان " بكسر الهمزة وهى المخففة من الثقيلة وفيها ضمير الشأن .. "قوله خشية " بالنصب متعلق بقوله ليدع " قوله فيفرض " بالنصب عطفا على يعمل (١)

النموذج السابع : ـ

روى البخارى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه " لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى "

قال الحافظ فى عرض ما فى الحديث من النحو والاعراب ..

" قوله الا " الاستثناء مفرغ والتقدير لاتشد الرحال الى موضع والمستثنى منه فى الاستثناء المفرغ مقدر بالعام ـ وهو موضع ـ " قوله المسجد الحرام " بالخفض على البدلية ويجوز الرفع على الاستئناف " قوله ومسجد الأقصى " هو من اضافة الموصوف الى الصفة وقد جوزه الكوفيون واستشهدوا له بقوله تعالى " وماكنت بجانب الغربى " والبصريون يؤولونه باضمار المكان الذى بجانب المكان الغربى ومسجد المكان الأقصى (٢)

النموذج الثامن : ـ

روى البخارى حديث أنس ولفظه " كان فزع بالمدينة فاستعار النبى صلى الله عليه وسلم فرسا من أبى طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال ما رأينا من شئ وان وجدناه لبحرا "

---

(١) كتاب الصلاة ـ باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل.

(٢) كتاب الصلاة ـ باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة .

ـ قال الحافظ ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من النحو والاعراب .

" قوله وان وجدناه لبحرا " قال الخطابى ان هى النافية واللام فى لبحرا بمعنى الا أى ما وجدناه الا بحرا قال ابن التين هذا مذهب الكوفيين . وعند البصريين ان مخففة من الثقيلة واللام زائدة (١)

النموذج التاسع :ـ

روى البخارى حديث عائشة ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها "

قال الحافظ فى عرض ما فى الحديث من النحو والاعراب .

" قوله حتى الشوكة " جوزوا فيه الحركات الثلاث فالجر بمعنى الغاية أى حتى ينتهى الى الشوكة أو عطفا على لفظ مصيبة والنصب بتقدير عامل أى حتى وجدانه الشوكة . والرفع عطفا على الضمير فى تصيب . وقال القرطبى قيده المحققون بالرفع والنصب فالرفع على الابتداء ولا يجوز على المحل كذا قال ووجهه غيره بأنه يسوغ على تقدير أن من زائدة .. (٢)

النموذج العاشر :ـ

روى البخارى حديث أبى هريرة ولفظه " قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ابن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسا فقال : الأقرع ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من لا يرحم لا يرحم "

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من النحو والاعراب .

" قوله وعنده الأقرع بن حابس " الجمله حالية .

---

(١) كتاب [illegible]
(٢) كتاب المرض ـ باب ما جاء فى كفارة المرض

" قوله من لايرحم لا يرحم " هو بالرفع فيهما على الخبر وقال عياض هو للأكثر .
وقال أبو البقاء من موصولة ويجوز أن تكون شرطية فيقرأ بالجزم فيهما . قال السهيلي جعله
على الخبر أشبه بسياق الكلام لأنه سيق للرد على من قال بأن لى عشرة من الولد أى الذى
يفعل هذا الفعل لايرحم ولو كانت شرطية لكان فى الكلام بعض انقطاع لأن الشرط وجوابه
كلام مستأنف . على أن ابن حجر قد ارتضى ما ذهب اليه السهيلى ورجحه فقال " وهو
أولى من جهة أخرى لأنه يصير من نوع ضرب المثل ..

ثم استطرد قائلا ..

ورجح بعضهم كونها موصولة لكون الشرط اذا أعقبه نفى ينفى غالبا بلم ثم عقب على
ذلك فقال : وهذا لا يقتضى ترجيحا اذا كان المقام لائقا بكونها شرطية .

ثم تابع كلامه فى عرض آراء النحويين فقال :

وأجاز بعض شراح المشارق الرفع فى الجزأين والجزم فيهما والرفع فى الأول والجزم فى
الثانى وبالعكس فيحصل أربعة أوجه واستبعد الثالث ووجه بأنه يكون فى الثانى بمعنى النهى
أى لاترحموا من لا يرحم الناس ومثله قول الشاعر :

فقلت له احمل فوق طوقك إنها .. مطوقة من يأتها لا يضيرها (١)

على أننى لاحظت أن ابن حجر لم يتوسع كغيره فى النحو وأوجه الاعراب بل يذكر
من ذلك ما يوضح المعنى ويؤدى الغرض الذى يهدف اليه . أ هـ .

ولعله يكون بعد هذا قد وضح جهد ابن حجر فى هذا الباب .

فالى مبحث آخر ...

(١) كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله جـ ١٠ ص ٤٢٩

طبيعة الشاعرية
أ
محمد

البلاغة فى شرح ابن حجر :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس قاطبة وأبلغهم عبارة وأوجزهم لفظا ومن ثم جاء كلامه فى غاية الرصانة والمتانة وفى أعلى مراتب البلاغة مشتملا على جميع صورها وأساليبها التى عرفها علماؤها بعد - وقعدوا لها القواعد ووضعوا لها التعريفات - واقتبسوا من بديع كلامه ومن جوامع كلمه ما يشهد لما ذهبوا اليه • ولا غرابة فى ذلك فقد قال عن نفسه - كما رواه أبو هريرة - " بعثت بجوامع الكلم " (1)

وقد حرص ابن حجر على ان لا يخلى شرحه لأحاديث الجامع الصحيح من ابراز الصور البلاغية والبيانية والمحسنات البديعية المثبوته فى ثنايا أحاديث الصحيح وسوف نسوق نماذج من ذلك فيما يلى :

النموذج الأول :

روى البخارى حديث ابن عباس ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة " وفيه " فأنزل الله تعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال :

" جمعه لك صدرك " وهو من تفسير ابن عباس

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من البلاغة ••

" قوله جمعه لك صدرك " فيه اسناد الجمع الى الصدر بالمجاز (2) كقوله أنبت الربيع البقل فان المنبت هو الله تعالى (3)

---

(1) كتاب الأعتصام - باب قول النبى بعثت بجوامع الكلم •

(2) مجاز عقلى •• وهو اسناد الفعل الى غير ما هو له ومثاله حديث المقدام ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه أخرجه الأربعة وصححه ابن حبان •

(3) من كتاب بدء الوحى •

النموذج الثانى :

روى البخارى حديث ابن عباس ولفظه " أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد أبا سفيان وكفار قريش " وفيه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل ونصه " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين " الحديث .

قال ابن حجر فى بيان ما فى هذا الحديث من أنواع البلاغة " قوله أما بعد أسلم تسلم " فيه نوع من البديع وهو الجناس .(١) الاشتقاقى — " قوله فان توليت " أى أعرضت عن الاجابة فى الدخول الى الاسلام وحقيقة التولى انما هو بالوجه ثم استعمل مجازا فى الأعراض عن الشئ وهى استعارة تبعية (٣) (٢)

النموذج الثالث :

روى البخارى حديث أبى هريرة ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الأيمان " وفيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم " هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم " .

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من أنواع البلاغة

" قوله هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم " فاسناد التعليم هنا الى جبريل مجازى لأنه كان السبب فى الجواب فلذلك أمر بالأخذ عنه (٤)

---

(١) الجناس هو تشابه الكلمتين فى اللفظ واختلافهما فى المعنى أو هو اتفاق اللفظين فى وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما ..

(٢) كتاب بدء الوحى .

(٣) لأنها جرت فى الفعل .

(٤) كتاب الايمان — باب سؤال جبريل النبى عن الأيمان والاسلام .

النموذج الرابع :

روى البخارى حديث ابن عباس ولفظه " كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن وفيه " ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق " وفيه " والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق " وفيه " اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت " الحديث .

قال ابن حجر فى بيان ما فى الحديث من البلاغة .

ووعدك الحق ولقاؤك حق " وعرفه ونكر ما بعده لأن وعده مختص بالانجاز دون وعد غيره والتنكير فى البواقى للتعظيم " قوله والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق " خصه بالذكر تعظيما له وجرده عن ذاته كأنه غيره ووجب عليه الايمان به وتصديقه مبالغة فى اثبات نبوته " قوله والساعة حق " للمبالغة فى التأكد من أنه لابد من كون هذه الأمور وأنه مما أن يصدق بها .. " قوله اللهم لك أسلمت وبك آمنت " وقدم مجموع صلاة هذه الأفعال عليها اشعارا بالتخصيص وافادة للحصر وكذا قوله ولك الحمد (1) أ.هـ .

النموذج الخامس :

روى البخارى حديث أبى هريرة ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقده " الحديث

قال ابن حجر فى بيان ما فى هذا الحديث من الصور البلاغية .

قيل هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور لأن كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده كان هذا مثله من الشيطان للنائم ، وقيل المراد به عقد القلب وتصميمه على الشئ كأنه يوسوس له بأنه بقى من الليلة قطعة طويلة فيتأخر عن القيام ،

---

(1) كتاب الصلاة — باب التهجد فى الليل.

وانحلال العقد كناية عن علمه بكذبه فيما يسوس به وقيل العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم بالقول المذكور ومنه عقدت فلانا عن أمرأته أي منعته عنها أو عن تثقيله عليه النوم كأنه قد شد عليه شدادا (١)

النموذج السادس :

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض خمس صلوات كل يوم وليلة " وفيه " فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " وفيه " فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب "

قال ابن حجر في بيان ما في هذا الحديث من البلاغة .. " قوله اتق دعوة المظلوم " تذييل (١) لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم وعلى غيره .. " قوله فانه ليس بينه وبين الله حجاب " تمثيل للدعاء كمن يقصد دار السلطان متظلما فلا يحجب (٢)

النموذج السابع :

روى البخاري حديث أبي هريرة ولفظه " وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة فخليت عنه فأصبحت " فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة " وفيه " قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال صلى الله عليه وسلم ما هي قلت قال : اذا آويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال : لي لن يزال عليك

---

(١) كتاب الصلاة — باب عقد الشيطان على قافية الرأس اذا لم يصل بالليل
(٢)
(٣) كتاب الزكاة — باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء

من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شئ على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليالي يا أباهريرة قال: لا قال ذاك شيطان "

قال ابن حجر في بيان بلاغة هذا الحديث

" قوله وكانوا أحرص شئ على الخير " فيه التفات [1] اذ السياق يقتضي أن يقول وكنا أحرص شئ على الخير ..

" قوله وهو كذوب " من التتميم [2] البليغ الغاية في الحسن لأنه أثبت له الصدق فأوهم له صفة المدح ثم استدرك ذلك بصفة المبالغة في الذم بقوله وهو كذوب [3]

النموذج الثامن :

روى البخارى حديث عروة بن الجعد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه " الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامه "

قال الحافظ ابن حجر في بيان ما في الحديث من الصور البلاغية :

قال الطيبي يحتمل أن يكون الخير استعارة لظهوره وملازمته وخص الناصية لرفعة قدرها وكأنه شبهه – أي الخير – لظهوره بشئ محسوس معقود على مكان مرتفع فنسب الخير الى لازم المشبه به وذكر الناصيـة تجريد للأستعارة ثم استوسل فقال :

قال عياض في هذا الحديث مع وجيز لفظه من البلاغة والعذوبة مالا مزيد عليه في الحسن مع الجناس السهل الذى بين الخيل والخير [4]

---

(١) الالتفات : هو الانتقال من صيغة الخطاب أو الغيبة أو التكلم الى واحدة من هذه الصيغ بشرط أن يكون الكلام بعد النقل مع من كان قبله .

(٢) التتميم ويسمى الأحتراس والأحتياط . وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلافا لمقصود بما يدفع ذلك الوهم .

(٣) كتاب الوكالة – باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز .

(٤) كتاب الجهاد – باب الخيل معقود في نواصيها الخير .

النموذج التاسع :

روى البخاري حديث أبي برده ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا " قال ابن حجر في عرضها في هذا الحديث من الصور البلاغية

" قوله كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا " هو من اللف [1] والنشر المقلوب فالاقامة في مقابل السفر والصحة في مقابل المرض [2]

النموذج العاشر :

روى البخاري حديث عكرمه ولفظه " أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظي قالت عائشة وعليها خمار أخضر فشكت اليها وأرتها خضرة بجلدها " وفيه " فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات لجلدها أشد من خضرة ثوبها " وفيه أن عبد الرحمن قال : " انى لأنفضها نفض الأديم "

قال ابن حجر في بيان ما في الحديث من البلاغة :

" قوله قالت عائشة وعليها خمار أخضر فشكت اليها " فيه التفات أو تجريد وكان السياق أن يقال فشكت الى لأن عائشة هي المتحدثة " قوله انى لأنفضها نفض الأديم " كناية بليغة في الغاية من ذلك لأنها أوقع في النفس من التصريح لأن الذى ينفض الأديم يحتاج الى قوة ساعد وملازمة طويله [3]

النموذج الحادى عشر :

روى البخاري حديث أبي هريرة ولفظه " قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "

---

(١)
(٢) كتاب الجهاد — باب يكتب للمسافر ما كان يعمل في الاقامه
(٣) كتاب اللباس — باب الثياب الخضر .

قال ابن حجر فى بيان الصور البلاغية فى هذا الحديث ..

" قوله كلمتان " هو الخبر وحبيبتان وما بعدها صفة والمبتدأ سبحان الله الى آخره ..

والنكتة فى تقديم الخبر تشويق السامع الى المبتدأ وكلما طال الكلام فى وصف الخبر حسن

تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا ..

ثم استطرد فقال :

قال الطيبى الخفة مستعارة للسهولة وشبه سهولة جريانهما على اللسان بما خف على

الحامل من بعض الأمتعة فلا تتعبه كالشئ الثقيل وفيه من البديع المقابلة [1] والمناسبة

والموازنة فى السجع لأنه قال حبيبتان الى الرحمن ولم يقل للرحمن لموازنة قوله على اللسان [2] أ.هـ

ولعل فيما قلناه ذكرناه كفاية لبيان جهد ابن حجر فى هذا الصدد على أننى قد لاحظت

أن ابن حجر لم يسهب ولم يتوسع فى عرض الأسرار البلاغية أثناء شرحه لأحاديث الصحيح

كما فعل غيره بل اكتفى بما يؤدى الغرض ويساعد على فهم المعنى . أ. هـ .

---

(١) هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانى متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ..

(٢) كتاب التوحيد - باب ونضع الموازن القسط ليوم القيامه .

الأحكـــام[1] الفقهيـــة[2]

القرآن هو المعين الفياض والينبوع الأصيل للتعاليم الدينية والمصدر الأول للشريعة الاسلامية وقد حفلت السنة بما يؤيد أحكامه ويوافقه من حيث الاجمال والتفصيل حينا وبما يوضحه ويبين أحكامه من تقييد مطلق أو تفصيل مجمل أو تخصيص عام حينا آخر ودلت على حكم سكت عنه فلم يوجبه ولم ينفه حينا آخر .[3]

فلا عجب اذن أن كانت السنة هي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية بعد كتاب الله تعالى وحيث كانت السنه بهذه المنزله ، فقد اتجهت هم العلماء اليها وتوفرت جهودهم عليها بحثا ...

---

(١) الأحكام جمع حكم .. والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين من طلب أو تخيير أو وضع وهو باعتباره قاعدة لم يوضع لحالة خاصة أو فرد معين وانما هو قاعدة كلية والحكم يفترض وجود ما يأتي : حاكم وهو الله لأنه مصدر الأحكام .. ومحكوم فيه وهو الفعل الذى يتعلق به الحكم الشرعى .. ومحكوم عليه وهو المكلف نفسه ممن يتجه اليهم خطاب الشارع ويلزم بهم التكليف ص ٣٥ ، ٣٦ المدخل للفقه الاسلامي .

(٢) الفقه في أصل اللغة .. عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه . وفي اصطلاح العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية .. وعبارة فخر الدين الرازى بعد قوله العملية المستدلة على أعيانها . هـ .

(٣) فمن النوع الأول ، الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج من غير تعرض لشرائطها وأركانها فانها موافقة للآيات التي وردت فى ذلك كحديث بني الاسلام على خمس فانه توافق لقوله تعالى " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " ومن النوع الثاني الأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والزكاة والصيام والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن وهو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودا .

ومن النوع الثالث الأحاديث التي دلت على حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وأحكام الشفعة ورجم الزاني المحصن ، وغير ذلك ، وتحريم الحمر الأهلية .

دراسة

ودارسة وجدوا واجتهدوا ونظروا فيها واستنبطوا من عيونها أحكاما ومسائل وتفريعات وأقاموا الأدلة عليها كل منهم على قدر فهمه وبحسب قدراته واستعداداته وما تسمح به قريحته وملكته وقد اعتنى ابن حجر عناية تامة - أثناء شرحه لأحاديث الجامع الصحيح - بايضاح ما استنبطه العلماء من أحكام ومسائل وعرض ما توصلوا اليه من آراء فقهية - مع ذكر أدلتهم ومستندهم فيما ذهبوا اليه وسوف نسوق نماذج فيما يلي حتى نبين بوضوح وجلاء جهد ابن حجر فى هذا الباب •

النموذج الأول :

ذكر البخارى حديث ابن عباس ولفظه " شهد عندى رجال مرضيون وأرضاهم عندى عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم (نهى عن الصلاه بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب) (١) قال - النووى - أجمعت الأمة على كراهية صلاة لا سبب لها فى الأوقات المنهى عنها واتفقوا على جواز الفرائض المؤداه فيها واختلفوا فى النوافل التى لها سبب كصلاة تحية المسجد وسجود التلاوة والشكر وصلاة العيد والكسوف وصلاة الجنازة وقضاء الفائته •

وذهب الشافعى وطائفة الى جواز ذلك كله بلا كراهية • وذهب أبو حنيفة وآخرون الى أن ذلك داخل فى عموم النهى واحتج الشافعى بأنه (صلى الله عليه وسلم) قضى سنة الظهر بعد العصر وهو صريح فى قضاء الفائتة فالحاضرة أولى والفريضة المقضية أولى ويلحق ماله سبب •

ولم يكتف ابن حجر بعرض هذه الآراء وسرد تلك الأحكام بل كان له تعقبات على بعضها ، يدلنا على ذلك أنه تعقب كلام النووى السالف الذكر فقال •

---

(١) من كتاب مواقيت الصلاة - باب الصلاة بعد الفجر حتى تغرب الشمس

وما نقله النووي من الاجماع والاتفاق متعقب فقد حكى غيره عن طائفة من السلف الأباحة مطلقا وأن أحاديث النهي منسوخة وبه قال داود وغيره من أهل الظاهر وبه جزم ابن حزم وعن طائفة أخرى المنع مطلقا في جميع الصلوات .

وصح عن أبي بكرة وكعب بن عجرة المنع من صلاة الفرض في هذه الأوقات وما ادعاه ابن حزم وغيره من النسخ مستند الى حديث (من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فليصل اليها أخرى) فدل على اباحة الصلاة في الأوقات المنهية وقال غيرهم ادعاء التخصيص أولى من ادعاء النسخ فيحمل النهي على ما لا سبب له ويخص ماله سبب جمعا بين الأدلة .

وقال البيضاوي : — اختلفوا في جواز الصلاة بعد الصبح والعصر وعند الطلوع والغروب وعند الاستواء فذهب داود الى الجواز مطلقا وأنه حمل النهي على التنزيه

قال ابن حجر متعقبا كلام البيضاوي بل المحكي أنه ادعى النسخ كما تقدم

قال البيضاوي : — وقال الشافعي .. تجوز الفرائض وما له سبب من النوافل — وقال أبو حنيفة يحرم الجميع سوى عصر يومه وتحرم المنذورة أيضا . وقال مالك — تحرم النوافل دون الفرائض ووافقه أحمد لكنه استثنى ركعتي الطواف أ.هـ (١)

النموذج الثاني : —

ذكر البخاري حديث عائشة ولفظه " كانت احدانا اذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تتزر فور حيضها ثم يباشرها قالت وأيكم يملك إربه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يملك إربه "

قال ابن حجر في سوق الأراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث " والمراد أنه صلى الله عليه وسلم كان أملك لأمره فلا يخشى عليه ما يخشى على غيره من أن يحوم حول

(١) كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس

الحى ومع ذلك فكان يباشر فوق الأزار تشريعا لغيره ممن ليس بمعصوم وبهذا قال أكثر العلماء وهو الجارى على قاعدة المالكية فى باب سد الزرائع — وذهب كثير من السلف والثورى واحمد واسحاق الى أن الذى يمتنع من الحائض الإستمتاع بالحائض الفرج فقط وبه قال محمد بن الحسن من الحنفية ورجحه الطحاوى وهو اختيار أصبغ من المالكية وأحد الوجهين للشافعية واختاره ابن المنذر وقال النووى هو الأرجح دليلا لحديث أنس فى مسلم " اصنعوا كل شئ الا الجماع " وحملوا حديث الباب وشبهه على الاستحباب جمعا بين الأدلة .

وقال ابن دقيق العيد ، ليس فى حديث الباب ما يقتضى منع ماتحت الازار لأنه فعل مجرد .. أ.هـ .

ويدل على الجواز أيضا ما رواه أبو داود بإسناد قوى عن عكرمه عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم " أنه كان اذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوبا "

واستدل الطحاوى على الجواز بأن المباشرة تحت الأزار دون الفرج لاتوجب حدا ولاغسلا فاشبهت المباشرة فوق الأزار .

وفصل بعض الشافعية فقال . ان كان يضبط نفسه عند المباشرة عن الفرج ويثق منها باجتنابه جاز والا فلا واستحسنه النووى . ولا يبعد تخريج وجه مفرق بين ابتداء الحيض وما بعده لظاهر التقييد بقولها " فور حيضتها " ويؤيده ما رواه ابن ماجه باسناد حسن عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم " كان يتقى سورة الدم ثلاثا ثم يباشر بعد ذلك " ويجمع بينه وبين الأحاديث الدالة على المباشرة على اختلاف هاتين الحالتين [(١)] أ.هـ

النموذج الثالث :—

روى البخارى حديث أبى هريرة ولفظه " لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى " . قال ابن حجر فى بيان الأراء

---

(١) من كتاب الحيض — باب مباشرة الحائض .

والأحكام الفقهية المأخوذة والمستنبطة من هذا الحديث.. واختلف في شد الرحال الى غيرها كالذهاب الى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا والى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها .

فقال الشيخ أبو محمد الجوينى : يحرم شد الرحال الى غيرها عملا بظاهر هذا الحديث وأشار القاضى حسين الى اختياره وبه قال عياض وطائفة ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن ممن انكار نضرة الغفارى على أبى هريرة خروجه الى الطور وقال له لو أدركتك قبل أن تخرج ماخرجت واستدل بهذا الحديث فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة .

والصحيح عند امام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم .

وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها :

أن المراد أن الفضيلة التامة انما هى فى شد الرحال الى هذه المساجد بخلاف غيرها فانه جائز وقد وقع فى رواية لأحمد بلفظ " ولا ينبغى للمطى أن تعمل " وهو لفظ ظاهر فى غير التحريم .

ومنها أن النهى مخصوص بمن نذر على نفسه الصلاة فى مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة فانه لا يجب الوفاء به . قاله ابن بطال .

وقال الخطابى اللفظ لفظ الخبر ومعناه الايجاب فيما ينذره الانسان من الصلاة فى البقاع التى يتبرك بها أى لا يلزم الوفاء بشئ من ذلك غير هذه المساجد الثلاثة .. ومنها أن المراد حكم المساجد فقط وأنه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة وأما قصد غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم أو تجارة أو نزهه فلا يدخل فى النهى ويؤيده ما روى أحمد من طريق شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة فى الطور فقال . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ينبغى للمصلى أن يشد رحاله الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى

ومسجدى " وشهر حسن الحديث وان كان فيه بعض الضعف.

وفيها أن المراد قصدها بالاعتكاف فيها حكاه الخطابى عن بعض السلف أنه قال " لايعتكف فى غيرها " وهو أخص من الذى قبله ولم أر عليه دليلا .. واستطرد ابن حجر فى سرد ما يؤخذ من الحديث من الأحكام وما ذهب اليه العلماء من آراء فقال :

واستدل به — أى بحديث الباب — على أن من نذر اتيان أحد هذه المساجد لزمه ذلك وقال أبو حنيفة لا يجب مطلقا وقال الشافعى فى الأم يجب فى المسجد الحرام لتعلق النسك به بخلاف المسجدين الآخرين وهذا هو المنصوص لأصحاب الشافعى.

وقال ابن المنذر يجب الحرمين وأما الأقصى فلا . واستأنس بحديث جابر أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى نذرت ان فتح الله عليك مكة أن أصلى فى بيت المقدس قال صلى ههنا .. وقال ابن التين الحجة على الشافعى أن اعمال المطى الى مسجد المدينة والمسجد الأقصى والصلاة فيهما قربة فوجب أن يلزم بالنذر كالمسجد الحرام أ.هـ . وفيما يلزم من نذر اتيان هذه المساجد تفصيل وخلاف يطول ذكره محله كتب الفروع .

ويمضى ابن حجر فى بيان بقية الأحكام الفقهية فيقول .

واستدل به — أى بحديث الباب — على أن من نذر اتيان غير هذه المساجد الثلاثة لصلاة أو غيرها لم يلزمه لأنه لافضل لبعضها على بعض فتكفى صلاته فى أى مسجد كان . قال النووى . لاخلاف فى ذلك الا ما روى عن الليث أنه قال يجب الوفاء به . وعن الحنابلة رواية يلزمه كفارة يمين ولا ينعقد نذره .

وعن المالكية رواية ان تعلقت به عبادة تختص به كرباط لزم والا فلا . وذكر عن محمد بن مسلمة أنه يلزم فى مسجد قباء لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتيه كل سبت وأجيب عن ذلك بأنه كان يأتى كل سبت ليتفقد الأنصار حينما يتخلفون عن صلاة الجمعة .

ومضى ابن حجر فى هذا الصدد فقال " قال السبكى الكبير ليس فى الأرض بقعة لهما

فضل لذاتها حتى تشد الرحال اليها غير البلاد الثلاثة والمراد بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتب عليه حكما شرعيا وأما غيرها من البلاد فلا تشد اليها لذاتها بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات قال • وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال الى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لأن الاستثناء انما يكون من جنس المستثنى منه فمعنى الحديث لاتشد الرحال الى مسجد من المساجد أو الى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان الا الثلاثة المذكورة وشد الرحال الى زيارة أو طلب علم ليس الى المكان بل الى من في ذلك المكان • أ • هـ (1)

النموذج الرابع : —

ذكر البخاري حديث عائشة ولفظه " صلى النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم صلى ثمان ركعات وركعتين جالسا وركعتين بين النداءين ولم يكن يدعهما أبدا "

قال ابن حجر • مبينا ما استنبطه العلماء من الآراء والأحكام الفقهية من هذا الحديث • واستدل بقولها " ولم يكن يدعهما " من قال بوجوب ركعتي الفجر وهو منقول عن الحسن البصري أخرجه ابن أبي شيبة بلفظ " كان الحسن يرى الركعتين قبل الفجر واجبتين " ونقل المرغيناني مثله عن أبي حنيفه • وفي جامع المحبوبي عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة لو صلاهما قاعدا من غير عذر لم يجز واستدل به بعض الشافعية للقديم في أن ركعتي الفجر أفضل التطوعات • وقال الشافعي في الجديد أفضلها الوتر وقال بعض أصحابه أفضلها صلاة الليل • (2)

---

(1) من ابواب التطوع — باب فضل الصلاة في مسجد مكة •
(2) من ابواب التهجد — باب المداومة على ركعتي الفجر •

النموذج الخامس :

ذكر البخاري حديث أنس بن مالك ولفظه " مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت . اليك عني فانك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها انه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الأولى " قال ابن حجر موضحا ومبينا ما استنبطه العلماء من هذا الحديث من الآراء والأحكام الفقهية .

قال النووي تبعا للعبدري والحازمي وغيرهما اتفقوا على أن زيارة القبور للرجال جائزة . قال ابن حجر معقبا على هذا .. كذا أطلقوا وفيه نظر لأن ابن أبي شيبة وغيره نقل عن ابن سيرين وابراهيم النخعي والشعبي الكراهة مطلقا حتى قال الشعبي لولا نهي النبي صلى الله عليه وسلم لزرت قبر ابنتي فلعل من أطلق أراد بالاتفاق ما استقر عليه الأمر بعد هؤلاء وكأن هؤلاء لم يبلغهم الناسخ . والله أعلم .

قال ابن حزم ان زيارة القبور واجبة ولو مرة واحدة في العمر لورود الأمر به . واختلف في النساء فقيل دخلن في عموم الأذن وهو قول الأكثر ومحله اذا أمنت الفتنة ويؤيد الجواز حديث الباب وموضع الدلالة منه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة قعودها على القبر وتقريره حجة وممن حمل الأذن على الرجال والنساء عائشة . فروى الحاكم من طريق ابن أبي مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبد الرحمن فقيل لها أليس قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك قالت نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها وقيل الأذن خاص بالرجال ولا يجوز للنساء زيارة القبور وبه جزم الشيخ أبو اسحاق في المهذب واستدل بحديث " لعن الله زوارات القبور " أخرجه الترمذي .

واختلف من قال بالكراهة في حقهن هل هي كراهة تحريم أو تنزيه قال القرطبي هذا اللعن انما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة ولعل السبب ما يفضي اليه ذلك من

تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك فقد يقال ان أمن جميع ذلك فلا مانع من الأذن لأن تذكر الموت يحتاج اليه الرجال والنساء ٠ أ ٠ هـ ٠ (١)

النموذج السادس :

ذكر البخاري حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم " قال ابن حجر في سوق الأراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث ٠ قال الاسماعيلي ظاهر حديث الباب أن الصدقة ترد على فقراء من أخذت من أغنيائهم ٠ وقال ابن المنير اختيار البخاري جواز نقل الزكاة من بلد المال لعموم قوله فترد في فقرائهم لأن الضمير يعود على المسلمين فأي فقير منهم ردت فيه الصدقة في أي جهة كان فقد وافق عموم الحديث ٠

وكأني بابن حجر لم يرتض هذا فعقب بقوله ٠ والذي يتبادر الى الذهن من هذا الحديث عدم النقل وأن الضمير يعود على المخاطبين فيختص بذلك فقراؤهم ثم قال بعد ذلك ٠٠ لكن وجح ابن دقيق العيد الأول وقال انه وان لم يكن الأظهر الا أنه يقويه أن أعيان الأشخاص المخاطبين في قواعد الشرع الكلية لا تعتبر في الزكاة كما لا تعتبر في الصلاة فلا يختص بهم الحكم وان اختص بهم خطاب المواجهة ، ثم استرسل ابن حجر فقال ٠ وقد اختلف العلماء في هذه المسألة فأجاز النقل الليث وأبو حنيفة وأصحابهما ونقله ابن المنذر عن الشافعي واختاره ٠ والأصح عند الشافعية والمالكية والجمهور ترك النقل فلو خالف ونقل أجزأ عند المالكية على الأصح ، ولم يجزئ عند الشافعية على الأصح الا اذا فقد المستحقون لها ٠

" قال ابن حجر عقب ذلك

---

(١) كتاب الجنائز ــ باب زيارة القبور ٠

ولا يبعد أنه اختيار البخارى لأن قوله فى الترجمة — حيث كانوا — يشعر بأنه لا ينقلها عن بلد وفيه من هو متصف بصفة الاستحقاق أ • هـ • (١)

النموذج السابع :

روى البخارى حديث على رضى الله عنه ولفظه (أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يقوم على بدنه وأن يقسم بدنه كلها لحومها وجلودها وجلالها ولا يعطى فى جزارتها شيئا)

قال ابن حجر فى بيان الأراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث• واستدل به على منع بيع الجلد قال القرطبى فيه دليل على أن جلود الهدى وجلالها لاتباع لعطفها على اللحم واعطائها حكمة • وقد اتفقوا على أن لحمها لا يباع فكذلك الجلود والجلال • وأجازه الأوزاعى وأحمد واسحاق وأبو ثور وهو وجه عند الشافعية • قالوا ويصرف ثمنه مصرف الأضحية واستدل أبو ثور على أنهم اتفقوا على جواز الانتفاع به • وكل ما جاز الانتفاع به جاز بيعه • وعورض باتفاقهم على جواز الأكل من لحم هدى المتطوع ولا يلزم من جواز أكله جواز بيعه ••

قال ابن حجر — وأقوى من ذلك فى رد قوله ما أخرجه أحمد فى حديث قتادة ابن النعمان مرفوعا " لا تبيعوا لحوم الأضاحى والهدى وتصرفوا وكلوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوا وأن أطعمتم من لحومها فكلوا ان شئتم " (٢)

• • •

النموذج الثامن :

روى البخارى حديث معقل بن يسار ولفظه " زوجت أختا لى من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا تعود اليك أبدا • وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع اليه • فأنزل

---

(١) كتاب الزكاة — باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا •
(٢) كتاب الحج — باب يتصدق بجلود الهدى

الله هذه الآية فلاتعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ، فقلت الآن أفعل يا رسول الله

•• قال ابن حجر ذاكراً الآراء الفقهاء والأحكام المستنبطة من هذا الحديث ••

قال ابن بطال اختلفوا في الولي فقال الجمهور ومنهم مالك والثوري والليث والشافعي وغيرهم الأولياء في النكاح وهم العصبة وليس للخال ولا لولد الأم ولا الأخوة من الأم ونحو هؤلاء ولاية •

وعن الحنفية هم من الأولياء واحتج الأبهري بأن الذي يرث الولاء العصبة دون ذوي الأرحام قال فذلك عقدة النكاح ثم مضى ابن حجر يقول : واختلفوا فيما اذا مات الأب فأوصى رجلا على أولاده ، هل يكون أولى من الولي القريب في عقدة النكاح أو مثله أو لا ولاية له ، فقال ربيعه وأبو حنيفه ومالك الوصي أولى واحتجوا لهم بأن الأب لو جعل ذلك لرجل بعينه في حياته لم يكن لأحد من الأولياء أن يعترض عليه فكذلك بعد موته — وتعقب بأن الولاية انتقلت بالموت فلا يقاس بحال الحياة •• ثم استرسل ابن حجر فقال وقد اختلف العلماء في اشتراط الولي في النكاح ، فذهب الجمهور الى ذلك وقالوا لا تزوج المرأة نفسها أصلا واحتجوا بالأحاديث المذكورة ومن أقواها هذا السبب المذكور في نزول الآية المذكورة وهي أصرح دليل على اعتبار الولي والا لما كان لعضله معنى ولأنها لو كانت لها أن تزوج نفسها لم تحتج لأخيها ومن كان أمره اليه لا يقال ان غيره منعه منه ، وذكر ابن المنذر أنه لا يعرف عن أحد من أصحابه خلاف ذلك •• وعن مالك رواية أنها ان كانت غير شريفه زوجت نفسها •• وذهب أبو حنيفه الى أنه لا يشترط الولي أصلا ويجوز أن تزوج نفسها ولو بغير اذن وليها اذا تزوجت كفوءا • واحتج بالقياس على البيع فانها تستقل به وحمل الأحاديث الواردة في اشتراط الولي على الصغيرة وخص بهذا القياس ، قال ابن حجر تعقيبا على رأي أبي حنيفه لكن حديث معقل المذكور رفع هذا القياس ويدل على اشتراط الولي في النكاح دون غيره ليندفع عن موليته العار باختيار الكفء ثم عاد ابن حجر الى ما كان بصدده أولا فقال • وانفصل بعضهم عن هذا الايراد

بالتزامهم اشتراط الولى ولكن لايمنع ذلك تزويجها نفسها ويتوقف ذلك على اجازة الولى كما قالوا فى البيع وهو مذهب الأوزاعى . وقال أبو ثور نحوه لكن قال يشترط اذن الولى لها فى تزويج نفسها .

وتعقب بأن اذن الولى لايصح الا لمن ينوب عنه والمرأة لا تنوب عنه فى ذلك لأن الحق له ولو اذن لها فى انكاح نفسها صارت كمن أذن لها فى البيع من نفسها ولايصح . ثم قال بعد ذلك فى حديث معقل أن الولى اذا أعضل لا يزوج السلطان الا بعد أن يأمره عن الرجوع عن العضل فان أجاب فذاك وان أصر زوّجه الحاكم . أ. هـ . (1)

النموذج التاسع :

روى البخارى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فانه من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميتة جاهلية " قال ابن حجر فى ذكر الآراء والأحكام الفقهية المستنبطة من هذا الحديث قال ابن بطال فى الحديث حجة فى ترك الخروج على السلطان ولو جار وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته فى ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها (2) أ. هـ .

---

(1) كتاب النكاح — باب من قال لانكاح الا بولى

(2) كتاب الفتن — باب قول النبى صلى الله عليه وسلم سترون بعدى أمورا تنكرونها ..

وأخيرا فمن هذه النماذج التي سقناها ، يتبين بوضوح وجلاء أن ابن حجر قد ألم بآراء الفقهاء ومذاهبهم وأدلتهم على ما ذهبوا اليه الماما تاما . ولم يقف الأمر عند ذلك بل تعقب بعضها وعارض بعض ما ساقه العلماء من الأدلة على رأيهم مما يدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن مجرد ناقل بل كانت له مشاركة في هذا الباب تدل على سعة علمه وفهمه واجتهاده .

وبعد ...

فالى مبحث آخر نستجلي فيه جزئية أخرى من منهج ابن حجر ..

...

المواعظ والآداب فى شــرح ابن حجـــر

لم تكن وظيفة السنة ومهمتها وضع النظم والقوانين والتشريعات الاسلامية فحسب ، بل حملت فى احشائها أنواعا أخر من الأغراض التى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها ففيها — بالاضافة الى التشريع — الدعوة الى التوحيد وذكر القصص والترغيب والترهيب ، والمواعظ والآداب التى من شأنها أن تهذب النفوس وتطهر القلوب وتقوم الأخلاق — وقد حرص ابن حجر أشد الحرص — عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح — على ايــراد ما يستفاد من الحديث من هذه الأغراض المتعددة وتلك الأنواع المختلفة ... وهاكم نماذج لتكون شواهد حسية وأمثلة تطبيقية لما ذكرناه :—

النموذج الأول

روى البخارى حديث ابن عباس ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة " قال ابن حجر فى ايراد ما يستفاد من هذا المتن من المواعظ والآداب ، قال النووى فى هذا الحديث فوائد ، منها :

الحث على الجود فى كل وقت ، ومنها الزيادة فى رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير وتكرار ذلك اذا كان المزور لا يكرهه والاستحباب فى اكثار القراءة فى رمضان وكونها أفضل من سائر الأذكار اذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلاه .

قال ابن حجر بعد ما ساق كلام الامام النووى فى هذا الصدد ، وفيه اشارة الى أن ابتداء نزول القرآن كان فى شهر رمضان لأن نزوله الى السماء الدنيا جملة واحدة كان فى رمضـــان كما ثبت من حديث ابن عباس فكان جبريل يتعاهده فى كل سنة فيعارضه بما نزل عليه مــن رمضان الى رمضان فلما كان العام الذى توفى فيه عارضه به مرتين كما ثبت فى الصحيح عــن فاطمة . أ . هـ (١)

---

(١) من كتاب بدء الوحى

النموذج الثانى

روى البخارى حديثين عن عائشة ولفظ الأول أن عائشة رضى الله عنها قالت " أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع — وهو صعيد أفيح — فكان عمر يقول للنبى صلى الله عليه وسلم احجب نساءك . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالى عشاء — وكانت امرأة طويلة — فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب ولفظ الحديث الثانى عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " قد أذن أن تخرجن فى حاجتكن " قال ابن حجر ومحصلها فى الحديث أن سودة خرجت بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت عظيمة الجسم فرآها عمر فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين فرجعت فشكت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتعشى فأوحى الله اليه فقال انه قد أذن لكن أن تخرجن فى حاجتكن " ثم ساق ابن حجر بعد ذلك ما يستفاد من الفوائد فى المواعظ والرقاق فقال . قال ابن بطال فقه هذا الحديث انه يجوز للنساء التصرف فيما لهن الحاجة اليه من مصالحهن وفيه مراجعة الأدنى للأعلى فيما يتبين له أنه الصواب وحيث لا يقصد التعنت فيه وفيه منقبة لعمر وفيه جواز كلام الرجال مع النساء للضرورة .

وجواز الاغلاظ فى القول لمن يقصد الخير وفيه جواز وعظ الرجل أمه فى الدين لأن سودة من أمهات المؤمنين وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينتظر الوحى فى الأمور الشرعيه لأنه لم يأمرهن بالحجاب مع وضوح الحاجة اليه وكذلك فى اذنه لهن بالخروج .. أ . هـ . (1)

---

(1) كتاب الوضوء — باب خروج النساء الى البراز .

النموذج الثالث

روى البخاري حديث عائشة ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا انا لسنا كهيئتك يا رسول الله ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا " .

قال ابن حجر في ذكر ما يستفاد من الآداب والمواعظ . وفي هذا الحديث فوائد .

الأولى أن الأعمال الصالحة ترقى صاحبها الى المراتب السنية من رفع الدرجات ومحو الخطايات لأنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم استدلالهم ولا تعليلهم من هذه الجهة بل من جهة أخرى . الثانية أن العبد اذا بلغ الغاية في العبادة وثمراتها كان أدعى له الى المواظبة عليها استبقاء للنعمة واستزادة لها بالشكر عليها — الثالثة الوقوف عندما حد الشارع من عزيمة ورخصة واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له —

الرابعة : أن الأولى من العبادة القصد والملازمة لا المبالغة المفضية الى الترك —

الخامسة : التنبيه على شدة رغبة الصحابة في العبادة وطلبهم الازدياد من الخير —

السادسة : مشروعية الغضب عند مخالفة الامر الشرعي والانكار على الحاذق المتأهل لفهم المعنى ان قصر عن الفهم .

السابعة : جواز تحدث المرء بما فيه من فضل عند الأمن من المباهاة والتعاظم اذا اقتضت الحاجة . (١)

النموذج الرابع

ذكر البخاري حديث ابن مسعود ولفظه " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس اذ قال بعضهم لبعض أيكم يأتي بسلى جزور بني فلان

---

(١) كتاب الايمان — باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأن المعرفة فعل القلب .

فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغير شيئا لو كان لي منعة قال فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره فرفع رأسه ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم اذ دعا عليهم قال وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر " قال ابن حجر في بيان ما في هذا المتن من ~~الفوائد~~ الفوائد ~~الحديثية~~ وفي الحديث تعظيم الدعاء بمكة عند الكفار وما ازدادت عند المسلمين الا تعظيما وفيه معرفة الكفار بصدقه صلى الله عليه وسلم لخوفهم من دعائه ولكن حملهم الحسد على ترك الانقياد وفيه حلمه صلى الله عليه وسلم عمن آذاه وفيه استحباب الدعاء ثلاثا وفيه جواز الدعاء على الظالم وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها في قومها ونفسها لكونها صرحت بشتمهم وهم رؤوس قريش فلم يردوا عليها ٠ أ ٠ هـ (1)

النموذج الخامس

روى البخاري حديث ابن عباس ولفظه " كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاءك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد (صلى الله عليه وسلم) حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك "

---

(1) كتاب الوضوء — باب اذا ألقي على ظهر المصلي قذرا أو جيفة

قال ابن حجر في بيان ايضاح ما يستفاد من المتن من المواعظ والآداب ، قـال الكرماني وفيـه الاشارة الى النبوة والى الجزاء ثوابا وعقابا ووجوب الايمان والاسلام والتوكل والانابة والتضرع الى الله والخضوع له ثم قال بعد أن ساق كلام الكرماني بهذا الصدد وفيه زيادة معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والاقرار بصدق وعده ووعيده وفيه استحباب تقديم الثنـاء على المسألة عند كل مطلوب اقتداء به صلى الله عليه وسلم . أ . هـ (١)

النموذج السادس

روى البخاري حديث عائشة ولفظه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة فـي المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال قد رأيت الـذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان " .

قال ابن حجر في ايراد ما يستفاد من المتن من الرقائق والآداب وفي حديث الباب مـن الفوائد ندب قيام الليل ولاسيما في رمضان جماعة لأن الخشية المذكورة آمنت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك جمعهم عمر بن الخطاب على أبي بن كعب وفيه جواز الفـرار من قدر الله الى قدر الله قال المهلب وفيه أن الكبير اذا فعل شيئا خلاف ما اعتاد أتباعـه أن يذكر لهم عذره وحكمه والحكمة فيه . وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من الزهادة في الدنيا والاكتفاء بما قل منها والشفقة على أمته والرأفة بهم وفيه ترك بعض المصالح لخوف المفسدة وتقديم أهم المصلحتين وفيه ترك الأذان والاقامة للنوافل اذا صليت جماعة (٢)

---

(١) من أبواب قيام الليل — باب التهجد بالليل وقوله عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك .

(٢) من أبواب قيام الليل باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير ايجاب .

النموذج السابع

ذكر البخاري حديث ابن عباس ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمعاذ حين بعثه الى اليمن انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب. قال ابن حجر في بيان ما يؤخذ من الحديث من الآداب والمواعظ . وفي الحديث الدعاء الى التوحيد قبل القتال وتوصية الامام عامله فيما يحتاج اليه من الاحكام وغيرها وفيه بعث السعاة لأخذ الزكاة وقبول خبر الواحد ووجوب العمل به وايجاب الزكاة في مال الصبي والمجنون لعموم قوله من أغنيائهم قاله عياض وان الزكاة لاتدفع للكافر لعود الضمير في فقرائهم الى المسلمين وان الفقير لازكاة عليه وان ملك نصابا لايعطى من الزكاة من حيث أن جعل المأخوذ منه غنيا وقابله بالفقير . أ.هـ (1)

النموذج الثامن

ذكر البخاري حديث أنس بن مالك ولفظه " غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي طلحة ليحنكه فوافيته وفي يده الميسم يسم به ابل الصدقه " قال ابن حجر في ايراد ما يستفاد من المتن من المواعظ والرقاق قال المهلب وغيره في هذا الحديث أن للامام أن يتخذ ميسما وليس للناس أن يتخذوا نظيره وفيه اعتناء الامام بأموال الصدقة وتوليها بنفسه وفيه جواز الإيلام للحاجة وفيه قصد أهل الفضل لتحنيك المولود لأجل البركة

---

(1) كتاب الزكاة - باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا -

وفيه جواز تأخير القسمة ولو أنها عجلت لاستغنى عن الوسم وفيه مباشرة أعمال المهنة وترك الاستنابة فيها للرغبة فى زيادة الأجر ونفى الكبر .[1]

وبعد ...

فلعله يكون فيما قدمنا من النماذج كفاية ودليل على جهد ابن حجر فى هذا الباب . والى مبحث آخر نقدم فيه جهدا آخر ...

⁂

المبحث الحادى عشر

الجمع بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث فى شرح ابن حجر

محمد بدير

التعارض معناه اقتضاء كل من الدليلين عدم ما يقتضيه الآخر [2] هذا فى عرف الفقهاء والأصوليين فاذا انتقلنا الى ما يقع من التعارض بين الأحاديث فى عرف المحدثين لوجدناهم يسمونه مختلف الحديث ومعناه أن يأتى حديثان متعارضان فى المعنى ظاهرا فان أمكن الجمع تعين ذلك ويجب العمل بهما وان لم يمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه فان علم أحدهما ناسخا والآخر منسوخا وذلك ان علم تاريخهما عمل بالناسخ والا عمل بالراجح منهما . قال النووى وانما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون الغواصون على المعانى .[3]

---

(١) كتاب الزكاة — باب وسم الامام ابل الصدقة .
(٢) من المدخل للفقه الاسلامى ص ١٢٩ .
(٣) كتاب التقريب ص ٢٣ .

وقد اعتنى ابن حجر عناية فائقة عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح بالجمع والتوفيق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث وتتبع ذلك في مواطنه حتى جلاه وأزال عنه كل لبس واشتباه ... وسنقدم نماذج من ذلك فيما يلى :

النموذج الأول

روى البخاري حديث أبى بكره ولفظه "أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره وأمسك انسان بخطامه أو بزمامه ثم قال أى يوم هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فأى شهر هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس بذى الحجة قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم . الحديث.

قال ابن حجر في بيان التعارض بين الأحاديث والجمع بينهما .

وقع في حديث الباب فسكتنا بعد السؤال وعند المصنف في الحج من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال أى يوم هذا قالوا يوم حرام .. وظاهرهما التعارض والجمع بينهما أن الطائفة الذين كان فيهم ابن عباس أجابوا والطائفة الذين كان فيهم أبو بكره لم يجيبوا بل قالوا الله ورسوله أعلم كما أشرنا اليه أو تكون رواية ابن عباس بالمعنى لأن في حديث أبى بكره عند المصنف في الحج وفي الفتن أنه لما قال أليس يوم النحر قالوا بلى فقولهم بلى بمعنى قولهم يوم حرام بالاستلزام وغايته أن أبا بكره نقل البيان بتمامه واختصره ابن عباس وكان ذلك بسبب قرب أبى بكرة منه لكونه أخذا بزمام الناقه ..[1]
وقيل في الجمع بين الحديثين لعلهما واقعتان قال ابن حجر تعقيبا على هذا وليس بشئ لأن الخطبة يوم النحر انما تشرع مرة واحدة وقد قال في كل منهما ان ذلك كان يوما حراما .

---

(١) كتاب العلم — باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) رب مبلغ أوعى من سامع
ج ١ ص ١٤٠

وقيل في الجمع أنهم فوضوا أولا كلهم بقولهم الله ورسوله أعلم فلما سكت أجاب بعضهم دون بعض وقيل وقع السؤال في الوقت الواحد مرتين بلفظين فلما كان في حديث أبي بكرة فخامة ليست في حديث ابن عباس لخلوه عن ذلك اشار الى ذلك الكرماني . وقيل غير ذلك . (١)

النموذج الثاني

روى البخاري حديث أنس ولفظه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن أنه لا يصوم منه ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا ، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته .

قال ابن حجر في بيان التعارض بين الأحاديث والجمع بينها .

" قوله وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا الا رأيته " أي أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتا معينا بل بحسب ما تيسر له القيام ولا يعارضه قول عائشة السابق كان اذا سمع الصارخ قام فهي تخبر عما لها عليه اطلاع وذلك ان صلاة الليل كانت تقع منه غالبا في البيت فحديث أنس محمول على ماوراء ذلك . (٢)

النموذج الثالث

• روى البخاري حديث حميد ولفظه " صلى بنا أنس فكبر ثلاثا ثم سلم فقيل له فاستقبل القبلة ثم كبر الرابعة ثم سلم " قال ابن حجر في بيان التعارض بين الاحاديث والجمع بينهما :

" قوله وقال حميد صلى بنا أنس الحديث" فهذا يفيد أن أنس كبر أربعا وروى عن أنس الاقتصار على ثلاثة قال ابن أبي شيبة حدثنا معاذ عن عمران بن جرير قال صليت

---

(١) كتاب الحج — باب الخطبة بمنى جـ ٣ ص ٤٥٢

(٢) ابواب التهجد جـ ٣ ص ١٨ باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم من نومه بالليل .

مع أنس بن مالك على جنازة فكبر عليها ثلاثا لم يزد عليها وروى ابن المنذر من طريق حماد بن سلمه عن يحيى بن اسحاق قيل لأنس ان فلانا كبر ثلاثا فقال وهل التكبير الا ثلاث .. ويمكن الجمع بين ما اختلف فيه على أنس اما بأنه كان يرى الثلاثة مجزئة والأربع أكمل منها واما بأن من أطلق عنه الثلاث لم يذكر الأولى لأنها افتتاح الصلاة كما تقدم فى باب سنة الصلاة من طريق ابن علية عن يحيى بن أبى اسحاق أن أنسا قال أوليس التكبير ثلاثا فقيل له يا أبا حمزة التكبير أربع قال أجل غير أن واحدة هى افتتاح الصلاة . أ . هـ (١)

النموذج الرابع

روى البخارى حديث عائشة ولفظه " دخلت على أبى بكر فقال فى كم كفنتم النبى صلى الله عليه وسلم وفيه " فنظر الى ثوب عليه كان يمرض فيه به ردع من زعفران فقال اغسلوا ثوبى هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنونى فيهما قلت إنه خَلِق قال ان الحى أحق بالجديد من الميت انما هو للمهلة الحديث " قال ابن حجر فى بيان التعارض بين الأحاديث والجمع بينهما " قوله خلق " ظاهره أن أبا بكر كان يرى عدم المغالاة فى الأكفان ويؤيده قوله بعد ذلك انما هو للمهله وروى أبو داوود من حديث على مرفوعا لا تغالوا فى الكفن أخرجه مسلم فانه يجمع بينهما بحمل التحسين على الصفة وحمل المبالغة (وحمل المغالاة) على الثمن وقيل التحسين حق الميت فاذا أوصى بتركه أتبع كما فعل الصديق . أ . هـ .

---

(١) كتاب الجنائز — باب التكبير على الجنائز اربعا جـ ٣ ص ١٥٧ .

النموذج الخامس

روى البخاري حديث أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ولفظه " أن أباه عبد الرحمن أخبر مروان أن عائشة وأم سلمة أخبرتاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم " وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث أقسم بالله لتفزعن بها أبا هريرة ومروان يومئذ على المدينة فقال أبو بكر فكره عبد الرحمن ذلك ثم قدر لنا أن نجتمع بذى الحليفة وكانت لأبي هريرة هناك أرض فقال عبد الرحمن لأبي هريرة اني ذاكر لك أمرا ولولا مروان أقسم على فيه لم أذكره لك فذكر قول عائشة وأم سلمه فقال : أى ابو هريرة — حدثني الفضل بن عباس كان النبي يأمر بالفطر والأول أسند " والحاصل أن في هذه المسألة رأيين : رأى أبي هريرة وهو أنه من أصبح جنبا فلا يتم صومه وليفطر ومستنده حديث الفضل بن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالفطر — وقد رجع أبو هريرة عن ذلك حينما علم بقول عائشة وأم سلمة .... والثاني رأى عائشة وأم سلمة من أصبح جنبا فليغتسل ويتم صومه ومستندهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم . وهذان الرأيان متعارضان تماما . ومستند أحدهما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر فعله . قال ابن حجر في الجمع بين هذين الحديثين . وقد سلك العلماء في التوفيق بينهما مسالك مختلفة فقال بعضهم أن حديث أبي هريرة عن الفضل بن العباس — كان النبي يأمر بالفطر — هذا الخبر منسوخ وهذا رأى ابن خزيمه لأن الله تعالى عند ابتداء فرض الصيام كان منع في ليل الصوم من الأكل والشرب والجماع بعد النوم قال فيحتمل أن يكون خبر الفضل حينئذ ثم اباح الله ذلك كله الى طلوع الفجر فكان للمجامع أن يستمر الى طلوعه فيلزم أن يقع اغتساله بعد طلوع الفجر فدل على أن حديث عائشة ناسخ لحديث الفضل ولم يبلغ الفضل ولا أبا هريرة

الناسخ فاستمر أبو هريرة على الفتيا به ثم رجع عنه بعد ذلك لما بلغه قال ابن حجر تعقيبا على هذا الرأى • ويقويه ان فى حديث عائشة الأخير وهو ما أخرجه مسلم والنسائى وابن خزيمه وغيرهم من طريق أبى يونس مولى عائشة ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يستفتيه وهى تسمع من وراء الباب فقال يارسول الله تدركنى الصلاة — أى صلاة الصبح — وأنا جنب أفأصوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب فأصوم فقال لست مثلنا يارسول الله قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال والله انى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى •• ما يشعر بأن ذلك كان بعد الحديبية لقوله فيها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأشار الى آية الفتح وهى انما نزلت عام الحديبية سنة ست وابتداء فرض الصيام كان فى السنة الثانية أ • هـ • ثم استطرد فقال والى دعوى النسخ فيه ذهب ابن المنذر والخطابى وغير واحد وقرره ابن دقيق العيد بأن قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم — يقتضى اباحة الوطء فى ليلة الصوم ومن جملتها الوقت المقارن لطلوع الفجر فيلزم اباحة الجماع فيه ومن ضرورته أن يصبح فاعل ذلك جنبا ولا يفسد صومه فان اباحة التسبب للشئ اباحة لذلك الشئ • ثانيا قال بعضهم ان حديث عائشة أرجح لموافقة أم سلمة لها على ذلك ورواية اثنين تقدم على رواية واحد ولاسيما وهما زوجتان وهما أعلم بذلك من الرجال ولأن روايتهما توافق المنقول وهو ما تقدم من مدلول الآية والمعقول وهو أن الغسل شئ وجب بالانزال وليس فى فعله شئ يحرم على صائم فقد يحتلم بالنهار فيجب عليه الغسل ولا يحرم عليه فيتم صومه اجماعا فكذلك اذا احتلم ليلا بل هو من باب الأولى وانما يمنع الصائم من تعمد الجماع نهارا وهو شبيه بمن منع من التطيب وهو محرم لكن لو تطيب وهو حلال ثم أحرم فبقى عليه لونه أو ريحه لم يحرم ذلك عليه •

ثالثا : جمع بعضهم بين الحديثين بأن الأمر فى حديث أبى هريرة أمر ارشاد الى الأفضل فان الأفضل أن يغتسل قبل الفجر فلو خالف جاز ويحمل حديث عائشة على بيان الجواز ونقل النووى

هذا عن أصحاب الشافعى : قال ابن حجر تعقيبا على هذا وفيه نظر فان الذى نقلــه البيهقى وغيره عن نص الشافعى سلوك الترجيح وعن ابن المنذر وغيره سلوك النسخ ويعكر على حمله على الارشاد التصريح فى كثير من طرق حديث أبى هريرة بالأمر بالفطر وبالنهى عن الصيام فكيف يصح الحمل المذكور اذا وقع ذلك فى رمضان وقيل هو محمول على من أدركه الفجر مجامعا فاستدام بعد طلوعه عالما بذلك ويعكر عليه ما رواه النسائى من طريق أبى حازم عن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الرحمن عن أبيه أن أبا هريرة كان يقول من احتلم وعلم باحتلامه ولم يغتسل حتى أصبح فلا يصوم وحكى ابن المتين عن بعضهم أنه سقط — لا — من حديث الفضل وكان فى الأصل من أصبح جنبا فى رمضان فلا يفطر فلما سقط لا صار فليفطر — قال ابن حجر تعقيبا على ذلك وهذا بعيد بل باطل لأنه يستلزم عدم الوثوق بكثير من الأحاديث وأنها يطرقها مثل هذا الاحتمال وكأن قائله ما وقف على شئ من طرق هذا الحديث الا على اللفظ المذكور ثم قال الحافظ ابن حجر عقب ذكر رأى من قال بالنسخ — وهذا أولى من سلوك الترجيح بين الخبرين . أ . هـ .

ولعل فيما سقناه خير شاهد على طول باع ابن حجر ورسوخ قدمه فى هذا الصدد والا فالكتاب لا يوجد فيه حديثين أو أحاديث ظاهرها التعارض الا وقد جمع بينهما ...

∴

تمهيد

ينبغى أن نعرف أولا المجمل ، فنقول :

المجمل هو اللفظ الذى خفى معناه بسبب من ذات اللفظ ولا يدرك المراد منه الا ببيان الشارع فلابد فيه من ان يبينه الشارع ويزيل خفاءه بدليل نقلى قولا او فعلا .(١)

المبين هو ما يذكره الشارع لبيان وتعيين المراد من المجمل .

وقد اعتنى ابن حجر فى شرحه اتم العناية بتوضيح المجمل وما يبينه ... واليكم نماذج من ذلك فيما يلى : -

النموذج الاول :

روى البخارى حديث ابن عمر قال ، قال النبى صلى الله عليه وسلم " الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامه " (٢) وروى أيضا حديث عروة البارقى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامه الأجر والمغنم " (٣) .

قال ابن حجر فى بيان المجمل وما يبينه قول النبى صلى الله عليه وسلم " الاجر والمغنم " بيان وتوضيح وتعيين للفظ " الخير " فى هذا الحديث والحديث السابق عليه . ا.هـ

النموذج الثانى :

روى البخارى حديث ابى هريرة سمعت الصادق المصدوق يقول " هلكة امتى على يد غلمة من قريش "

قال ابن حجر فى بيان المجمل وما يبينه ، جاء المراد بالهلاك مبينا فى حديث آخر ، أخرجه على بن معبد وابن أبى شيبة من وجه آخر عن أبى هريرة رفعه " أعوذ بالله من امارة الصبيان ، قالوا وما امارة الصبيان قال ان اطعتموهم هلكتم - اى فى دينكم - وأن

---

(١) حسين حامد ، أصول الفقه ص ٤٩٦
(٢) كتاب الجهاد - باب الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامه .
(٣) كتاب الجهاد - باب الجهاد ماض مع البر والفاجر .
(٤) كتاب الفتن - باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " هلاك امتى على يدى اغيلمه سفهاء "

عصيتموهم أهلكوكم — أى فى دنياكم — وفى رواية ابن أبى شيبة أن أبا هريرة كان يمشى فى السوق ويقول اللهم لا تدركنى سنة ستين ولا امارة الصبيان • وفى هذا اشارة الى أن أول الأغيلمه كان سنه ستين • (١) أ • هـ

النموذج الثالث

روى البخارى حديث عائشة أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الحيض كيف تغتسل منه قال تأخذين فرصة ممسكة فتوضئين بها قالت كيف أتوضأ بها يارسول الله • وكررت السائلة ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم • وفى الحديث قالت عائشة فعرفت الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبتها الىّ فعلمتها ••••••

قال ابن حجر فى توضيح المجمل وما يبينه • قال ابن بطال لم تفهم السائلة غرض النبى صلى الله عليه وسلم لأنها لم تكن تعرف أن تتبع الدم بالفرصة يسمى توضأ اذا اقترن بذكر الدم والأذى وانما قيل له ذلك لكونه مما يستحى من ذكره • ففهمت عائشة غرضه فبينت للمرأة ما خفى عليها من ذلك • أ • هـ • (٢)

وواضح مما تقدم أن البيان وقع للسائلة بما فهمته عائشة واقرار النبى صلى الله عليه وسلم لها على ما فهمت ••••

= اولا : الاشتراك مع تعذر ترجيح أحد معانى المشترك بالقرائن •
ثانيا : نقل اللفظ من معناه لغـة الى معنى شرعى قبل العلم بوضعه لهذا المعنى كالفاظ الصلاة والزكاة •
ثالثا : غرابة اللفظ قبل تفسيره كالهلوع فى قوله تعالى " ان الانسان خلق هلوعا " الآيه
(٢) فتح البارى كتاب الجهاد — باب الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامه •
(٣) فتح البارى كتاب الجهاد — باب الجهاد ماض مع البر والفاجر •

---

(١) كتاب الفتن — باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " هلاك أمتى على يدى أغيلمة سفهاء "
(٢) فتح البارى كتاب الاعتصام : باب الاحكام التى لا تعرف الا بالدلائل •

المبحث الثالث عشر آراء الفرق الاسلاميـة فى شرح ابن حجر

تمهيـــد

لم يلبث العرب أن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واستجابوا لدعوته ودخلوا فى دين الله أفواجا ورأو النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصف لهم ربه بما وصف به نفسه فى كتابه الكريم وبما أجراه على لسانه من سنته فلم يسأله أحد منهم عن شئ من ذلك كما كانوا يسألون عن الصلاة والصيام وغير ذلك من الاحكام لأن هذا من الأمور التى تتوفر الدواعى على نقلها لو أنه حدث ولم ينقل لنا أن أحد التبس عليه فهم شئ من ذلك فأنشأ يسأل ليكشف شبهة أو يزيل لبسا أو يشرح غامضا كما نقلت الأحاديث الكثيرة التى تتضمن الحلال والحرام وسائر الاحكام . فدل هذا كله على انهم فهموا ذلك وعقلوه فى يسر وسهولة من غير أن يفلسفوه أو شيئا منه يقول المقريزى " ومن أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوى — ووقف على الآثار السلفية — علم أنه لم يرد قط — من طريق صحيح ولا سقيم — عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شئ مما وصف الرب سبحانه — به نفسه الكريمه فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات ولا فرق أحد منهم بين كونهـا صفة ذات أو صفة فعل . وانما اثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة — وسائر الصفات — وساقـوا الكلام سوقا واحدا وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله سبحانه وتعالى على نفسه من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا بلا تشبيه ونزهوا من غير تعطيل ولم يتعرض أحد منهم الى شئ من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن

عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى ولا عرف أحد منهم الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة " (١)

على هذا النحو — وفي هذا الموضوع الذي ثارت فيه عجاجة المتكلمين فيما بعد — انتهى القرن الأول فهو أنه قد نبت في هذا القرن رجلان شغلا الناس بما لم يكونوا يعرفونه عن نبيهم وصحابته وكلا الرجلين كان دخيلا في الاسلام فاسد الطوية أما أحدهما فرجل نصراني من أهل العراق يقال له سوسن صحب معبد بن عبد الله الجهني البصري (٢) ونفث في صدره سمومه وعلمه القول بالقدر وزينه له فكان معبد أول من قال بالقدر في الملة المحمدية وقد أخذ عنه غيلان بن مروان الدمشقي فقال بالقدر خيره وشره من العبد • وقال في الامامة انها تصلح في غير قريش ما دام قائما بالكتاب والسنة • (٣)

وأما الرجل الآخر فهو عبد الله بن وهب بن سبأ — وتتلخص شروره في ثلاثة أمور:

الاول: هو أول من أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب بالامامة •

الثاني: كان أول من أحدث القول برجعة علي الى الدنيا بعد موته وبرجعة الرسول صلى الله عليه وسلم •

الثالث: كان اول من احدث القول بأن عليا لم يقتل وأنه لايزال حيا يسكن السحاب وأن الرعد سوطه وكذا البرق وأن فيه جزءا إلهيا وانه لابد أن ينزل الأرض فيملأها عدلا كما ملأت جورا وعن هذه الآراء تفرعت آراء كثير من الفرق فيما بعد على أن الذين شايعوا عليا ونصروه ووقفوا معه في حربه ضد معاوية يسمون " شيعة " وقد انفصلت شعبة منهم وناصبته العداء وأشعلت شواظ الفتن ضده بعد ماكانت تفديه بالأنفس وبعد ما كانت ترى طاعته مغنما وهؤلاء هم الخوارج الذين حملوا عليا على قبول التحكيم ثم راحوا بعد ذلك يعلنون كفره وكفر كل من قبل تحكيم الرجال وأبوا أن يفيئوا الا أن يعلن على أنه كفر بتحكيمه الرجال وأنه تائب الى اللمن هذا الكفر (٤)

---

(١) المقريزى خطط ج ٢ ص ٣٥٦
(٢) الذهبي تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٣٠
(٣) تاريخ الطبري ج ٨ ص ٣٨٥
(٤) مقدمة مقالات الاسلاميين ص ١١ ، ١٢ ، ١٣

وفى نهاية القرن الأول وأوائل القرن الثانى ، ظهر رجل يقال له جهم بن صفوان ببعض بلاد المشرق فأورد على أهل الاسلام شكوكا أثرت فى الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كثير وكثر أتباعه على أقواله التى تؤول الى التعطيل [١] فأخذ يعلن فى الناس أن لمقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية ، وأن لأفعاله آخرا وأن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما حتى يكون الله تعالى آخرا لاشئ معه كما كان أولا لاشئ معه ... وذهب الى أن علم الله تعالى محدث والى القول بخلق القرآن [٢]

وفى أوائل القرن الثانى — كذلك — كان شر الخوارج قد استطار وكانوا قد أعلنوا أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد فى النار لايخرج منها أبدا وكان جماعة المسلمين يقولون أنه مؤمن وأن فسق بارتكاب الكبيرة وكان أبو حذيفة واصل بن عطاء يجلس الى الحسن البصرى ويتتلمذ عليه فجرى يوما ذكر هذه المسألة فقال واصل أنا أقول فى مرتكب الكبيرة من هذه الأمة أنه لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين فغضب الحسن لذلك وطرده من مجلسه فاعتزل عنه وجلس فى ناحية من المسجد وانضم اليه عمرو بن عبيد وجماعة فقيل لهما ولأتباعهما المعتزله أو المعتزلون [٣] وأضحت المعتزله بعد هذين الرجلين فرقة لها أصول وقواعد وتتابعت طبقاتها واتصلوا بالفلسفة اليونانية واستقوا منها واتهموا المتكلمين — أهل السنة — بالتعصب واستحسان التقليد وأنهم قد انفتح عليهم باب الحيرة وأوصدت فى وجوههم أبواب اليقين وقد أشار ابن حجر أثناء شرحه لأحاديث البخارى الى آراء هذه الفرق ومقالاتها وكشف عنها وأوضحها أيما ايضاح وسأقوم بتقديم بعض النماذج كى تكون شاهدا على ذلك ...

فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) المقريزى خطط ج ٢ ص ٣٥٧
(٢) ابو الحسن الأشعرى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٤ ، ٣١٢
(٣) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٣٠ ، ٣٤٨

النموذج الأول

روى البخاري حديث ابن عباس " لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الى نحو أهل اليمن قال له انك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم " الحديث (١)

قال ابن حجر فى بيان آراء المتكلمين واختلاف مذاهبهم المستمدة والمستندة الى هذا الحديث وقد تمسك بهذا الحديث " فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله فاذا عرفوا ذلك " من قال أول واجب المعرفة كامام الحرمين واستدل بأنه لا يتأتى الاتيان بشئ من المأمورات على قصد الامتثال ولا الانكفاف عن شئ من المنهيات على قصد الانزجار الا بعد معرفة الآمر والناهي ...

واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى الا بالنظر والاستدلال وهو مقدمة الواجب ، فيجب فيكون أول واجب النظر وذهب الى هذا طائفة كابن فورك وتعقب بأن النظر ذو أجزاء يترتب بعضها على بعض فيكون أول واجب جزء من النظر وهو محكى أبى بكر بن الطيب ...

وعن أبى اسحق الاسفراييني اول واجب القصد الى النظر

وقد جمع بعضهم بين هذه الأقوال بأن من قال أول واجب المعرفة أراد طلبا وتكليفا ومن قال النظر أو القصد أراد امتثالا لأنه يسلم أنه وسيلة الى تحصيل المعرفة فيدل ذلك على سبق وجوب المعرفه .

ثم استطرد ابن حجر فقال وقد ذكرت فى كتاب الايمان من أعرض عن هذا من أصله وتمسك بقول الله تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها " وحديث " كل مولود يولد على الفطرة " فان ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله عليه الصلاة والسلام " فأبواه يهودانه أو ينصرانه " وقد وافق أبو جعفر السمناني على هذا وهو من رؤوس الأشاعرة .

---

(١) كتاب التوحيد – باب ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى

وقد نقل ابن حجر آراء اخرى تتعلق بهذه المسألة تدل على أنه اطلع على آراء القوم فى كتبهم واستوعبها وانما أعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة المملة .

النموذج الثانى

روى البخارى حديث عائشة " أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بـ قل هو الله احد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها " (١)

قال ابن حجر فى عرض وتوضيح آراء المتكلمين المستمدة والمستندة الى هذا الحديث :

وفى حديث الباب حجة لمن أثبت ان لله صفة وهو قول الجمهور . وشذ ابن حزم فقال هذه لفظة اصطلح عليها اهل الكلام من المعتزله ومن تبعهم ولم تثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من اصحابه . فان اعترضوا بحديث الباب فهو من أفراد سعيد بن هلال وفيه ضعف قال وعلى تقدير صحته فقل هو الله احد صفة الرحمن كما جاء فى هذا الحديث ولا يزاد عليه بخلاف الصفة التى يطلقونها فانها فى لغة العرب لاتطلق الا على جوهر أو عرض كذا قال/ قال ابن حجر وسعيد متفق على الاحتجاج به فلا يلتفت اليه فى تضعيفه . وكلامه الاخير مردود باتفاق الجميع على اثبات الأسماء الحسنى قال الله تعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها (٢) " . والأسماء الحسنى المذكورة فى آخر سورة الحشر بلغة العرب صفات ففى اثبات أسمائه إثبات صفاته لأنه اذا ثبت انه حى فقد وصف بصفة زائدة على الذات وهى صفة الحياة ولولا ذلك لوجب الاقتصار على ما ينبئ عن وجود الذات فقط . وقد قال سبحانه : " سبحان ربك رب العزة عما يصفون (٣) " فنزه نفسه عما يصفونه به من صفات النقص ومفهومه أن وصفه بصفة الكمال مشروع . أ هـ .

---

(١) كتاب التوحيد باب ما جاء فى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى .

(٢) الآية ١٨٠ من سورة الاعراف (٣) الآية ١٨٠ من سورة الصافات

وفى هذا الصدد نجتزئ بهذين المثالين ... والا فمن يطالع كتاب الايمـان وكتاب التوحيـد من " فتح البارى " ، يجدهما زاخرين بأمثال هذا مما يـدل على سعة علم ابن حجر وطول باعه فى هذا الشأن وأنه قد ألمّ بآراء جميع الفرق الاسلاميـة وذكـر خلافاتها المذهبيـة . أ.هـ .

* * *
* *
*

وبعـد ...

فهذا هو منهج ابن حجر فى كتابه فتح البارى قدمناه مفصلا مع أمثلة تطبيقيـة لكل جزئية من جزئياته وقد لخصه ابن حجر وأفصح عنه فى مقدمته حيث قال " فأسوق ان شاء الله الباب وحديثه أولا ثم أذكر وجه المناسبة بينهما ان كانت خفية .

ثم استخرج ثانيا ما يتعلق به غرض صحيح فى ذلك الحديث من الفوائد المتنية والأسانيدية من تتمات وزيادات وكشف غامض وتصريح بسماع ومتابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك منتزعا كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك . وثالثا أصل ما انقطع من معلقاتـه وموقوفاته وهنا تلتئم زوائد الفوائد وتنتظم شوارد الفرائد (1) . ورابعا أضبط ما يشكل من ما تقـدم اسماء وأوصافا مع ايضاح معانى الألفاظ اللغوية والتنبيه على النكت البيانيـة ونحو ذلك . خامسا أورد ما استفدته من كلام الأئمة مما استنبطوه من ذلك الخبر من الاحكام الفقهية والمواعظ الزهدية والآداب المرعية مقتصرا على الراجح من ذلك متحريا للواضح دون المستغلق فى تلك المسائل مع الاعتناء بالجمع بين ما ظاهره التعارض مع غيره والتنصيص على المنسوخ بناسخه والعام بمخصصه والمطلق بمقيده والمجمل بمبينه

(1) تقدم الحديث عن ذلك فى بحث خاص سابق فى أول الفصل الثانى من الباب الثالث ١٠١ فلا داعى لإعادته فرارا من التطويل

والظاهر بمؤوله والإشارة الى نكت من القواعد الأصولية ونبذ من فوائد العربية ونخب من الخلافات المذهبية بحسب ما اتصل بى من كلام الأئمة ووسع له فهمى من المقاصد المهمة وأراعى هذا الأسلوب فى كل باب ، فان تكرر المتن فى باب بعينه غير باب تقدم نبهت على حكمة التكرار من غير اعادة له الا أن يتغاير لفظه أو معناه فأنبه على الموضع المغاير خاصة فان تكرر فى باب آخر اقتصرت فيما بعد الأول على المناسبة شارحا لما لم يتقدم له ذكر منبها على الموضع الذى تقدم بسط القول فيه (١) ، فان كانت الدلالة لا تظهر فى الباب المتقدم الا على بعد غيرت هذا الاصطلاح بالاقتصار فى الأول على المناسبة وفى الثانى على سياق الأساليب المتعاقبة مراعيا فى جميعها مصلحة الاختصار دون الهذر والاكثار .

والله أسأل أن يمن على بالعون على اكماله بكرمه ومنّه وأن يهدينى لما اختلف فيه من الحق بأذنه وأن يجزل لى على الاشتغال بآثار نبيّه الثواب فى الدار الأخرى وأن يسبغ علىّ وعلى من طالعه أو قرأه أو كتبه النعم الوافرة تترى ... انه سميع مجيب "

وواضح من كلام ابن حجر أنه منهج مكين رصين ... وقد أبنّاه فيما تقدم بقدر الوسع ... .

فالى مبحث آخر

...

...

...

(١) تقدم الكلام عن ذلك عرضا فى أول الباب الرابع فلا داعى لتكراره فرارا من التطويل ولأن ذلك المواضع به هنا ~~وفى الفصل~~ الخ ص وفى الباب الثالث أيضا عند ذكر أسباب تكرار البخارى للحديث

الفصل الثالث

~~الفصل الرابع~~

(ملحقات بفتح البـــارى)

المبحث الأول وفيه مباحث

بين العينى وابن حجر

تمهيد

ولد الامام بدر الدين محمود العينى فى ١٧ من شهر رمضان سنة ٧٦٢ هـ بقريـــة عين تاب بجوار حلب ، ثم رحل الى القاهرة .

وتفقه على مذهب أبى حنيفه وتثقف بثقافات العصر وولى عدة مناصب (١) وله حظوة عند الملوك (٢) وله عدة مؤلفات أشهرها عقد الجمان فى التاريخ وعمدة القارى بشرح صحيح البخارى ... وتوفى فى ٤ من ذى الحجة سنة ٨٥٥ هـ (٣) — (٤)

ويفهم من هذا التاريخ أنه كان معاصرا لابن حجر ولذا فقد كانت بينهما بعـــض دعابات طريفة من ألطفها أن مئذنة جامع المؤيد قد مالت فى أواخر سنة ٨١٩ هـ — وهى سنة افتتاحه — وكادت تسقط فهدمت وبنيت من جديد وكان العينى شيخا للحديـــث بالجامع المذكور فقال ابن حجر فى ذلك بيتين وأنشدهما فى مجلس المؤيد ، وهما : —

لجامع مولانا المؤيد رونـــق .. منارته بالحسن تزهو وبالزيـــن

تقول وقد مالت عليهم تمهلوا .. فليس على حسنى أضر من العين

---

(١) الحسبة والقضاء والتدريس

(٢) يذكر الدكتور مصطفى زيادة فى كتابه المؤرخون فى مصر سبب ذلك فيقول وغدا تمكن العينى من اللغة التركية أكبر عون على ما تهيأ له من حظوة لدى سلاطين المماليـــك وعلى الأخص برسباى الذى لم يعرف من العربية الا القليل ، فكان العينى يجلس الى حضرته ساعات الليل ليفسر له غوامض الفقه والشريعة ويقرأ عليه حولياته التـــى كتبها بالعربية وهى كتاب عقد الجمان .

(٣) ودفن بمدرسته بجوار الأزهر وأصله من عين تاب فنسب اليها .

(٤)

فأراد بعض الجالسين أن يعبث بالعينى ، فقال ان ابن حجر يعرض بـك فغضب واستعان بالنواجي الشاعر فنظم بيتين فنسبهما العيني لنفسه ، وهما : —

منارة كعروس الحسن اذ جليت •• وهدمها بقضاء الله والقـدر
قالوا اصيبت بعين قلت ذا غلط •• ما آفة الهدم الا خسة الحجر (١)

كما ادى هذا التعاصر الى خلق منافسة شديدة بينهما (٢) وقديما قالوا "المعاصر لا يناصر"

ويتحدث الدكتور زيادة فى كتابه المؤرخون فى مصر فى خلال ترجمته للعينـى فيقول (٣) " يظهر أن العينى لم يشأ أن تكون علاقاته بمعاصريه من أهل العلم علـى شيء من الوفاق والتقدير المتبادل وربما كانت حظوته عند السلاطين من أسباب الجفوة الطويلة بينه وبين المقريزى وابن حجر وهذا فضلا عن أنه خلف الأول فى منصب الحسبة ولانه خلق بينه وبين الثانى جدلا عنيفا بشأن كتاب فتح البارى (٤) ولما ابتدأ الامام العينى فى شرح البخارى رام استعارة ما كمل من أجزاء فتح البارى من البرهان بن خضر — تلميذ المؤلف — فتوقف البرهان حتى يستأذن المؤلف فى ذلك فأذن له رغبة فـى عموم النفع (٥) وطالع العينى ما كمل من أجزاء فتح البارى أولا فأول عن طريق البرهـان بن خضر او عن طريق غيره — ونقل منه الكثير بتمامه وحرفه وقد أشار الى ذلك ابن حجـر حيث قال — فصار يستعير من بعض من كتب لنفسه من الطلبه فينقله الى شرحه من غـير أن ينسبه الى مخترعه " (٦) وكما نقل العينى من فتح البارى نراه أيضا تعقبه فـى مواضع وقد أجاب عنها ابن حجر على اننى سوف ارجئ الاشارة الى ما نقله العينـى بحروفه من فتح البارى الى مبحث يأتى بعد واقدم بين يدى القارئ نماذج من اعتراضات العينى • واجابة صاحب الفتح عليهما على ان ابن حجر تفرقة بين كلامه وكلام المعترض

---

(١) (٢)
(٣) محمد مصطفى زيادة المؤرخون فى مصر ص ٤٢ (٤) السخاوى الجواهر والدرر ص ١٢٨١
(٥) (٦) ابن حجر انتقاض الاعتراض ص ٦

قد رمز الى الفتح بحرف (ح) والى شرح العينى بحرف (ع)

النموذج الاول — باب الوضوء مرة مرة — قال ح قوله حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن زيد بن اسلم .. سفيان هو الثورى ومحمد بن يوسف هو الفريابى لا البيكندى قال ع جزمه بأن سفيان هو الثورى ومحمد بن يوسف هو الفريابى لا دليل عليه والاحتمال الذى ذكره الكرمانى قائم وهو أن محمد بن يوسف اما البيكندى واما الفريابى وزيد بن أسلم شيخ السفيانين قال ابن حجر ثم قال هذا المعترض سفيان اما ابن عيينة واما الثورى والراجح أنه الثورى لأن أبا نعيم صرح به . قال ابن حجر قد أثبت من دليل الشارح على أنه الثورى واذا ثبت أنه الثورى يلزم ان يكون محمد بن يوسف هو الفريابى لان البيكندى لم يدرك سفيان الثورى (١)

النموذج الثانى —

قول البخارى تابعه عبد الرحمن بن يوسف وأبو صالح قال ح هو عبد الله بن صالح كاتب الليث ووهم من زعم انه ابو صالح عبد الغفار بن داود الحرانى قال ع لم يتبين لى وجه فى الترجيح لان البخارى روى عن كليهما قلت وما على اذ لم يكن انتزاع له بان الذى جزمت به يترجح من اوجه احدها كثرة رواية عبد الله بن صالح عن الليث لأنه كان كاتبه واشتهر بملازمته بخلاف عبد الغفار .

ثانيها كثرة إيراد البخارى الروايات المعلقة عن عبد الله بن صالح عن الليث وأخرج عنه مواضع يسيرة موصولة . ثالثها . رواية عبد الله بن يوسف وجدت عند يعقوب بن سفيان فى هذا الحديث بعينه . أخرجه عنه مقرونا برواية الليث (٢)

---

(١) ص ١٣ انتقاض الاعتراض ابن حجر
(٢) ص ٢٤ ، ٢٥ انتقاض الاعتراض

النموذج الثالث :

باب مسح الرأس : ذكر البخاري — حديث عبد الله بن زيد في مسح الرأس كله قال ح في موضع الدلالة من الحديث أن لفظ الرأس في الآية مجمل محتمل أن يراد كله على أن الباء زائدة ومسح البعض على أنها تبعيضية فتبين بفعل النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد الأول قال ع لا اجمال في الآية وانما الإجمال في المقدار دون المحل فإن الرأس معلوم وفعله كان بيانا للاجمال الذي كان في المقدار وهذا القائل لو علم معنى الإجمال لما قال هذا (١)

النموذج الرابع :

باب المساجد على طريق المدينة ، قال ح عن أنس في قوله يعتمر وحين حج انما عبر في الأول بالمضارع وفي الحج بلفظ الماضي لأنه لم يحج الا مرة وتكررت منه العمرة والمضارع قد يفيد الاستمرار وتعقبه ع بأن الماضي أقوى في افادة الاستمرار من المضارع لأن الماضي قد مضى واستقر قلت من يستدل على الاستمرار بالاستقرار فماله ولتعقب كلام الناس . (٢)

النموذج الخامس :

باب فضل الطهر بالليل والنهار — قوله لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار الا صليت قال ح يؤخذ منه جواز صلاة الوضوء في الأوقات المكروهة لعموم قوله ساعة قال ع ليس عمومه بأولى من عموم النهي وقد قال ابن التين ليس فيه ما يقتضي الفورية وقال ع يجوز أن يكون اخبار النهي بعد قصة بلال قلت قد أخرج الترمذي وابن خزيمه في صحيحه

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣

الفور

من حديث بريدة ان بلالا قال ما أصابنى حدث قط الا توضأت عندها فهذا ظاهر الفور والتجويز الذى قال ع نسخ لا يثبت بالاحتمال . (١)

النموذج السادس :

كتاب الحج - باب الدعاء عند الجمرتين "

حدثنا محمد حدثنا عثمان بن عمر قال الجيانى اختلف فى محمد هذا فنسبه أبو على ابن السكن فقال محمد بن بشار قال ح وهو المعتمد وتردد الكلاباذى هل هو محمد ابن يسار او محمد بن المثنى وجزم غيره بأنه الذهلى قال ع لم أر أحدا جزم به - قلت عادته يقول المثبت مقدم على النافى ومن حفظ حجة يقدم على من لم يحفظ وقد ذكر هو أن الكلاباذى حكاه مجوزا فهل يمنع غيره أن يجزم به كما جزم ابن السكن وتردد الكلاباذى وهل الاعتراض بهذا الا من التعنت المنادى على قائله بالتحامل (٢)

النموذج السابع :

كتاب البيوع - باب حلب الابل على الماء - قال ح أى عند الماء . قال ع لم يذكر أحد من أهل اللغة العربية أن على تجىء بمعنى عند بل على هنا بمعنى الاستعلاء قلت قال كثير منهم أن حروف الجر تتناوب وحمل على الاستعلاء يقتضى أن يقع المحلوب فى الماء وليس ذلك مرادا (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٦
(٢) المصدر السابق ص ٣٦٥
(٣) المصدر السابق ص ٤٣٢

النموذج الثامن :

كتاب الوصايا - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : يسألونك عن اليتامى "

قوله وقال لنا سليمان حدثنا حماد عن أيوب عن نافع مارد ابن عمر على أحد وصية .

قال الكرماني إنما قال : قال . لأنه لم يذكره على سبيل النقل والتحمل قال ح بل هو موصول

لأن قال لنا بمعنى حدثنا والذى ذكره الكرماني إنما هو في قال المجردة عن الجار

والمجرور . وأما هذه الصيغة فجرت عادة البخاري بالإتيان بها في الموقوفات غالبا وفى

المتابعات نادرا ولم يصب من قال إنه لا يأتى بها الا فى المتراكمات (المذاكرات) وأبعد من قال (قال) أنها

للإجازة .

قال ع كيف هو موصول وليس فيه لفظ من الألفاظ التى تدل على التحدث والاخبار

والسماع ولعنعنه والذى قاله الكرماني هو الأظهر قلت هذا الكلام غاية فى المكابرة والدفع

بالصدور (١) بالصدر

النموذج التاسع :

- كتاب فضائل أصحاب النبى - باب أيام الجاهلية "

قال ح هى ما كان بين المولد النبوى والبعث وقال الكرماني هى مدة الفترة بين

عيسى ومحمد قال ع هذا هو الصواب قلت بل هو عين الخطأ لأنه يلزم أن الزمان الذى

أوله رفع عيسى كان يسمى زمان جاهلية وليس كذلك . (٢)

النموذج العاشر :

- كتاب التفسير - باب ماجاء فى خاتمة الكتاب قوله عن أبى سعيد بن المعلى قال

كنت أصلى فى المسجد فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم قال ح روى الواقدى هذا الحديث

عن محمد بن معاذ عن حبيب بن عبد الرحمن بهذا السند فزاد بعد أبى سعيد عن أبى بن

كعب والذى فى الصحيح أصح والواقدى شديد الضعف اذا انفرد فكيف اذا خالف وشيخه

(١) المصدر السابق ص ٤٦٥
(٢) المصدر السابق ص ٥١٨

مجهول وأظنه دخل عليه حديث في حديث . قال ع ذكر الحافظ المزي هذا ولم يتعرض له - يعني الواقدي - بشيء من ذلك . ومن العجائب أن الواقدي آخر مشايخ الإمام الشافعي ويحط عليه هذا الحط قلت قد قال الشافعي كتب الواقدي كذب نقله البيهقي وغيره ولاعجب في ذلك . كما أن جابر الجعفي من مشايخ أبي حنيفة وحديثه عنه في مسند حديثه الذي جمعه وغيره . وقد قال مع ذلك أبو حنيفة مالقيت فيمن لقيت أكذب من جابر ولعل هذا المعترض يظن أن مجرد رواية الراوي تعديل للمروي عنه . وهو رأي مردود نبه عليه أئمة الحديث في علوم الحديث ولو سكت لكان أستر .(١)

*

ولعل فيما سقناه من النماذج خير دليل على سلامة ما ذهب اليه ابن حجر وعلى وهن مخالفه وقد جمع ابن حجر تعقبات العيني وردوده عليها في كتاب مستقل سماه : " انتقاض الاعتراض " - وقد أخذ منه منيته قبل أن يحرره . على أنني لاحظت أن بعض اعتراضات العيني سكت عليها ابن حجر فلم يرد عليها ولعله لشدة ضعفها ولوهنها لم تستحق أن يقف عندها . مثال ذلك ماجاء في كتاب الصيام - باب السواك الرطب واليابس للصائم . فان ابن حجر بعد أن ذكر تعقب العيني عليه في مقصود الترجمة سكت عن الجواب على هذا التعقب والأمثلة على ذلك كثيرة منتشرة في كتابه (الانتقاض) ونادر جدا من التعقبات صادف صوابا فلم يسع ابن حجر الا التسليم للحق والاذعان له مثال ذلك ماجاء في كتاب البيوع - باب لا يذاب شحم الميتة - قال ابن حجر بعد أن ذكر تعقب العيني عليه قال وهذه مؤاخذة سهلة (٢) . فسلم بها ولم يستطع دفعها بحال وقد علق بعض الباحثين على ماوجهه العيني من نقد لابن حجر فقال " وكثير مما نقده به واهن أو زائف أو له مخارج وبعضه قوي قويم لا يمكن دفعه عن ابن حجر بأي سبيل " (٣) ولم يقف ابن حجر عند حد الرد على تعقبات العيني بل لوى عنان قلمه وأخذ يكشف أستاره ويظهر أسراره ويبين اختلاساته وسرقاته من " فتح الباري "

وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي ....

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥٠ ، ٥٥١ (٢) المصدر السابق ص ٢٩٠ ، ٢٦٦ ، ٤١٦
(٣) من مقدمة فتح الباري سيد احمد صقر .

المبحث الثاني
تمهيد

نصوص من "فتح البارى" فى كتاب "عمدة القارى"

إن من يطالع كتاب عمدة القارى يعجبه لأول وهلة حسن الترتيب والتنظيم وجمال التنسيق . فتراه مثلا يذكر مناسبة الحديث للترجمة ثم يتبعها بالكلام على الإسناد ولطائفه ويعقب ذلك بكل ما يستفاد من الحديث والكلام فى كل واحد من هذه الأغراض منظما مرتبا مستقلا على حدة - وهذا ما امتاز به العينى والحق يقال - على "فتح البارى" فانه لا يوجد فيه هذا الترتيب ولا ذلك التنظيم . لذا فإن الطالب اذا نظر فى عمدة القارى وأراد الوقوف على شئ مما يتعلق بأى حديث ظفر بمطلوبه . ونال بغيته دون أن يضل أو يمل . ابتدأ العينى تأليفه فى شهر رجب سنة ٨٢٠ هـ (١) واستهله بمقدمة مسهبة طويلة قال فيها " الحمد لله الذى أوضح وجوه معالم الدين وأفضح وجوه الشك بكشف النقاب عن وجه اليقين بالعلماء والمستنبطين الراسخين والفضلاء المحققين الشامخين . ثم ذكر بعد ذلك من تصدى لجمع السنة النبوية الى ان ذكر البخارى وكتابه الصحيح وانه أجل الكتب ومن أجل هذا اقبل عليه العلماء والاجلاء وعملوا عليه شروحا الى ان قال لكن لم يقع لى شرح يشفى العليل ويروى الغليل لأن منهم من طول فأمل ومنهم من قصر فأخل على انه لم يقصد واحد منهم على كثرتهم لشرحه كما هو المقصود ثم ذكر أن الذى دعاه الى شرح هذا الكتاب أمور احدها ان يعلم ان فى الزوايا خبايا ثانيا قطع حجة من يدعى الإنفراد فى هذا الباب . ثالثا إظهار ما منحه الله من العلوم . ثم أخذ فى ذم أهل زمانه جميعا . أما علماؤهم فلما عندهم من الحسد وأما رؤساؤهم فلما عندهم من الشح والتهاون بالعلم ثم وصف ما عزم عليه من شرح هذا الكتاب بأن يظهر صعابه ويبين معضلاته ويوضح مشكلاته بحيث ان الناظر فيه ان أراد المنقول ظفر بآماله وأن أراد المعقول فاز بكماله ثم قال بعد ذلك فجاء هذا الكتاب بحمد الله فوق ما فى الخواطر فائقا على سائر الشروح بكثرة الفوائد والنوادر " ... وهذه المقدمة على ما فيها

---

(١) انتقاض الاعتراض ص ٥ لابن حجر

من المبالغة - غير المستحبة - تدل دلالة واضحة على خلق صاحبها وما عنده من بطر وتنفج وتطاول على سابقيه ومعاصريه من العلماء لا يليق بخلق العلماء . وعلى أي حال فقد أكمل منه بعد المقدمة في السنة الأولى من شروعه في التأليف مجلد بن ثم أعرض عن الشرح جانبا وفترت همته لكن لم يلبث أن عاد بعد فترة طويلة فأكمل المجلد الثالث منه في جمادى الاولى سنة ٨٣٨ هـ . ويلاحظ انه " لم يعد الى الكتابة فيه حتى شارف فتح البارى الفراغ " (١) وهذا بالطبع يؤيد ما سنذكره بعد من أنه كان يعتمد على " فتح البارى " وينقل منه بحروفه دون تحفظ او تصرف . ثم أكمله وفرغ منه في شهر جمادى الأولى سنة ٨٤٧ هـ (٢) أتم العينى شرحه على نمط من الطول والاسهاب كان يتم له ما اراد بدونه وفي ذلك يقول السخاوى : " وطول البدر شرحه بما تجنبه شيخنا حذفه من سياق الحديث بتمامه وتراجم الرواة واستيفاء كلام اللغويين مما كان القصد يحصل بدونه " (٣) . وقد أشار الى ذلك ابن حجر أيضا حيث قال " وربما بالغ - اى العينى - في بسط الكلام على اعراب جملة او تصريف كلمة بما لا يستفاد منه كبير امر كقوله آية المنافق ثلاث ، فان قلت ما وزان كلمة آية قلت فيه اربعة أقوال فاستمر يسرد ورقة في النقل من أجل التصريف فلو التزم ذلك في جميع نظائره لكان كتابه أضعاف ما اقتصر عليه لكنه بحسب ما يجده مسطورا لغيره فيحب أن يتكثر به " (٤) وذكر مرة بين يدى ابن حجر أن بعض الفضلاء يرجح شرح العينى لما اشتمل عليه من ألوان البديع وغيره فقال بديهة هذا شيء نقله من شرح لركن الدين (٥)، وكنت وقفت عليه قبله ولكن تركت النقل منه لكونه لم يتم انما كتب منه قطعة يسيرة وخشيت من تعبي بعد فراغها في الاسترسال في هذا المهيع بخلاف البدر فانه بعدها لم يتكلم بكلمة واحدة في ذلك " وقد أبان ابن حجر بكلامه هذا أن ما في عمدة القارى من هذا اللون (٦) ليس للعينى فيه فضل

---

(١) انتقاض الاعتراض ص ٥
(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٥٤٨
(٣) الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣٤
(٤) انتقاض الاعتراض ص ٥٧
(٥) ركن الدين هو احمد بن محمد بن عبد المؤمن القريمى توفى سنة ٧٨٣ هـ .
(٦) الضوء اللامع ج ٨ ص ١٣٤ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٥٤٩

وانما هو من سطو على تراث غيره ونهب انتهبه دون تحفظ او استحياء لم يدع ابن حجر معاصره العينى تطمئن نفسه الى ما قدمه ولم يتركه يتطاول على معاصريه من العلماء ومن قبلهم ويفخر عليهم بكتابه " عمدة القارى " — كما هو واضح فى مقدمته — لذا نراه قد تعقبه فيه وتتبعه ايما تتبع فاوضح ما عظم من سرقاته من " فتح البارى " وستر ... وابان ما كبر من اختلاساته وعفا عن صغيرها وكشف للناس ان ما قدم العينى ليس من سعيه وانما هو من سطو على جهود غيره دون أن ينسبها اليهم ظنا منه أنها تغيب عنهم أو تخفى عليهم . يقول ابن حجر " وقد كنت قصدت أن أتبع ما اخذه وأبين كيفية أخذه ظنا أنه يقع له أحيانا فلما امعنت وجدت النظر فيه يطول جدا لانه لا يخلو فى جميعه عن شىء من ذلك اما فى الكلام على الاسناد واما فى الكلام فى المتن " وقد اثبت ابن حجر جانبا من هذه السرقات وتلك الاختلاسات فى صدر كتابه انتقاض الاعتراض كذلك اشار اليها السخاوى والشوكانى وصاحب كشف الظنون (١) . وسنقدم بين يدى القارىء فى الصفحات القليلة القادمة نماذج من هذه السرقات وأمثلة لتلك الاختلاسات ...

* *** *

النموذج الأول :

قال ابن حجر فى الكلام على حديث عائشة أن الحارث بن هشام سأل هكذا فى اكثر الروايات فيحتمل ان تكون عائشة حضرت ذلك وعلى ذلك اعتمد اصحاب الاطراف فاخرجوه فى مسند عائشة ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك بعد ويؤيد هذا الثانى ما اخرجه أحمد والبغوى من رواية عامر بن سالم عن هشام فقال عن أبيه عن عائشة عن الحارث قال سألت .. وقال العينى فى الكلام على هذا الحديث قال بعض الشارحين هذا الحديث أدخله الحفاظ فى مسند عائشة دون الحارث قلت أدخله الامام احمد فى سند الحارث بن هشام فانه رواه عن عامر بن سالم عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة عن الحارث بن هشام قال سألت — يقول الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا . فأخذ الكلام فبالغ حتى نسبه ... حتى قال قلت . أ . هـ (٢)

---

(١) الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٣٣ وكشف الظنون ج ١ ص ٥٤٩

(٢) انتقاض الاعتراض ص ٧

النموذج الثاني :

قول البخاري في حديث أبي سفيان مع هرقل قال أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم قال ابن حجر المراد بالأشراف أهل النخوة والتكبر منهم لا كل الاشراف حتى لا يدخل مثل ابي بكر وعمر وحمزه وغيرهم ممن اسلم قبل هذا السؤال . فأما رواية ابن اسحاق تبعه منا الضعفاء المساكين فأما ذوو الأنساب والشرف فما تبعه منهم احد فهذا محمول على الأغلب وقال العيني في ذلك قال بعضهم المراد بالاشراف اهل النخوة لاكل الاشراف قلت هذا على الغالب والا فقد سبق الى اتباعه اكابر واشراف منهم الصديق والفاروق وحمزه وغيرهم وهم أيضا كانوا اهل النخوه . قال ابن حجر تعليقا على هذا فاخذ كلام غيره فادعاه لنفسه ثم اعترض عليه لانه حذف من كلامه " والتكبر " وبهذه النقطة يتوقع اعتراضه لان ابا بكر ومن ذكر معه وان كانوا اشراف اهل نخوه لم يكونوا اهل تكبر فالتكبر محطة الفرق بين الفريقين ~~محتوفيا~~ حذفها ليعترض (1)

النموذج الثالث :

قال ابن حجر في الكلام على حديث عبد الله بن عمر في باب اطعام الطعام رواة هذا الاسناد كلهم ~~بصريون~~ مصريون والذي قبله كلهم كوفيون والذي بعده من طريقه كلهم بصريون فوقع له التسلسل في الابواب الثلاثة على الولاء وهو من اللطائف .. فاخذ العيني هذا الكلام بنصه ووضعه في مكان آخر غير المكان الذي استلبه منه فذكره عند الكلام على حديث انس " لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " وقال ان رواته كلهم بصريون فوقع هذا من الغرائب ان اسناد هذا كلهم بصريون واسناد الذي قبله كلهم كوفيون والذي قبله كلهم مصريون فوقع له التسلسل في الابواب الثلاثة على الولا . ا.هـ (2)

---

(1) المصدر السابق ص ٨ ، ٩

(2) المصدر السابق ص ١٧

النموذج الرابع :

قال العيني في شرح حديث البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة نزل على أجداده وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا " (١) وقوله ستة عشر كذا وقع الشك في رواية زهير هاهنا وفي الصلاة أيضا عن أبي نعيم وكذا في الترمذي عنه وفي رواية أسرائيل عند الترمذي أيضا ورواه أبو عوانه في صحيحه عن عمار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم فقال ستة عشر من غير شك وكذا المسلم من رواية أبي الأحوص والنسائي عن رواية أبي زكريا بن أبي زائدة وشريك ولأبي عوانه أيضا من رواية عمار بن رزيق كلهم عن ابن أسحاق وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف سبعة عشر وكذا للطبراني عن ابن عباس وهذا الكلام كله كلام ابن حجر في الفتح بحروفه (٢) ثم استرسل العيني في ذكر باقي ما يتعلق بالحديث في نفس الصفحة فقال " فان قلت كيف الجمع بين الروايتين قلت وجه الجمع ان من جزم بستة عشر أخذ من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا وألغى الأيام الزائدة فيه ومن جزم بسبعة عشر عدهما معا ومن شك تردد في ذلك وذلك ان القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف وكان التحويل في نصف رجب في السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس وجاءت فيه روايات أخر ففي سنن أبي داود ثمانية عشر شهرا وكذا في سنن ابن ماجة من طريق أبي بكر ابن عياش عن أبي اسحاق وأبو بكر سيء الحفظ وقد اضطرب فيه فعند ابن جرير في طريقه عنه رواية سبعة عشر شهرا وفي رواية تسعة عشر وخرجه بعضهم على قول محمد بن حبيب ان التحويل كان في نصف شعبان ، وهو الذي ذكره النووي في الروضة وأقره مع كونه رجح في شرحه رواية ستة عشر شهرا لكونها مجزوما بها عند مسلم ولا يستقيم ان يكون ذلك في شعبان وقد جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان في جمادى الآخرة .

وهذا الكلام بحروفه كلام ابن حجر في نفس الصفحة له .

---

(١) العيني ج ١ ص ٢٤٥
(٢) فتح الباري ج ١ ص ٨٩

النموذج الخامس :

في شرح حديث ابن عمر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله " قال العيني في بيان لطائف اسناده .. (١)

ومنها ان اسناد هذا الحديث غريب انفرد بروايته شعبة عن واقد قال ابن حبان وهو عن شعبة عزيز انفرد بروايته عنه الحرمي المذكور وعبد الملك بن الصباح وهو عزيز عن الحرمي انفرد به عنه المسندي وابراهيم بن محمد بن عرعرة ومن جهة ابراهيم اخرجه ابو عوانة وابن حبان والاسماعيلي وغيرهم وهو غريب عن عبد الملك تفرد به عنه أبو غسان مالك بن عبد الواحد شيخ مسلم فاتفق الشيخان على الحكم بصحته مع غرابته وهذا الكلام بعينه لابن حجر في فتح الباري (٢) ولو ذهبنا نحصي سرقاته لما امكننا ذلك فانها لكثرتها لا يحصيها حاصي ولا يستقصيها من يريد استقصاءها وأخيرا نود ان نسوق نصا لابن حجر تعقيبا على ما قدمناه من هذه الأمثلة ، يقول " واذا تأمل من ينصف هذه الامثلة عرف أن الرجل هذا عريض الدعوى بغير موجب متشبع بما لم يعطه منتهب لمخترعات غيره ينسبها الى نفسه من غير مراعاة عاتب عليه ولا طاعن ممن يقف على كلامه وكلام من اغار عليه ولو حلفت انه لم يخل باب من ابواب هذا الكتاب على غزارتها من شئ لبررت وشاهدي عدل على ذلك من كلامه نصا لا اقتصارا ثم قال وسيجزى الله كلا بفعله وما ربك بظلام للعبيد (٣)

---

(١) جـ ١ ص ١٧٩ عمدة القاري

(٢) جـ ١ ص ٧٠ ، ٧١ — فتح الباري .

(٣) انتقاض الاعتراض ص ١٩ ، ٢٠

ولم يكتف ابن حجر بأن أبان سرقاته من فتح البارى ، بل ألف كتابا بعنوان : " ذكر من أبهم من رجال البخارى فى عمدة القارى " جمع فيه كل اسماء الرجال الذين لم يستطع العينى الوقوف عليهم ومعرفتهم وهذا بالطبع يوضح قصر باع العينى فى ذلك . ويؤيد هذا أن العينى نفسه كان يرسل الى ابن حجر يسأله عن أشياء فى الرجال مرارا وتكرارا (١) وبالجمله فكتاب العينى — على ما فيه من سرقات وابهام فى الرجال — كتاب عظيم فيه حسن عام وتنظيم شامل — أ . هـ

❦

مسألة الغرانيق ورأى ابن حجر فيها وما ورد عليه من طعون :

روى فى هذه القصة أحاديث كثيرة تختلف طرقها وتتباين ألفاظها لكنها تتفق جميعها فى أن النبى صلى الله عليه وسلم عند ما بلغ منه أذى المشركين ما بلغ وأعرضوا عنه لعيبه أصنامهم وزرايته بآلهتهم ، أخذه الضجر من اعراضهم ، ولحرصه على اسلامهم تمنى الا ينزل عليه ما ينفرهم علّه يجد فى ذلك وسيلة الى استمالتهم .. واستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم اذا هو وهو فى نادى قومه وروى انه كان فى الصلاة ولا يزال هذا التمنى آخذا بنفسه فطفق يقرؤها فلما بلغ قوله " ومناة الثالثة الأخرى " ألقى الشيطان فى أمنيته التى تمناها بأن وسوس له فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط فمدح تلك الأصنام فمنهم من قال انه عند ما بلغ (ومناة الثالثة الأخرى) سها فقال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ومنهم من روى الغرانقة العلى ومنهم من روى ان شفاعتهن ترتجى ومنهم من قال انه قال وانها لمع الغرانيق .. الى غير ذلك من الروايات ، ففرح المشركون بذلك وعند ما سجد فى آخر السورة سجدوا معه جميعا وفى نهاية القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفطن لما ورد على لسانه وأن

---

(١) الجواهر ص ٣٩٠

جبريل جاءه بعد ذلك فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال ما جئتك بهاتين فحزن لذلك فأنزل الله عليه — تسلية له وتعزيه — " وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته الآيات " ... هذا ملخص قصة الفرانيق .

ويعقب ابن حجر على الروايات التى وردت فى هذه القصة فيقول .. وكلها سوى طريق سعيد بن جبير اما ضعيف أو منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين . احدهما ما اخرجه الطبرى من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب — الثانى ما اخرجه الطبرى ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد ابن سلمة عن داوود بن هند وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض .. ثم استطرد فقال . واذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الفرانيق العلى .. وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد فى القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء فى ذلك مسالك . فقيل جرى ذلك على لسانه حينما أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم ولا ولاية للشيطان عليه فى النوم وقيل ان الشيطان الجأه الى ان قال ذلك بغير اختياره . ورد ابن العربى بقوله تعالى حكاية عن الشيطان : " وماكان لى عليكم من سلطان . الآيه " قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقى لاحد قوة فى طاعة وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك فعلق ذلك بحفظه وقيل لعله قالها توبيخا للكفار قال عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام فى ذلك الوقت فى الصلاة جائزا والى ذلك نحا الباقلانى وقيل انه لما وصل الى قوله تعالى " ومناة الثالثة الأخرى " خشى المشركون أن يأتى بعدها بشىء يذم آلتهم به فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه على النبى صلى الله عليه وسلم على عادتهم فى قولهم " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون "

ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل على ذلك أو المراد بالشيطان شيطان الإنس • وقيل كان صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعها من دنا اليه فظنها من قوله واذاعها وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ماورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا ولذا استحسن ابن العربى هذا التأويل وقال ان هذه الآية نص فى مذهبنا فى براءة النبى صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه قال ومعنى قوله فى أمنيته أى فى تلاوته فأخبر تعالى فى هذه الآية أن سنته فى رسله اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص فى أن الشيطان زاده فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لا ان النبى صلى الله عليه وسلم قاله من عند نفسه (1) ••••

هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر بصدد هذه القصة (٢) أما القسطلانى فيعقب على هذه القصة بعد ان أطنب فى ذكر طرقها بقوله وقد طعن فيها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحاق وقد سئل عنها هى من وضع الزنادقة •

وقال البيهقى غير ثابتة نقلا ورواتها مطعونون وأطنب القاضى عياض فى الشفافى توهين أصلها فشفى وكفى اذ سد هذا الباب هو الصواب • ثم استرسل فقال وان كانت كثرة الطرق تدل على ان لها اصلا لاسيما وقد رواها الطبرى من طريقين مرسلين ورجالهما على شرط الصحيح وسقط طريق سعيد بن جبير وحينئذ فردها لا يتمشى على القواعد الحديثية بل ينبغى أن يحتج بهذه الثلاثة من يحتج بالمرسل ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض كما قرره شيخ الصنعة وامامها الحافظ ابن حجر واذا سلمنا ان لها اصلا وجب تأويلها وأحسن ما قيل فى ذلك ان الشيطان نطق بتلك الكلمات أثناء قراءة النبى صلى الله عليه وسلم عند سكتة من السكتات محاكيا نغمته فسمعها القريب منه فظنها من قوله وأشاعها وهناك آراء اخرى فى تأويلها لاداعى لذكرها خشية التطويل وكلها تدور حول الجمع بين صحة القصة وأن لها اصلا وبين عصمته صلى الله عليه وسلم من أن يتقول على الله كذبا (٣)

---

(١) فتح البارى ج ٨ كتاب التفسير
(٢) من تفسير سورة الحج
(٣) القسطلانى ج ٧ ص ٢٤٢ تفسير سورة الحج

على أن هناك رأيا للامام الشيخ محمد عبده ، وملخصه فساد هذه القصة ولا أساس لها ولا عبرة برأي يخالف ذلك ولا يعتد بوجودها فى كتب التفسير أو الحديث وان بلغ أربابها من الشهرة ما بلغوا ... ويستدل على ما ذهب اليه بأدلة أقواهـا أن القسطلانى قال فى شرح البخارى وقد طعن فى هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها هى من وضع الزنادقة ويعلق الشيخ محمد عبده على ذلك فيقول وكفى فى انكار حديث ان يقول فيه ابن اسحاق انه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحاق المعروفة عند المحدثين واننى لأتساءل لماذا ساق الامام هذا النص عن القسطلانى ولم يسق قوله بعد " وان كانت كثرة الطرق تدل على أن لها اصلا لاسيما وقد رواها الطبرى من طريقين " ثم قال بعد ذلك " وحينئذ فردها لا يتمشى مع القواعد الحديثية بل ينبغى أن يحتج بهذه الثلاثة من يحتج بالمرسل ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض كما قرره شيخ الصنعة وامامها الحافظ ابن حجر " ثم قال ايضا اذا سلمنا ان لها اصلا وجب تأويلها لعل الشيخ محمد عبده اقتصر فى نقله عن القسطلانى فيما ينفعه للاستدلال على ما ذهب اليه وترك الباقى لأنه حجة عليه وقال الامام بعد ذلك " ان ما ذكره ابن حجر بان القصة رويت موسلة من ثلاث طرق على شرط الصحيح وأنه يحتج بها الى آخره فقد ذهب عليه أن القصة من العقائد التى يطلب فيها اليقين فالحديث الذى يفيد خرقها ونقضها لا يقبل على أى وجه جاء " وقال بعد ذلك انما الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الأعمال وفروع الأحكام لا فى أصول العقائد ومعاقد الايمان وهى هفوة من ابن حجر يغفرها الله له والواقع الذى يفهم من كلام ابن حجر انه ما ذهب عليه — كما يقول الامام محمد عبده [1] ان القصة من العقائد التى يطلب فيها اليقين فقد لاحظ ذلك تمام الملاحظة يدلنا على ذلك أنه بعد أن تكلم عن طرق هذه القصة وأنها مراسيل يمكن الاحتجاج بها لاعتضاد بعضها ببعض قال " واذا تقرر ذلك تعين

---

(١) دروس فى القرآن الكريم ص ١٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله " ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد فى القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته صلى الله عليه وسلم فهل بعد هذا يصح أن يقال ان ابن حجر ذهب عليه أن العصمة من العقائد التى يطلب فيها اليقين وهل يليق بالامام ان يقول عن ابن حجر وقد ثبتت عنده صحة طرق هذه القصة حسب قواعد المحدثين أن يعتبر ذلك منه هفوة ويدعو له بالغفران ماذا كان يطلب الامام من ابن حجر أيترك صنعته التى اشتهر بها كمحدث حتى لا يزل فى نظره وهل كان الامام من الحفاظ المتقنين العارفين حتى يخطىء ابن حجر شيخ الصنعة وامامها كما يقول القسطلانى ؟

* * *

وأخيرا أود أن أقول ان ابن حجر جمع بين ثبوت القصة وصحة طرقها من جهة وتأول فيها بما يتفق وعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من جهة أخرى ولاغبار عليه فى ذلك لأنه راعى ولاحظ كلا الأمرين أ ه .

المبحث الرابع

استقلاله الفكرى وادلاؤه برأيه

عند ما يطالع القارئ — فتح البارى — بل عند ما يقرأ صفحات قليلة منه ، يشعر انه امام موسوعة علمية عظيمة جمعت فى طياتها وحوت بين دفتيها كثيرا من المعارف والعلوم مثل الفقه والحديث والتاريخ والتفسير واللغة والنحو والبلاغة والمواعظ والآداب الى غير ذلك • ولا شك أن ابن حجر قد أفاد كثيرا من مؤلفات السابقين فى مختلف مناحى العلم والمعرفة حتى استطاع ان يخرج كتابه على هذه الصورة الرائعة البارعة •

غير انه يلاحظ انه اثناء نقله عمن سبقه كان تارة يكتفى بعرض آرائهم واحيانا اخرى يتعقبها ويرد عليها ويناقشها ومن هنا ظهر استقلاله الفكرى وتبلور رأيه واتضحت شخصيته فى — فتح البارى — وأود أن أنبه الى أن ما وافقهم فيه فيما ذهبوا اليه من آراء وافكار ليس لذكر نماذج منه هنا عليهم فائدة ولا لتسجيله والتصريح به كبير غناء فالذى يهمنا فى هذا المبحث هو أن نورد طرفا من تعقباته لمن سبقه ومناقشته لآرائهم • فان ذلك هو الذى يظهر شخصيته واستقلاله الفكرى وعدم تقليده لمن سبقه ••••••

واليكم نماذج من ذلك فيما يلى : —

النموذج الاول :

ترجم البخارى " باب من الايمان ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه قال ابن حجر :

" قوله باب من الايمان قال الكرمانى قدم لفظ الايمان بخلاف اخواته — ما قبله — حيث قال اطعام الطعام من الايمان " اما للاهتمام بذكره واما للحصر كأنه قال المحبة المذكورة ليست الا من الايمان قال ابن حجر معقبا على ما ذكر الكرمانى وهو توجيه حسن الا أنه يرد عليه ان الذى بعده اليق بالاهتمام والحصر معا وهو قوله — باب حب الرسول من الايمان — فالظاهر انه أراد التنويع فى العبارة • أ•هـ (1)

---

(1) كتاب الايمان — باب من الايمان ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه •

النموذج الثاني:

روى البخاري حديث أبي هريرة ولفظه " كان النبي صلى الله عليه وسلم " بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الايمان فبينه له النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ما الاسلام قال الاسلام ان تعبد الله ولاتشرك به شيئا الى آخره - ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك - الحديث - قال الحافظ بن حجر قولـه " ان تعبد الله " قال النووي يحتمل ان يكون المراد بالعبادة معرفة الله فيكون عطـف الصلاة وغيرها عليها لادخالها في الاسلام ويحتمل ان يكون المراد بالعبادة الطاعـة مطلقا فيدخل فيها جميع الوظائف فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص على العام قال ابن حجر تعقيبا على ما ذكره النووي أما الاحتمال الأول فبعيد لأن المعرفـه من متعلقات الايمان وأما الاسلام فأعمال قولية وبدنية وقد عبر في حديث عمر الذي أشار مسلم - هنا بقوله ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فدل على ان العبادة في حديث الباب النطق بالشهادتين وبهذا يتبين رفع الاحتمال الثاني ولما عبر الراوي بالعبادة احتاج ان يوضحها بقوله ولاتشرك به شيئا ولم يحتج اليها في رواية عمر لأنهـا تستلزم ذلك وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكـن تراه فانه يراك) ساق ابن حجر آراء العلماء في فهم هذا وهو ان العبد يراقب ربـه حتى تغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه فان لم يصل الى هذه الدرجـه فليستحضر ان الله مطلع عليه يرى كل ما يعمل فليحسن عمله ويتقنه ثم استطرد فقال واقـدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم فقال فيه اشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لـم تكن اى فان لم تصر شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فانك حينئذ تراه . قال ابن حجر تعقيبا على ذلك وغفل قائل هذا للجهل بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الألف لانه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط ولم يرد فـي شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف ومن ادعى ان اثباتها في الفعل المجزوم علـى خلاف القياس فلا يصار اليه اذ لاضرورة هنا وايضا فلو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله فانـه يراك ضائعا لانه لاارتباط له بما قبله ومما يفسد تأويله رواية - كهمس . - عند مسلم - فـان

لفظها فانك ان لاتراه فانه يراك فسلط النفي على الرؤية لا على السكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور وفي رواية أبي فروة عند أبي داود والنسائي فان لم تره فانه يراك وكل هذا يبطل التأويل المتقدم ا•هـ (١)

النموذج الثالث :

روى البخاري حديث عروة عن المسور ومروان خرج النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فذكر الحديث وما تنخم الرسول صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده " ••

قال الحافظ ابن حجر " قوله فذكر الحديث " يعني وفيه وما تنخم ثم قال بعد ذلك وغفل الكرماني فظن قوله وما تنخم الى الخ حديث آخر فجوز ان يكون الراوي ساق الحديثين سوقا واحدا او يكون أمر التنخم وقع بالحديبية ا•هـ • قال ابن حجر تعليقا على ما ذكره الكرماني ولو راجع الموضع الذي ساقه فيه المصنف تاما لظهر له الصواب وقد ساقه المصنف في الشروط من طريق الزهري عن عروة بتمامه • أ• هـ (٢)

النموذج الرابع :

ترجم البخاري باب الاستنجاء بالماء ثم قال حدثنا ابو الوليد هشام بن عبد الملك قال حدثنا شعبة عن ابي معاذ واسمه عطاء ابن ابي ميمونه قال سمعت انس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته أجيء انا وغلام معنا اداوة ماء يعني يستنجي به — قال الحافظ ابن حجر قصد البخاري بهذه الترجمة الرد على من كرهه ونفى وقوعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم استرسل فقال ولمسلم عن طريق خالد الحذاء عن انس فخرج علينا وقد استنجى بالماء وقد بان من هذه الرواية ان حكاية الاستنجاء من

---

(١) كتاب الايمان — باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان •

(٢) كتاب الوضوء — باب البزاق والمخاط ونحوه في الثوب •

قول أنس راوى الحديث ففهم الرد على الاصيلى حيث تعقب على البخارى استدلاله بهذا الحديث على الاستنجاء بالماء قال لأن قوله يستنجى به ليس من قول أنس انما هو من قول ابى الوليد احد الرواة عن شعبة قال وقد رواه سليمان بن حرب عن شعبة فلم يذكرها قال فيحتمل ان يكون الماء لوضوئه قال ابن حجر معقبا على ما ذهب اليه الأصيلى وقد انتفى هذا الاحتمال بالرواية التى ذكرناها اى رواية مسلم _ ثم استطرد ابن حجر وقال وقع هنا فى نكت البدر الزركشى تصحيف فانه نسب التعقب المذكور (الى الاسماعيلى وانما هو للأصيلى وأقره فكأنه ارتضاه وليس بعوض كما اوضحناه وكذا نسبه الكرمانى الى ابن بطال وأقره عليه وابن بطال انما اخذه من الأصيلى . أ. هـ (١)

النموذج الخامس :

روى البخارى حديث سهل بن سعد ولفظه " كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه قال ابو حازم راوى الحديث عن سهل _ لا أعلمه إلا ينمى ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اسماعيل ينمى ذلك ولم يقل ينمى " قال الحافظ ابن حجر واسماعيل هذا هو ابن ابى أويس شيخ البخارى كما جزم به الحميدى فى الجمع _ اى الجمع بين الصحيحين ثم استرسل فقال وقرأت بخط مغلطاى، هو اسماعيل بن اسحاق القاضى قال ابن حجر تعقيبا على ما ذكره مغلطاى وكأنه رأى الحديث عند الجوزقى والبيهقى وغيرهما من روايته عن القعنبى فظن أنه المراد وليس كذلك لأن رواية اسماعيل بن اسحاق موافقة لرواية البخارى ولم يذكر أحد أن البخارى روى عنه وهو اصغر سنا من البخارى وأحدث سماعا وقد شاركه فى كثير من مشايخه البصريين القدماء (٢)

---

(١) كتاب الوضوء _ باب الاستنجاء بالماء .

(٢) كتاب الصلاة _ باب وضع اليد اليمنى على اليسرى فى الصلاة .

النموذج السادس :

ترجم البخاري — باب من اختار الغزو بعد البناء — وساق فيه حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ بن حجر يشير الى حديثه الآتي في الخمس من طريق همام عنه فقال غزا نبي من الأنبياء فقال لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة ولما يبن بها الحديث — ثم استدرس فقال قال الكرماني كأنه اكتفى بالاشارة الى هذا الحديث لأنه لم يكن على شرطه قال الحافظ بن حجر معقبا على قول الكرماني ولم يستحضر انه أورده موصولا في مكان آخر كما سيأتي قريبا والجواب الصحيح أنه جرى على عادته الغالبة في أنه لا يعيد الحديث الواحد اذا اتحد مخرجه في مكانين بصورته غالبا بل يتصرف فيه بالاختصار ونحوه في أحد الموضعين (١)

النموذج السابع :

روى البخاري حديث مسروق قال قلت لعائشة (رضي الله عنها) يا امتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار الآيه وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية . ومن حدثك أنه يعلم ما في الغد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك " الآيه . ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين اهـ قال الحافظ بن حجر " قوله يا امتاه " اصله يا أم والهاء للسكت فأضيف اليها الف الاستغاثة فأبدلت تاء وزيدت هاء والسكت بعد الألف ثم استرسل فقال وقع في كلام الخطابي اذا نادوا قالوا يا أمه عند السكت وعند الوصل يا أمت بالمثناه فاذا فتحوا للندبة قالوا يا أمتاه والهاء للسكت وتعقبه الكرماني بأن قول

---

(١) كتاب الجهاد باب من اختار الغزو بعد البناء —

مسروق بإثباته ليس للتوبه اذ ليس هو تفجعا عليها وهو كما قال ثم تابع ابن حجر كلامه فقال " قوله ثم قرأت لاتدركه الابصار " قال النووى تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا والمراد بالادراك فى الآية الاحاطة وذلك لا ينافى الرؤية ٠ ا ٠ هـ ٠

قال ابن حجر معقبا على ما ذكره النووى وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمه فانه قال فى كتاب التوحيد فى صحيحه النفى لا يوجب علما ولم تحك عائشة إن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرها انه لم ير ربه وانما تأولت الآيه ٠ ا ٠ هـ ٠ وهو عجيب فقد ثبت عنها ذلك فى صحيح مسلم الذى شرحه الشيخ فعنده من طريق داود ابن أبى هند عن الشعبى عن مسروق فى الطريق المذكورة قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت ألم يقل الله ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انما هو جبريل وأخرجه بن مردوية من طريق أخرى عن داود بهذا الإسناد فقالت انا أول من سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما رأيت جبريل منهبطا ٠ ا ٠ هـ ٠ (1)

النموذج الثامن :

قال البخارى " وعادت أم الورداء رجلا من أهل المسجد من الأنصار) قال الحافظ ابن حجر " قوله عادت أم الورداء رجلا ٠ الخ ٠٠) قال الكرمانى زوجتان كل منهما أم الورداء فالكبرى اسمها خيره صحابية والصغرى اسمها هجيمه تابعية والظاهر أن المراد هنا الكبرى قال ابن حجر معقبا على ما ذهب اليه الكرمانى وما ادعى انه الظاهر ليس كذلك بل هى الصغرى لأن الأثر المذكور أخرجه البخارى فى الأدب المفرد من طريق الحارث بن عبيد وهو شامى تابعى صغير لم يلحق أم الورداء الكبرى فإنها ماتت فى خلافة عثمان قبل موت

---

(1) كتاب التفسير - سورة النجم ٠

أبى الورداء • وقد تقدم فى الصلاة أن أم الورداء كانت تجلس فى الصلاة جلسة الرجل وكانت فقيهه وبينت هناك انها الصغرى والصغرى عاشت الى خلافة عبد الملك ابن مروان وماتت فى احدى وثمانين بعد الكبرى بنحو خمسين سنة • (١)

* * *

ولعله قد وضح مما قدمنا من النماذج سعة علم ابن حجر واستقلاله فى الرأى ومناقشته لآراء من سبقه من العلماء كما نلمح أيضا أنه كان فى مناقشته لهم مؤدبا معهم بما لا يتطاول عليهم بعلمه • وقد اشار الى ذلك تلميذه ومريده السخاوى حيث قال :

" وأما كثرة أدبه مع العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين ، فمشهور بحيث كان اذا تعقب النووى بشئ يقول وعجبت للشيخ من سعة علمه كيف قال كذا وما أشبه ذلك من العبارات • " (٢)

* * *

حرص ابن حجر على جمع طرق الحديث عند شرحه

ينبغى لنا قبل كل شئ أن نعرف ماهو طريق الحديث ، فنقول — طريق الحديث هو الرواة الذين تتوصل بهم وعن طريقهم الى الحديث (٣) • وقد حرص ابن حجر أشد الحرص عند شرحه لأحاديث الجامع الصحيح أن يذكر عند شرحه كل حديث طرقه المختلفه ويجمعها من سائر كتب السنة ومستخرجاتها ومسانيدها ومصنفاتها الى غير ذلك • وقد أشار الى ذلك ابن حجر حيث قال " وعادة الفتح أن يجمع الطرق فى الموضع الذى يشرحه فيه " (٤) كما اشار الى ذلك السخاوى — تلميذ ابن حجر — حيث

---

(١) كتاب المرضى — باب عيادة النساء الرجال
(٢) الجواهر والدرر ص ١٤ ، ١٤٢٢
(٣) مقدمة المطلانى ص ١٣ •
(٤) ابن حجر — انتقاض الاعتراض ص ٢٠٦

قال فى معرض الحديث عن فتح البارى " امتاز فتح البارى بجمع طرق الحديث التى ربما يتبين من بعضها ترجيح احد الاحتمالات شرحا واعرابا [1] ولا يليق بعالـــم منصف أن يقلل من قيمة هذا العمل العلمى الضخم الذى بذله ابن حجر فى هذا السبيل ويزعم ان لافائدة من وراء هذا ولا طائل تحته لأنا نقول ان جمع طرق الحديث يترتـــب عليه فوائد جمة وعظيمة لا يستغنى عنها اى مشتغل بعلم الحديث — منها معرفـــة العلل الخفية التى فيها غموض فان هذه العلل تظهر عند جمع الروايات ومقارنـــة بعضها ببعض ومنها انه يتضح عند جمع طرق الحديث ارسال ما يكون متصلا أو وقـــف ما يكون مرفوعا ومنها معرفة المبهمات فى الحديث فانه لا يتوصل الى معرفتها الا بجمع طرق الحديث غالبا سواء كانت فى السند أو فى المتن .

ومنها ان الحديث تارة يكون بلفظ التحديث وفى الرواية الاخرى بلفظ السماع أو العنعنة فيجمع بين صيغ التحمل للحديث فضلا عن ان فى الروايات ما يفسر ويوضح بعضه بعضا يضاف الى ذلك أن بعض الروايات قد يكون متصلا ومتمما لما ليس مذكـــورا فى الرواية الأخرى [2] أما وقد اتضحت قيمة عمل ابن حجر فى جمعه لطرق الحديث وظهـــور فضله وفائدته وثبت انه رائد شراح البخارى فى هذا الباب ، فلنأت بأمثلة ونمـــاذج تطبيقيـــة لذلك .... فنقـــول :

النموذج الأول :

روى البخارى حديث عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سـأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلـــى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قال ابن حجر فى شرح الحديث وجمع طرقه " قوله احيانا " حين يطلق على كثير الوقت وقليله والمراد هنا مجرد الوقت ثم

---

(1) الجواهر ص ٩١٩

(2) مقدمة العلامة ص ٣٢

استرسل فقال وللمصنف من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال كل ذلك يأتي الملك
اى كل ذلك حالتان فذكرهما وروى ابن سعد من طريق ابي سلمة الماجشون انه بلغه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبريل
فيلقيه على كما يلقى الرجل على الرجل فذاك ينفلت مني ويأتيني في بيتي مثل صوت
الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا ينفلت مني وهذا مرسل مع ثقة رجاله فان
صح فهو محمول على ماكان قبل نزول قوله تعالى " لاتحرك به لسانك " كما سيأتي فان
الملك قد تمثل رجلا في صور كثيرة ولم ينفلت منه ما أتاه به كما في قصة مجيئه في صورة
دحيه الكلبي وفي صورة أعرابي وكلها في الصحيح " قوله مثل صلصلة الجرس " في رواية مسلم
في مثل صلصلة الجرس " قوله فيكلمني ووقع في رواية البيهقي من طريق القعنبي عن مالك
فيعلمني بالعين بدل الكاف والظاهر انه تصحيف فقد وقع في الموطأ رواية القعنبي وكذا
للدار قطني في حديث مالك من طريق القعنبي وغيره " قوله فأعي ما يقول " زاد أبوعوانة
انه في صحيحه وهو أهونه عليه . (١)

النموذج الثاني :

روى البخاري حديث عبدالله بن دينار عن ابن عمر ولفظه " قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ماهي فوقع الناس
في شجر البوادي - قال عبدالله - ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا
ماهي يارسول الله قال النخلة " قال ابن حجر في شرح الحديث وجمع طرقه " قوله ان
من الشجر شجرة " زاد في رواية مجاهد عند المصنف في باب الفهم في العلم قال
صحبت ابن عمر الى المدينة فقال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بجمار فقال
ان من الشجر . الخ وله عنده في البيوع كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل جمارا
" قوله لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم "

---

(١) من كتاب بدء الوحي .

ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحارث بن اسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان مثل المسلم كمثل شجرة لاتسقط لها أنملة أتدرون ماهي قالوا لا . قال النخلة لاتسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة ووقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال حدثني مجاهد عن ابن عمر قال بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اتى بجمار فقال ان من الشجر لما بركته كبركة المسلم ووقع عند المصنف في التفسير من طريق نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا كذا ولا كذا ذكر النفي ثلاث مرات " قوله ووقع في نفسي " بين أبو عوانه في صحيحه من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي اتى به " قوله فاستحييت " زاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم فأردت أن اقول هي النخله فاذا أنا أصغر القوم وله في الأطعمه فاذا انا عاشر عشرة انا احدثهم وفي رواية نافع ورأيت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار عند المؤلف في باب الحياء في العلم قال عبد الله فحدثت أبي عما وقع في نفسي فقال لأن تكون قلتها احب الي ان يكون لي كذا وكذا زاد ابن حبان في صحيحه احسبه قال حمر النعم (١).

النموذج الثالث :

قال البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة قال قرأت على مالك عن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز اخر الصلاة يوما وهو بالعراق فدخل عليه عروة بن الزبير فاخبره ان المغيره بن شعبه اخر الصلاة يوما وهو بالعراق فدخل عليه ابو مسعود الانصاري . فقال : ما هذا يا مغيرة اليس قد علمت ان جبريل صلوات الله وسلامه عليه نزل فصلى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها خمس مرات ثم قال بهذا امرت فقال عمر لعروة اعلم ما تحدث به اذ ان جبريل اقام لرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) كتاب العلم — باب قول المحدث حدثنا واخبرنا .

وقوت الصلاة قال عروة كذلك كان بشير بن مسعود يحدث عن أبيه قال عروة ولقد حدثتني عائشة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل ان تظهر ا ٠ هـ ٠ قال ابن حجر في شرح الحديث وجمع طرقه " قوله اخر الصلاة يوما " ٠ وللمصنف في بدء الخلق من طريق الليث عن ابن شهاب بيان الصلاة المذكورة ولفظه أخر العصر شيئا وفي رواية عبد الرازق عن معمر ابن شهاب أخر الصلاة مرة يعني العصر وللطبراني من طريق ابي بكر بن حزم ان عروة حدث عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ امير المدينة في زمان الوليد بن عبد الملك وكان ذلك زمان يؤخرون فيه الصلاة ويعني بني امية) " قوله ان المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوما " بين عبد الرازق في روايته عن ابن جريج عن ابن شهاب ان الصلاة المذكورة العصر ايضا ولفظه أمسى المغيرة بن شعبة بصلاة العصر " قوله وهو بالعراق " في الموطأ رواية القعنبي عن مالك وهو بالكوفة وكذا اخرجه الاسماعيلي عن ابي خليفه عن القعنبي - والكوفة من جملة العراق - " قوله ان جبريل نزل " قوله ان جبريل نزل " بين ابن اسحاق في المغازي ان ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الأسراء قال ابن اسحاق حدثني عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير وقال عبد الرزاق عن ابن جريج قال نافع بن جبير وغيره لما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم من الليلة التي اسرى به لم يرعه الا جبريل . نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى فأمر فصيح باصحابه الصلاة جامعه فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فذكر الحديث ٠ أ ٠ هـ (١)

النموذج الرابع :

روى البخاري حديث سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الغدوة والروحة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها " قال ابن حجر في شرح الحديث وجمع طرقه " قوله الغدوة والروحة في سبيل الله أفضل " في رواية مسلم من طريق وكيع عن سفيان غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا ، في الطبراني من طريق أبي غسان عن أبي حازم

---

(١) كتاب مواقيت الصلاه وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ٠

لروحة بزيادة لام القسم . أ ه(١)

النموذج الخامس :

روى البخاري حديث أنس بن مالك ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله " قال بن حجر في شرح الحديث وجمع طرقه " قوله لن يبرح الناس يتساءلون " وعند مسلم في رواية عروة عن أبي هريرة لا يزال الناس يتساءلون " قوله هذا الله خالق كل شيء " في رواية عروة هذا خلق الله الخلق ولمسلم أيضا وهو في رواية البخاري في بدء الخلق من رواية عروة أيضا يأتي الشيطان العبد أو أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك وفي لفظ مسلم من خلق السماء من خلق الأرض فيقول الله ولأحمد والطبراني من حديث خزيمة بن ثابت مثله ولمسلم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه/ حتى يقولوا هذا الله خلقنا وله في رواية يزيد بن الأصم عنه حتى يقولوا الله خلق كل شيء وفي رواية المختار بن فلفل عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان امتك لا تزال تقول كذا وكذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق وللبزار من وجه آخر عن أبي هريرة لا يزال الناس يقولون كان الله قبل كل شيء فمن كان قبله " قوله فمن خلق الله " في رواية بدء الخلق من خلق ربك وزاد فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته وفي لفظ لمسلم فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله وزاد في اخرى ورسله ولأبي داوود والنسائي من زيادة فقولوا الله أحد الله الصمد (السورة) ثم ليتفل عن يساره ثم ليستعذ ولأحمد من حديث عائشة : فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه ولمسلم في رواية أبي سلمة عن أبي هريرة نحو الأول وزاد فبينما أنا في المسجد اذ جاءني ناس من الأعراب فذكروا سؤالهم عن ذلك وأنه رماهم بالحصى وقال صدق خليلي . وفي رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة صدق الله ورسوله وقد ورد بزيادة من حديث أبي هريرة

(١) كتاب الجهاد باب الغدوة والروحة في سبيل الله .

بلفظ لا يزال الشيطان يأتى احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله • فاذا وجد ذلك احدكم فليقل آمنت بالله • وفى رواية ذاك صريح الايمان • ولعل هذا هو الذى اراد الصحابى فيما اخرجه ابو داود من رواية سهيل بن ابى صالح عن ابيه عن ابى هريرة قال جاءناس الى النبى صلى الله عليه وسلم من اصحابه فقالوا يارسول الله انا نجد فى أنفسنا الشئ يعظم ان نتكلم به ما نحب أن لنا الدنيا وأنا تكلمنا به فقال أو قد وجدتموه ذاك صريح الايمان • ولأبن أبى شيبة من حديث بن عباس جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى احدث نفسى بالأمر لأن أكون حممة أحب الى من أن أتكلم به فقال الحمد لله الذى رد أمره الى الوسوسة أ•هـ (١)

∴

وبعد ••• فهذا قليل من كثير ، والا فمن يطالع فتح البارى يجد أن ابن حجر قد سار على هذا النهج ولم يحد عنه فى جميع اجزاء كتابه على أننى اقتصرت عند شرح الحديث على الجزئيات التى رأيت ابن حجر قد جمع فيها طرق الحديث ولم استوعبه بتمامه خشية التطويل ، ولأنه لا يتعلق بهذا المبحث من جهة أخرى ••••• أ•هـ •

∴

وبعد •••

فهذا هو " فتح البارى " شكلا وموضوعا بما له وما عليه •• فما قيمته العلمية اذن ؟ •••

وهذا ما سنذكره فى المبحث القادم •••

---

(١) كتاب الاعتصام — باب ما يكره من كثرة السؤال •

المبحث السادس

قيمة فتح الباري ومكانتـــــه العلميـــــة

لعله قد تبين — من أمهات الكتب ، ومن كثرة المصادر التي نقل عنها ابن حجر ، ومن منهجه — أنه سجل جامع — أمين — لكل ما روى من آراء واقوال في شرح صحيح البخاري ومناقشتها ... وهو الى جانب ذلك حافل بآراء في اللغة والفقه والتاريخ والنحو والتوحيد والبلاغة والأصول والحديث والتفسير والمواعظ والآداب ... ينهض باسعاف الباحثين يردون حياضه ويتزودون من أزواده اذا ارادوا التعرف الى رأى أو الوقوف على حقيقة . لهذا عرف العلماء قدره وعلموا مكانته ، وقد انتشر شرقا وغربا وقرأه كل من كان في عصره من العلماء وتهافتوا عليه .. والكل فضله وقدمه وأثنوا عليه خيرا .. قال العلامة " شرف الدين يعقوب بن جلال الحنفي عن فتح الباري " وأما : " شرحه على الجامع الصحيح فمن أحسن الشروح وصفا وأكثرها جمعا .. ولقد طالعته فظفرت منه بفوائد حسنة ووجدته احسن في ترتيبه واجاد في تهذيبه وابرز فيه معاني لطيفة وفوائد حديثية شريفة ، جمع فيه فأوعى ودعى المعاني الأبية فقالت سمعا وطوعا .. فغدوت أسير في رياض مونقه واغصان مورقة . ولا ينكر ذلك عليه (١) .

وقال العلامة المحب أبو الفضل ابن الشحنة الحنفي عن شرح ابن حجر " الف في فنون الحديث كتبا عجيبة اعظمها شرح البخاري وعندي أنه لم يشرح البخاري أحد قبله فانه اتى فيه بالعجائب والغرائب واوضحه غاية الا يضاح واجاب عن غالب الاعتراضات ووجه كثيرا مما عجز غيره عن توجيهه (٢) .

وقال المناوى عن فتح البارى " انه لم يصنف مثله ولا على منواله " (٣)

ولما نقل عن ابن خلدون قوله : " شرح البخاري دين على هذه الأمة " قال بعض العلماء ذلك الدين أدى بشرح الحافظ بن حجر (٤) وقيل لمحمد بن على الشوكاني

---

(١) الجواهر ص ٣١٦
(٢) بهجة الناظرين ص ٤٦٥
(٢) الجواهر ص ٣٦٢
(٤) قهر النهارى ج ٢ ص ٢٣٨

محدث اليمن أما تشرح الجامع الصحيح للبخاري قال " لا هجرة بعد الفتح " (١) .
وقال الشيخ القصار. في فتح الباري " ما الف في ملة الاسلام شرح على جميع المصنفات في علم مثل هذا الشرح " (٢) . وقال السيوطي " لم يؤلف أحد في الأولين و لا في الآخرين مثله " ...

ومع هذا التقدير والمدح والثناء من العلماء على فتح الباري ، فقد كان ابن حجر متواضعا يرى انه لم يقدم شيئا يستحق هذا الذكر والثناء يشهد بذلك أن أحد الطلبة قال له ياسيدى " ان لك بفتح الباري المنة على البخاري " فقال له " قصمت ظهري " (٣) وانما قلنا ان ذلك منه كان على سبيل التواضع لأنه نسب اليه أنه قال في معرض المفاخرة والمباهاة :

شرحي الذي سار في الآفاق سائره .. ونال من ورده الداني مع القاصي
وانت شرحك في البيت اختليت به .. مثل الذنوب التي تحلو ايها العاصي (٤)

وهكذا يشيد بفتح الباري كل من أرخوا لابن حجر من تلاميذه ومن غيرهم على تعاقب الاعصار وتباعد الأزمان وتعدد الأمصار . أ.هـ . ...



---

(١) المصدر السابق نفس الصحيفه .
(٢) المصدر السابق نفس الصحيفه .
(٣) الجواهر ١٣٨٧
(٤) الجواهر ص ٩٢٢ يعرض في ذلك بمعاصره بدر الدين العيني وشرحه عمدة القاري.

الخاتمة

لقد عايشت ابن حجر ورافقته بضع سنين طوفت اثنائها فى جميع جوانب بيئته وحياته وما يتصل بها من نشأته وتربيته وطلبه العلم ورحلاته الى غير ذلك .. وتعرفت خلالها على ما بذله من جهود علمية ضخمة كانت نتيجتها وثمرتها تلك المؤلفات العلمية التى قل أن يجود الزمان بمثلها والتى تركز معظمها حول السّنة شرحا ورجالا ومصطلحا مما كان له أكبر الأثر فى الحياة العلمية عموما والسنة خصوصا . ووقفت خلالها ايضا على جهوده التى بذلها فى توضيح مزايا الجامع الصحيح والدفاع عنه وعلى كتابه "فتح البارى بشرح البخارى" ومنهجه فيه ... وكان من نتيجة هذه المعايشة وتلك المرافقة وهذه الدراسة التى استغرقت امدا بعيدا وطويلا ، أن توصلت الى النتائج التالية :-

ان موطن اسرة ابن حجر عسقلان وان الاسرة رحلت عنها فيما بين سنتى ٥٧٣ هـ ، ٥٨٧ هـ تقريبا وناقشت الرأى القائل بأن موطن الأسرة على حدود بلاد الجريد بين تونس والجزائر وأثبت أن صاحب هذا الرأى قد اشتبه عليه الأمر فخلط بين قبيلة .. حجر - وحجر - وحجر - وأن قبيلة حجر - هى التى كانت تعيش فى هذه البلاد .

واوضحت ايضا ان اصل ابن حجر كنانى عربى وأثبت ذلك بالأدلة وناقشت الرأى القائل بأنه ينتسب الى اصل كردى وفندت أدلته التى من بينها ان لفظة "كنانى" لم ترد فى كلام ابن حجر الا مرتين وأثبت انها وردت فى كلامه اربع مرات فأكثر مما يبين أن صاحب هذا الرأى لم يكن دقيقا حينما قال ذلك . وكذلك فندت قوله أن كلمة

ــ احمد يلي ــ التي استند اليها واستدل بها على انه كردى وردت بخط ابن حجر فى كتابه " صفــة النبى " فأثبت خطأه فى هذه القضية وأثبت أن ابن حجر لم يكـن له كتاب اصلا بهذا الاسم وانما الكتاب من تأليف أبى على محمد بن هارون وقد اعتـرف بذلك ابن حجر نفسه فى كتابه المجمع المؤسس حينما ترجم لفاطمة بنت محمد بـــن عبد الهادى ، فقال : " وقرأت عليها كتاب صفة النبى لأبى على محمد بن هـــارون ابن شعيب " .

وحاولت أيضا أن أعطى صورة ــ ولو تقريبيــه ــ لأسرة ابن حجر خلال اقامتهــا بمصر حيث ان المراجع لم تكن كافيه ولا وافيه فى تصوير هذه الحياة ولذا فقــد اعتمـدت على ما كتب عنها من نتف وشذرات مبعثرة فى ثنايا الكتب وضممت بعضها الى بعـض حتى كونت هذه الصورة التقريبيـــة .

واوضحت كذلك اختلاف المؤرخــين فى تحديد اليوم الذى ولــد فيــه ابن حجر ورجحت احد الرأيين ــ بعد أن برهنت على ما ذهبت اليه بالأدلة ــ وكذلـــك أثبت أن أمــه قــد ماتت وهو لا يزال فى سن مبكر وأقمت الدليل على ما ذهبت اليه . كما أوضحت أن وصية الخروبى الذى عهد اليه والده به قد أحسن تربيته ولم يأل جهدا فى ذلك وأن تربيتــه كان لها أكبــر الأثر فى تقويم أخلا قــه وفى حياته العلميـــــة بعد ذلك .

وتحدثت ايضا عن وصــى ابن حجر الثانى الشيخ شمس الدين بن القطـــان وأظهرت أنه كان عنده شىء من الأهمال والتقصير فى الاشراف عليه على الرغم من أنـــه قد أضحى استاذه فى المستقبل . وخلال الحديث على اشتغال ابن حجر بفـــن الأدب ضعفت الرأى القائل بانه حيث نشأ على معاناة الشعر والاسترسال فـــى

المديح والهجاء ، كان يتطلب مواضع العلل من الرجال ويحط من اقدارهم متى اراد ذلك واقمت الحجج الدامغة والبراهين الساطعة على ما ذهبت اليه .

وحينما تحدثت عن رحلاته اوضحت انه قد رحل الى بلاد متعددة ، وكان من نتيجة هذه الرحلات ان انتهت اليه معرفة فن الحديث وصار امام الناس فيه بعد وفاة العراقى وابان الحديث على توليته منصب القضاء ناقشت الرأى الذى يتهمه ببذل المال من اجل البقاء فى المنصب ، واقمت البراهين على بعد هذا الراى عن الحقيقة ومجافاته للصواب .. واثبت ان الرجل كان منزها عن ذلك تماما ، وخلال الحديث عن مهاراته اثبت ان من بينها سرعة القراءة .. وناقشت الراى القائل بان هذا يؤدى به الى الغلط ويفوت عليه الضبط ويوقعه فى الخلط واثبت بعد هذا الرأى عن الصواب بالادلة والبراهين .. واوضحت ايضا ان من بينها سرعة الكتابة وضعفت الرأى القائل بانه كان ردئ الخط واقمت الدليل على خلافه وابان الحديث على موقفه من الصوفيه ناقشت الحادثة التى وقعت بينه وبين سيدى احمد بن فرغل واقمت من البراهين والادلة ما يجعلنا نشك فيها ولا نجزم بصحتها والى ان نقول انها مدسوسة على اصحاب الطبقات .. وعند الحديث على عقيدته ناقشت الراى القائل بانه كان من اتباع بن تيميه .. واقمت الدليل على ما ذهبت اليه ..

وحينما تعرضت لجهود ابن حجر فى صحيح البخارى ، اثبت ان ابن حجر فاته قليل من وصل تعاليق البخارى وذكرت نماذج لذلك ثم اوضحت ان ابن حجر لم يدع الاستيعاب لكل المعلقات ..

وخلال الحديث على تحرير ابن حجر لعدد احاديث الجامع الصحيح ، اثبت أن الخلاف بينه وبين العلماء قبله فى عدد أحاديث الجامع ، انما هو خلاف لفظى ولو نظر كل منهم الى ما نظر اليه الآخر لم يكن بينهما خلاف اصلا ..

وحينما تحدثت عن فتح البارى من الناحية الشكلية ، حاولت ان اثبت ان هذه التسمية - " فتح البارى " - من مبتكرات ابن حجر وليس مسبوقا اليها ولا مقلدا فيها لاحد .. كما اثبت ان السجع الواضح فى هذا الاسم ، انما هو تمشيا مع الاسلوب الادبى الذى كان يحرص عليه مؤلفوا ذلك العصر ..

وعند الحديث على المسلك الذى كان يسير عليه ابن حجر فى شرح الاحاديث المكررة ، بينت انه كان يترك هذا المسلك احيانا ويحيد عنه .. وضربت لذلك نموذجا ..

وخلال الحديث على الحوالات ، حاولت جهدى أن اعثر على حوالة واحدة وهم فيها ابن حجر فلم يتيسر لى ذلك ..

وحينما تحدثت عن منهج ابن حجر فى كتابه " فتح البارى " ، تبين لى عند الكلام على مناسبة الحديث للترجمة ان ابن حجر لم يكن منظما ولا منسقا فى الحديث عنها : فتارة يذكرها اولا وتارة يذكرها آخرا واحيانا يذكرها على صورة سؤال وجواب عنه .. كما ان بعضها كان فيه غموض بالنسبة له وضربت لكل ذلك امثلة تطبيقية ..

واثبت كذلك ان ابن حجر لم يتوسع فى الحديث على الاسناد ولطائفه بل اقتصر على ما يعتقده كافيا معتمدا على الكتب المؤلفه فى ذلك .. كما لم يتوسع فى النحو

والاعراب والاسرار والبلاغية .. بل اقتصر على ما يؤدى الغرض .. اما عند الحديث على ذكر القواعد الأصولية ، فقد اثبت كذلك انه تعرض للكثير منها ، مثل العام والخاص والمطلق والمقيد الى غير ذلك .. ولاحظت ايضا انه عند ذكر الاحكام الفقهية قد توسع فيها ..... وحينما تحدثت عن المتن بينت ان ابن حجر اوضحه بما يؤدى المراد ... أما فى معرض الحديث عن المواعظ والآداب فقد اوضحت ان ابن حجر أسهب فى هذه الناحية بمالا مزيد وراءه وضربت لكل ما سبق نماذج .. وخلال الحديث على مسألة الغرانيق ناقشت الرأى المعارض لرأى ابن حجر واثبت انه رأى مرجوح وان صاحبه تقول على ابن حجر الاقاويل بغير حق ..

واثبت كذلك استقلال ابن حجر الفكرى عمن سبقه ، وذكرت امثلة لمناقشاته لبعض من سبقه من العلماء واثبت ايضا ان شرح ابن حجر يمتاز عما عداه من الشروح بجمع طرق الحديث ولا يليق بعالم منصف ان يقلل من قيمة هذا العمل العلمى العظيم لأن له فوائد جمة لا يستغنى عنها من اشتغل بعلم الحديث ...

واخيرا ختمت هذا البحث المتواضع بأن أثبت قيمة "فتح البارى" ومكانته العلمية وأوردت طرفا من اقوال العلماء فى هذا الصدد ...

*

وارجو من الله تبارك وتعالى ان ينال هذا البحث القبول .. وان ينفع به انه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على سيدنا محمد اشرف النبيين وخاتم المرسلين ...

جميل احمد الشرادى

المصادر

أما عن مصادر البحث فمنها المخطوط والمطبوع وسأفرد لكل نوع قائمة خاصة :

المصادر المخطوطة :

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	اتحاف الرواه بمسلسل القضاة	شهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بابن الشلبى
٢	انباء الغمر بأنباء العمر	ابن حجر العسقلانى
٣	انتقاض الاعتراض	ابن حجر العسقلانى
٤	الألقاب والكنى والنسبة	محمد عبد الرحمن السخاوى
٥	بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين	الغزى
٦	تحفة المجتهدين فى أسماء المجددين	جلال الدين السيوطى
٧	تغليق التعليق	ابن حجر العسقلانى
٨	جمان الدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر	ابن خليل الدمشقى
٩	الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر	محمد عبد الرحمن السخاوى
١١	ذيل رفع الاصر عن قضاة مصر	محمد عبد الرحمن السخاوى
١١	الذيل على التقييد لابن نقطه	التقى الفاسى
١٢	طبقات الشافعيه	أحمد بن محمد الأسدى
١٣	عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران	البرهان البقاعى
١٤	القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية	الشمس ابن طولون
١٥	الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفيه	عبد الرؤف المناوى
١٦	الكواكب السبع السياره ديوان شعر	ابن حجر العسقلانى
١٧	المحصول فى الأصول	فخر الدين الرازى
١٨	المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس	ابن حجر
١٩	المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى	ابن تغرى بردى
٢٠	اليواقيت والدرر فى شرح نخبة الفكر	المناوى

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	طبع
١	التبر المسبوك بذيل السلوك	السخاوى	مطبعة بولاق
٢	لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ	ابن فهد المكى تحقيق زاهد الكوثرى .	مطبعة القدسى
٣	ذيل طبقات الحفاظ	جلال الدين السيوطى	مطبعة التوفيق بدمشق
٤	حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهره	جلال الدين السيوطى	« دار احياء الكتب العربيه
٥	رفع الاصر عن قضاة مصر	ابن حجر تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد	« الأميريه
٦	الضوء اللامع فى أخبار القرن التاسع	السخاوى	« القدسى
٧	مفتاح السعاده ومصباح السياده	طاشكبرى زاده تحقيق كامل بكرى .	« دار الكتب الحديثه
٨	المؤرخون فى مصر	محمد مصطفى زياده	« لجنة التأليف والترجمه والنشر .
٩	كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون	حاجى خليفه	مطبعة وكالة المعارف
١٠	تقييد العلم ...	الخطيب البغدادى تحقيق يوسف العش	مطبعة دمشق
١١	مقدمة علوم الحديث	ابن الصلاح	« الهند
١٢	شروط الأئمة الخمسه ...	أبو بكر الحازمى تحقيق زاهد الكوثرى	« الترقى
١٣	الأدب المفرد	البخارى	« استنبول
١٤	طبقات الشافعيه الكبرى		« الحلبى
١٥	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى	« السعاده
١٦	شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلى	« القدسى
١٧	تهذيب التهذيب	ابن حجر	« مجلس دائرة المعارف النظاميين الهند
١٨	التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح	بدر الدين الزركشى	المطبعة المصريه
١٩	بدائع الزهور فى وقائع الدهور	ابن أياس	« الأميريه
٢٠	السلوك فى معرفة دول الملوك	المقريزى تحقيق محمد مصطفى زياده	« دار الكتب

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	طبع
٢١	تاريخ الاسلام السياسى والدينى	حسن ابراهيم حسن	مطبعة النهضه المصريه
٢٢	الأدب العامى فى العصر المملوكى	أحمد صادق الجمال	مطبعة الدار القوميه
٢٣	تاريخ المماليك البحريه	على ابراهيم حسن	« النهضه المصريه
٢٤	تاريخ دولة المماليك فى مصر	سير وليم موير ترجمة محمود عابدين	« المعارف
٢٥	صور ومعالم من عصر المماليك	نظير حسان البغدادى	« النهضه العربيه
٢٦	صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى	عبد الوهاب حموده	« الدار المصريه للتأليف والترجمه والنشر
٢٧	عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى	محمود رزق سليم	مطبعة التوكل
٢٨	تاريخ مصر الاجتماعى	أحمد زكى بدوى	« صلاح الدين الكبرى
٢٩	البدايه والنهايه	ابن كثير	مطبعة السعاده
٣٠	المجتمع المصرى	سعيد عاشور	« النهضه العربيه
٣١	الحديث والمحدثون	محمد محمد أبو زهو	« مصر شركه مساهمه مصريه
٣٢	التقريب والتيسير	النووى	المطبعه المصريه
٣٣	رسالة شرح تراجم أبواب البخارى	شاه الدهلوى	« دائرة المعارف النظاميه
٣٤	هدى السارى مقدمة فتح البارى	ابن حجر	مطبعة تصوير الأهرام
٣٥	فتح البارى شرح صحيح البخارى	ابن حجر	الحلبى « البهيه الخيريه
٣٦	دروس فى القرآن الكريم	الشيخ محمد عبده	مطبعة دار الهلال
٣٧	المدخل الى الفقه الاسلامى	محمد سلام مدكور	« النهضه العربيه
٣٨	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار	المقريزى	« الشعب
٣٩	صبح الأعشى	القلقشندى	« دار الكتب المصريه

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	طبع
٤٠	لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار	الشعرانى	مطبعة الدرقية
٤١	« الطبقات الكبرى »		
٤١	مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	« الأزهرية » لجنة البيان العربى
٤٢	التعريف بابن خلدون	ابن خلدون	الأميرية
٤٣	الناصر محمد بن قلاوون	محمد عبد العزيز مرزوق	لجنة التأليف والترجمة والنشر
٤٤	فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبى	الأميرية
٤٥	الحركة الفكرية	عبد اللطيف حمزه	دار الفكر العربى
٤٦	النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة	ابن تغرى بردى	دار الكتب المصرية
٤٧	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة	ابن حجر تحقيق محمد سيد جاد الحق	دار الكتب الحديثة
٤٨	تاريخ آداب اللغة العربية	جورجى زيدان	دار الهلال
٤٩	هدية المغيث فى أمراء المؤمنين فى الحديث	محمد بن حبيب الله الشنقيطى	مطبعة حجازى
٥٠	فهرس الفهارس	الكتانى	المطبعة الجديدة بالمغرب
٥١	مختصر جامع بيان العلم وفضله	أحمد بن عمر البيرونى	« الموسوعات القاهرة
٥٢	القرطبى ومنهجه فى التفسير	رسالة الزميل القصبى زلط	
٥٣	الحافظ الذهبى المحدث	رسالة الزميل شوقى نشر	
٥٤	سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب	السويدى	طبع بومباى
٥٥	المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث	الأزدى	طبع الهند
٥٦	وفيات الأعيان	ابن خلكان تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد	النهضة المصرية
٥٧	الطالع السعيد فى أسماء نجباء الصعيد الأدفوى	الأدفوى تحقيق سعد محمد حسن	مطبعة الجمالية
٥٨	نزهة الألباء فى طبقات اللغويين والأدباء	ابن الأنبارى	طبع سنة ١٢٩٤
٥٩	مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين	أبو الحسن الأشعرى	مطبعة الاستانه
٦٠	صحيح البخارى		مطبعة الشعب

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	طابع
١			
٦١	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	الشوكانى	مطبعة السعاده
٦٢	تاريخ الرسل والملوك	محمد ابن جرير الطبرى	« التجاريه الكبرى
٦٣	معجم البلدان	ياقوت الحموى	« دار بيروت للطباعه والنشر
٦٤	تاريخ الاسلام	الذهبى	مطبعة القدسى
٦٥	نظم العقيان فى أعيان الأعيان	جلال الدين السيوطى تحقيق فيليب حتى	المطبعه السوريه سنة ١٩٢٧
٦٦	مصر فى عصر دولة المماليك البحريه	سعيد عاشور	مطبعة النهضه المصريه
٦٧	مصر فى العصور الوسطى	على ابراهيم حسن	مطبعة النهضه المصريه
٦٨	الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عهده	محمد جمال الدين سرور	مطبعة دار الكتب ال[illegible] المصريه
٦٩	تحفة الأحباب وبغية الطلاب	محمود ابن خلف السخاوى	المطبعة الأزهريه
٧٠	التعريف بالمصطلح الشريف	ابن فضل الله العمرى	« مطبعة العاصمه القاهره
٧١	النوادر السلطانيه	ابن شداد تحقيق جمال الدين الشيال	مطبعة الخانجى
٧٢	دراسات فى تاريخ المماليك البحريه	على ابراهيم حسن	« النهضه المصريه
٧٣	ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى	القسطلانى	« الأميريه
٧٤	عمدة القارى شرح صحيح البخارى	العينى	« المنيريه القاهره
٧٥	نيل الأمانى بشرح مقدمة القسطلانى	ابراهيم الابيارى	« الميمنيه القاهره
٧٦	أصول الفقه	حسين حامد	« العالميه القاهره
٧٧	زبدة كشف الممالك	ابن شاهين	« الجمهوريه باريس
٧٨	حاشية البنانى على شرح جمع الجوامع	البنانى	« الأزهريه
٧٩	صحيح البخارى	الامام البخارى	« المنيريه

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	طبع
٨٠	الكواكب الدرارى بشرح صحيح البخارى	الكرمانى	المطبعة المصرية
٨١	تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى	جلال الدين السيوطى تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف	مطبعة السعادة

المحتوى

((المحتوى))

الفصل الثاني : رحلاته في طلب الحديث

الفصل الثالث : مناصبه التي تولاها

الفصل الرابع :

الفصل الخامس

الباب الثالث

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

والله ولى التوفيق